

# فِكْرُ وَفَن





مَنْ كَانَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ حَصِيفًا  
وَطَبِيعَةَ الْإِنْسَانِ، قَدْ عَلِمَا:  
أَنْ عِزُّ بَنِي الشَّرِّ مُرْتَبِطٌ  
لَا يُمْكِنُ الْفَرِيقُ بَيْنَهُمَا

عن : يوهان فولفكانك كوت

زعمة نزار العليكة

WER SICH SELBST UND ANDRE KENNT,  
WIRD AUCH HIER ERKENNEN:  
ORIENT UND OKZIDENT  
SIND NICHT MEHR ZU TRENNEN.

GOETHE

# فِكْرُوفِن

العدد الثاني ١٩٦٣ العام الاول

يصدرها: البعث تايلاند

## الفهرست

- ٤ علوم الطبيعة والثقافة، عن الاستاذ يثير فلكر، بقلم الدكتور محمد عبده ابراهيم
- ١٧ اللان في خدمة القران، بقلم الدكتور محمد حميد الله
- ٢٤ محمد اقبال والثقافة الالمانية، بقلم راشد الحيدري
- ٣٤ نازك الملائكة، خمس اغان للام " Fünf Gesänge an den Schmerz : Nāzik al-Malā'ika
- ٤٠ ملامح شرقية في الادب الالمانى القديم: بارتسفال، بقلم الدكتور مصطفى ماهر
- ٤٥ الجنينة: الازهار والبساتين في حضارة المسلمين، بقلم انامارى شيمل
- ٥٩ من بساتين الشعراء

يقدم الناشر ودار النشر شكرهم لكل من سرفهم بموته في تمخير هذه المجموعة  
ويدون مساعدتهم لكان من الحال ان يحصل هذه المجموعة على شكلها الحال الجليل  
نشكركم الكرام ان يداوموا في ارسال معاوتهم وآرائهم القيمة ونحن لهم من الشاكرين

ترجات: Prof. Dr. Dr. Annemarie Schimmel, Bonn; Raymond Azar, Bonn; Professor Mahmud Dessouki, Kairo; Dr. Arnold Hottinger, Beirut; Dr. M. A. Ibrahim, Winterthur; Dr. Kareem Nazir Khella, Hamburg; Dr. Mustafa Maher, Kairo; Dr. N. Mala'ika, Bonn.

# FIKRUN WA FANN

Nr. 2 1963 1. Jahr

Herausgeber: Albert Theile

القهرست

- ٦٢ الزهور والبساتين في ألمانيا، بقلم هلموت بونكر
- ٧٠ وجهي الآخرين، بقلم هاينوش بل - (Heinrich Böll)
- ٧٤ Zwei Gedichte aus dem Maghreb: Mogamed Aziz Labbabi \* Si Mohand
- ٧٧ اناج الماء من الماء المالح، بقلم الدكتور محمد عبده إبراهيم
- ٩٦ تاريخ: نزل معبد قديم مصري
- ٩٨ عبر الحدود Bôitâb, Über das Übel der Gefangenschaft \* Mozarabische Dichtung des neunten Jahrhunderts \* Behget Necatigil, Edebiyat Matinesi — Lesung aus eigenen Werken
- ١٠١ طالع الكتب
- صورنا الغلاف: أميل نولده، عباد الشمس  
أميل نولده، البحر  
بمساعدة Stiftung Ada und Emil Nolde

دار النشر: Übersee-Verlag, Hamburg 36, Neue Rabenstr. 28, Bundesrepublik Deutschland  
تأليف المجلة "فكر وفن" العربية موقعا مرتين في السنة - الاشتراك: ١٢ مارك ألمان. - النسخة الواحدة: ٧,٥٠ مارك ألمان؛ ممن الاشتراك الخفض للطلبة:  
٣ مارك ألمان، النسخة الواحدة: مارك ألمان. - تنضم طلبات الاشتراك إلى دار النشر  
Chemigraphische Kunstanstalt Friedrich Heitges, Hamburg  
الطبعة: Druck: J. J. Augustin, Buchdruckerei, Glückstadt  
© by Übersee-Verlag, Hamburg 1963 بطرق ١٦٣  
Adresse des Herausgebers: Albert Theile, Unterägeri, Zug, Switzerland إدارة التحرير:

# عُلُومُ الطَّبِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ

عن: الأستاذ بيتر فُلْكر

بقلم دكتور محمد عبده إبراهيم

مقدمة : أساس هذا البحث مقال ، كان الأستاذ فلكر قد كتبه في جريدة «نيوتن» السويسرية ، ينتقد فيه اقتصار ما يسميه الأستاذ «ثقافة تقليدية» ، على التاريخ والآداب والفلسفة والفنون الجميلة وما شاكلها من المواد . ويدعو الأستاذ ، في مقاله ، الى «ثقافة جديدة» ، تتمشى مع التقدم العلمى الهندسى ، في عصر الذرة والصاروخ ، وذلك بأن يتسع محيط هذه الثقافة الجديدة الى المواد ، التى تبحث في أسرار الكون ، وفى علاقة الإنسان بالطبيعة ، الى جانب المواد المذكورة آنفا .

ولما كانت نظرة الأستاذ فلكر ، التى يشاركه فيها نفر من الغربيين ، الى ما يسمونه «طبيعة» ، تختلف عن نظرتنا اليها في الشرق منبعا للأديان ، فقد اقتبس كاتب هذه السطور رجل الأفكار القيمة ، التى يحتويها هذا المقال ، واتخذها أساسا للبحث التالى ، وذلك بعد أن حذف وعدل فيها ، لكي تتمشى مع ثقافة التاطقين بالضاد ومعتقداتهم .

وتجدر الإشارة ، الى أن الاختلاف في وجهات النظر ، بين الأغلبية الساحقة من الشرقيين وبعض الغربيين ، فيما يتعلق بالطبيعة يرجع الى مغالاة هذا البعض في تقديرهم لقيمة العلم ولقيمة المخرعات الحديثة ، كما يرجع الى مغالاة هذا البعض أيضا ، في اعتقادهم ، بأن العقل البشرى قادر على كشف أسرار الطبيعة ، وخفايا الكون ! أما الراسخين في العلم ، من الغربيين وغيرهم ، فعلى يقين من عجز مدراك الإنسان وعقله ، عن فهم ما لا يحصى من آيات بينات ، أبدعها الخالق عز وجل ، في هذا الكون ، الذى نعيش فيه .

وفى رأى الكثيرين ، أن أوروبا الغربية تميل اليوم الى طريق وسط بين الدين والعلم ، وذلك نظرا للزيادة المطردة في عدد القائلين ، بأن العلم ومعجزات الهندسة ، ما هى إلا وسائل ، لتسخير الطبيعة في خدمة البشر ، وذلك بعد أن كان الكثيرون يقدسون الطبيعة ، من دون الله ، الى عهد قريب .

وانى لأذكر بهذه المناسبة نصيحة شاعر المائى ، يدعى «نوفالس» ( ١٧٧٢ - ١٨٠٢ ) الى بنى الإنسان ، إذ قال :

«على الإنسان ، أن يخطو خطوات ثلاث» ،

«نحو نقاوة الضمير والأمان» ،

«وذلك قبل أن يخطو خطوة واحدة ، نحو التسلط على الكون .»

أو قول الشاعر نفسه :

«لا يمكن لأى إنسان ، أن يصبح عالما بمعنى الكلمة» ،

«من غير أن يصير ، قبل ذلك ، إنسانا بمعنى الكلمة» .

ولعمري ... ، إن أقوال هذا الشاعر ، لأصحت في عصر الذرة والصاروخ ، عنها في أى وقت مضى .



Faust. Radierung von Rembrandt, um 1652

فاست . پید ریبراندت (حول ۱۶۵۲)



ملخص مقال الاستاذ وفكره بعد تعديله :

من الصعب أن يعرف الإنسان ما اصطلاح الناس على تسميته «ثقافة» ، وذلك لأن التعبير عن هذا الاصطلاح ذو النواحي الكثيرة المنتشرة كالتداخل ، بكلمات قليلة ، أمر يكاد ، أن يكون مستحيلا . فإذا ما أقصرنا ، فيها على ، على وصف الثقافة من بعض نواحيها ، وصفا موجزا ، يلائم أغراضنا من هذا المقال ، فلنستدعي لأنفسنا بذلك ، أننا قد وقفنا ، ولو بعض التوفيق ، الى التعبير عن الثقافة ، تعبيرا كافيا مرضيا .

إصطلاح الناس ، على أن يصفوا شخصا ما ، بأنه مثقف ، إذا كان لديه معلومات عامة ، لا تدخل في نطاق معلوماته المهنية ، بل تعدى هذا النطاق ، وذلك على أن يبين لمن يعيشون معه ، أنه قد خضم هذه المعلومات . يستدل على ذلك ، من أن يكون للمثقف فكرته الخاصة عن الكون وما فيه ، أو بأن يظهر أثر معلوماته العامة ، في تصرفاته وأقواله . وما هذه إلا علامات ، تظهر لنا ناحيتين من نواحي الثقافة ، ترتبطان ببعضهما ، بطبيعة الحال ، ارتباطا وثيقا . أما الناحية الأولى ، فتتمثل في جملة معلومات المثقف وعبرته في الحياة . والأمثلة على هذه المعلومات كثيرة ، نذكر منها : «كم سيموتني كتب ييهوف» مثلا ، أو «من هو الشني» ، أو ما معنى «أتاركس» وغيرها - كل هذه عناصر ثقافية ، نود أن نسميها في مجموعها «محيط الثقافة» . وأما الناحية الثانية فنسميها ، بالانفتاح بالثقافة» ، ونعني بذلك ، تلك الأغراض التي يسعى المثقف الى تحقيقها ، بمعلوماته العامة . ومما يصح أن يسمى أغراضا ثقافية : «الألماع بما تحتويه المقطوعات الأدبية الكلاسيكية» مثلا ، أو «فهم الظواهر الطبيعية» ، فهما مبسطا ، أو تكوين نظرة خاصة الى الكون وما فيه ... ، وما شابه ذلك .

وبروق لنا ، أن نسمى هاتين الناحيتين الثقافتين ، «مطوري الثقافة الخارجى والدخل» . وهذان المظهران ، مختلفان عن بعضهما من وجهة أخرى أيضا . فهضم المعلومات العامة ، يتوقف ، في المثل الأول ، على شخصية المثقف ، كما أنه يعكس هذه الشخصية أيضا . أما محيط الثقافة أو مظهرها الخارجى ، فيتوقف ، على العكس من ذلك ، على الظروف الاجتماعية ، التي يعيش المثقف فيها . وسبب ذلك ، أن الحكم على ثقافة الإنسان ، لا يصدر عنه شخصيا ، بل تصدره البيئة التي يعيش فيها ، إما له ، أو عليه . وبديهي ، أن يتأثر هذا الحكم بما مر به البيئة من ظروف اجتماعية سياسية تاريخية . ويكفى للتدليل

على صحة ما نقول ، أن نشر ، الى أن الإنسان يكتب صلب ثقافته في مدارس ، تخضع براعها لنظام بعينه ، وضعت البيئة لتحقيق أغراض مقصودة بذاتها .

ونود أن نتناول ، فيما يلي ، مظهر الثقافة الخارجى بالبحث ، محاولين بذلك ، أن نذكر بعض المقاييس التي تطبق اليوم ، عند الحكم على الثقافة ، معترفين مقدما ، بأننا لن نستطيع بهذه المحاولة ، إلا إعطاء آقارى فكرة سطحية عن هذه المقاييس .

ولعل أول مقياس للثقافة هو إتقان اللغة ، إذ أن الحكم على ثقافة الشخص ، يتوقف الى حد كبير ، على مدى تعمقه في اللغة ، وعلى مدى قدرته على التعبير بأسلوب بليغ وبعبارة سلسة . وغنى عن البيان أن إتقان اللغة يتطلب اهتماما ، شبه إجباري ، بالأدب وبسيرة الأدباء ، لا في لغة المثقف فحسب ، بل اللغات الأجنبية أيضا . وتتفرع الطرق الى كسب ثقافة عالية ، بعد إتقان اللغة ، إما الى ناحية مجموعة الأدب والتاريخ والفلسفة ، أو الى مجموعة الفنون الجميلة . وليس شك ، أن دراسة التاريخ من ناحيتي السياسة والاقتصاد مثلا ، علاوة على القدرة على تحليل الأحداث المعاصرة ، لأدلة قاطعة على ثقافة عالية . وكذلك الحال ، عندما يتقن الإنسان فنا جميلا ، إتقان الرسم أو النحت أو الموسيقى مثلا ، يتطلب علاوة على الدراسة ، مواهب شخصية . وإن شئنا محيط الثقافة آتساعا ، عما أسلفنا ، لأصبحت حدوده أقل وضوحا ، وفي هذه الحالة ، يصح إدخال الفلاسفة والعلوم الدينية في هذا المحيط .

وإذا ما تسامنا عن مدى اشتراك علوم الطبيعة والرياضة في الثقافة التقليدية ، كما يفهمها الناس اليوم ، وتساءلنا عن طريقة تمثيل هذه العلوم في هذه الثقافة ، لوجدنا أن ما اتصل منها اتصالا مباشرا بالبشر ، مثل : الطب وعلم النفس والجغرافيا وغيرها ، تدخل فعلا في محيط هذه الثقافة ، كما نجد أن هذه المواد ممثلة فيها تمثيلا كافيا . أما علوم الطبيعة الأصلية مثل : علوم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والكيمياء والطب وغيرها ، فانها لا تلعب ، على عكس ما تقدم ، سوى دورا ثانويا في الثقافة التقليدية . كما نلاحظ أنه كلما تطلبت دراسة علم من هذه العلوم ، المزيد من الدقة ، كلما نقصت أهميته في هذه الثقافة ، ولعل ذلك يرجع الى إهمال أساليب التفكير العلمى الصحيح ، عند تلقين هذه العلوم لطلابها . ولنا ندعى بذلك ، عدم وجود من يتقن نظرية الكوانت (جزيئات الطاقة المنتهية في الصفر) ، إقانه

لقائمة كخل (قائمة مقطوعات موزارت الموسيقية) ، غير أن هؤلاء ، يغلب أن يكونوا علماء في الطبيعة ، اكتسبوا قدرًا كبيرًا من الثقافة التقليدية .

وقد نتج عن إهمال مجموعة علوم الطبيعة والرياضة ، وعن إهمال سرية العلماء البارزين ، أن أصبح الجهل بها ، لا يسبب ، عند الحكم على الثقافة ، نفس التأثير السيئ الذي يسببه الجهل بالأدب الكلاسيكي أو بسيرة الأدباء النابهن . فأقل ما يتعرض له شخص ، لا يعرف ما هي «الخلفات» مثلاً ، هي نظرة استنكار لجهله ، ذلك في حين أن جهل «السكير» مثلاً ، لا يسبب أى دهشة أبداً... وكذلك ، إذا سأنا عدداً من المثقفين : «من هو الحسن بن الهيثم؟» أو «من هو جاليليو؟» أو «من هو مكسويل؟» مثلاً ، لوجدنا أن عدد من يعرفون هذه الأسماء ، من بين هؤلاء المثقفين ، قليل جداً . ومعلوم ، أن هؤلاء العلماء ، من بين أولئك الذين قامت المدنية الحديثة على جهودهم وبحوثهم العلمية .

يتبين مما أسلفنا ، أن مركز نقل الثقافة التقليدية ، كما يفهمها أناس أليم ، يقع ، فعلاً ، في ناحية الأدب والفلسفة والفنون ، هذا في حين أن نصيب علوم الطبيعة والرياضة ، من ثقافة الناس ، ضئيل ، بل ربما لا تتناسب مع ما لهذه العلوم من أهمية كبيرة ، في القرن العشرين . وهناك سببين لهذا الوضع الثقافي الشاذ :

الأول : عدم اكتناس ، بين الملل العليا للثقافة التقليدية وبين ما تتطلبه المدنية الحديثة من مثل عليا . ولقد كانت التقاليد ، ولا زالت ، أشبه ما تكون بفرملة تعوق تطور هذه الملل العليا ، مع الزمن .

الثاني : صعوبة تحصيل علوم الطبيعة والرياضة ، خصوصاً ، ما تطلب تحصيله منها دراسة نظامية ، لا تنح إلا لثلاث قليلة .

ولقد كانت النتيجة المحتمة ، لما تقدم ، أن أصبح إلقاء محاضرة عن فن «ليوناردو دا فنشي» ، أو فن من المثلال (مختار مثلاً ، على فئة من المثقفين ، غير المتخصصين ، أمراً يبدوا مقبولاً . أما إلقاء محاضرة ، على نفس الفئة ، عن شجكل السدعة المفرطة الحزوني ، فإنه يعد أمراً غير عادي ، بل أنه قد يعد عدم الفائدة ، في بعض الأحوال . ونظراً لصعوبة تحصيل علوم الطبيعة والرياضة ، يمكن القول ، بأن مواد الثقافة التقليدية أبسل مثلاً ، للأغلبية . فبينا لا يمنع الجهل بنظريات الموسيقى أحدًا من التمتع بسماع الموسيقى الكلاسيكية ، يترك معظم المثقفون الاستماع

الى محاضرة في الرياضة مثلاً ، لما نفس القيمة الثقافية ، للمتخصصين فيها ، دون سواهم .

وعلى الرغم من السهولة النسبية في تحصيل بعض عناصر الثقافة التقليدية ، بحيث لنا أن نتساءل ، عما إذا كان من العدل ، أن نطالب : العلماء ، والكيميائيين ، والمهندسين وغيرهم من أصحاب الملل ، إلى تقوم على مجموعة علوم الطبيعة ، أن يملوا بما لا علاقة له بمهنتهم ، لنكما يمكن اعتبارهم من المثقفين ؟ وفي رأينا ، أنه من العدل ، أن نطالب باعتبار أصحاب هذه الملل ، وما مثالها ، من بين المثقفين ، حتى إذا انحصرت معلوماتهم العامة في مواضيع ذات اتصال بمهنتهم ، وذلك على شرط أن توسع هذه المعلومات آفاقهم المعنوية ، دون الحاجة الى فتح آفاق جديدة . أما ما دعانا لأبداء هذا الرأي ، هو أن الثقافة التقليدية ، تمنح هذه الميزة ذاتها (أوتوماتيكياً) ، للأدباء والفلاسفة والفنانين ، إلى حد ما ، هذا في حين أنها لا تمنح أصحاب الملل العلمية أية ميزة أبداً . ولما نعتقد ، من أن ما نطالب به يستحق البحث ، نساق باقتراح حل ، يحقق المساواة بين فئة الأدباء وفئة العلماء . ويتلخص هذا الحل في إضافة مثل عليا جديدة ، يقع مركز نقلها في ناحية العلوم والرياضة ، الى أطل العلماء ، للثقافة التقليدية أخالية . ونود أن نؤكد ، بأننا لا نبحث باقتراحنا هذا ، أهمية الملل العليا الحالية ، محال من أحوال ، كما أننا لا نبحث ، ما أدت اليه هذه الملل ، من روابط ثقافية قوية بين البشر .

وستحاول فيما يلي ، أن نشرح الأسس التي نعتقد بأنها صالحة ، لكي تقوم عليها ثقافة جديدة ، تتضمن العلوم والرياضة ، علاوة على عناصر الثقافة التقليدية ، كما يفهمها الناس الآن .

ولتسهيل الوصول الى لب الموضوع ، الذي نحن بصدده ، نبدأ بالتبني ، الى أن تحصيل علوم الطبيعة والرياضة ، لا يعد في حد ذاته ، ثقافة . والسبب في ذلك ، أن محور الثقافة التقليدية ، هو تحليل الآراء التي تتعلق بالإنسان وبطرق حياته ، ولا علاقة بين هذا وبين دراسة الظواهر الطبيعية ، وما يربطها من قوانين ، وما يفسرها من معادلات رياضية . ولكن نبين أن التخصص في العلوم بعيد كل البعد ، عن مفاهيم الثقافة التقليدية ، تضرب لذلك مثلاً : فبينما يجب أن تتملك موسيقى «باخ» شعور الإنسان كلية ، لكي يستوعبها ، نرى أن التعمق في الديناميكا الحرارية مثلاً ، لا يؤثر على شعور الإنسان ، ولا يزيد في ثقافته ، حتى بقدر طفيف . وبديهي أن التعمق

في دراسة الأدب والفلسفة والفنون ، قد يعوق في بعض الأحوال تطور الثقافة التقليدية نحو الكمال ، غير أن الخطر من التعمق ضئيل ، في هذه الناحية .

عخلص مما تقدم ، أنه يجب أن نسلك طريقا آخر ، غير طريق تلقين العلوم والرياضية نفسها ، وذلك إن شئنا الوصول إلى ثقافة جديدة ، قيمها وأغراضها ، تماثل قيم وأغراض الثقافة التقليدية ، وتضمن ناحية العلوم في نفس الوقت . وإذا جاز لنا أن ننظر إلى الثقافة التقليدية على أنها فهم عميق للعلاقات بين الأفراد والشعوب فإننا نرى بالتالي ، أن الطريق الأصحح إلى الثقافة المشروعة ، يجب أن يتضمن الاتجاه إلى فهم العلاقة بين الإنسان والطبيعة ، كما نعتقد أن خير الطرق لفهم هذه العلاقة ، هو تركيز الجهود على دراسة سيرة العلماء البارزين ، وعلى تحليل شخصياتهم ، بدون التعمق في عوالمهم ، أو فيا محتوي هذه البحوث من معادلات رياضية معقدة . ويضاف إلى ما تقدم ، أن رغبة الإنسان الملحة ، في الكشف عن أسرار الطبيعة ، وفي وصف ظواهرها بقوانين ، وفي التعبير عن هذه القوانين بمعادلات - كل هذه رغبات لا تقل في قدمها أو في أهميتها ، عن رغباته للتعبير عما يجيش في صدره من مشاعر ، عن طريق الفنون الحيلة . وتعد دراسة تطورات رغبات الإنسان ، نحو فهم الطبيعة واجبا من أمثح الأبحاث ، لا للمتخصصين في العلوم فحسب بل لكل أولئك الذين يرغبون في العلم ، ولو رغبة سطحية فقط .

ومن بين الدراسات القيمة ، التي يستر أستاذنا ، من أمم الأغراض التي نرى إليها بالثقافة الجديدة ، تلك الطرق التي سلكها العلماء النابون في عوالمهم ، سواء في ذلك الأصائب منها ، أم الخاطي ، وكذا تلك الصعوبات ، التي كان عليهم أن يذللوها عما أهمهم الله به من أفكار قيمة . وأخيرا تلك التحليلات المنطقية العميقة ، التي قادهم إلى النتائج الأصححة .

ونختار ، فيا يلي ، مثلا من بين الأمثلة الكثيرة ، التي تصلح للتدليل على ما نقول ، وليكن المغناطيسية . وقد يكون ما سوف نسرده ، على الفرائ ، من تجارب ، أجريت على المغناطيسية ، أو ما سوف نقص عليه من وصف للمحاولات التي بذلت لاستنباط قوانينها ، حديثا غريبا ، ليس في سهولة التوجه إلى حقل موسيقى - غير أننا نؤكد ، أن حديثنا هذا ، ليس في صعوبة فهمه والأليزة ، مثلا ، كما أننا نؤكد أيضا ، أنه لا يقل عنها متعة . ويستفاد من دراسة تاريخ هذه الظاهرة الطبيعية الهامة ،

أن المغناطيسية معروفة ، منذ قدم الزمان ، كما أنها كثيرا ما استعملت في بيت الأبرة (الكوباس) ، لأغراض الألالة أو خرافاتنا . وقد ظلت المغناطيسية على الرغم من ذلك ، مهملة علميا إهمالا تاما ، أثناء فترة طويلة من الزمان ، إلى أن بدأ «وليام جيلرت» ، طبيب الملكة «اليسابات» ، في دراسة هذه الظاهرة ، ثم أنه أصدر كتابا عنها ، في عام ١٦٠٠ . وبعد هذا الكتاب حدثا هاما ، في تاريخ التجارب العلمية ، كما أنه لا زال يستحق ألقراء ، إلى يومنا هذا . ولقد مضى ، بعد ذلك ، قرنان من الزمان أو تزيد ، إلى أن اكتشف «أستندرو وأمبرو الكهرمغناطيسية ويعتبر هذا الكشف الأخير ، بحق ، حدثا فذا في تاريخ البحث العلمي ، نظرا لأنه من أهم الأسس ، التي تقوم عليها هندسة الكهرباء في العصر الحاضر . ولقد تبين من هذا الكشف ، أن المغناطيسية من بين الظواهر ، التي تنشأ عن شحن جسم بالكهرباء ، أو من مرور تيار كهربائي فيه . ولقد أثبت هذا الكشف أيضا ، أن المغناطيسية والكهرباء ظاهرتان متلازمتان ، بعد أن كان الاعتقاد السائد ، أنهما ظاهرتان منفصلتان عن بعضهما ، تمام الانفصال . وعلى الرغم ، من أن هذه الأبحاث قد كتبت منذ زمن طويل ، فإن لغنا سهلة سلسلة وقراءتها ممتعة . ومثل هذه الأبحاث في كالمها وجديتها ، مثل تلك البحوث التي كتبها العلماء : «فراي» و«مكسويل» و«هزر» ، بعد ذلك . وتشهد كل هذه البحوث ، بقدرتها خارقة على الفهم والاستنباط والحيلة ، وليس أدل ، على أن الله ، كان قد حبا هؤلاء العلماء ، بقبس من نوره ، وبمحكمة من عنده ، من أنهم تمكنوا ، في هذا الزمن البعيد ، من كتابة قوانين الكهرمغناطيسية ، في نفس الصورة ، التي تستعمل ، حتى اليوم ، في تصميم الآلات الكهربائية .

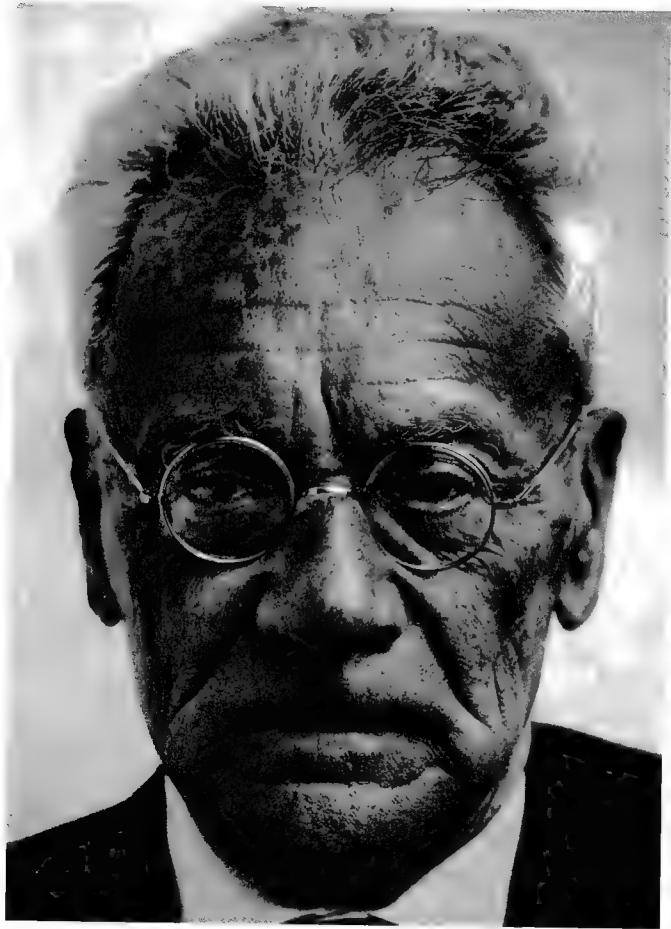
ولعل أجمل ما في قراءة هذه البحوث ، شعور الإنسان ، بأنها لم تكن سوى إحدى درجات سلم المعرفة ، الذي ترتقيه البشرية ببطيء ، إلى آفاق عليا من العلم والأفكار ، لا يعلم مداها ، سوى الخالق جل جلاله .

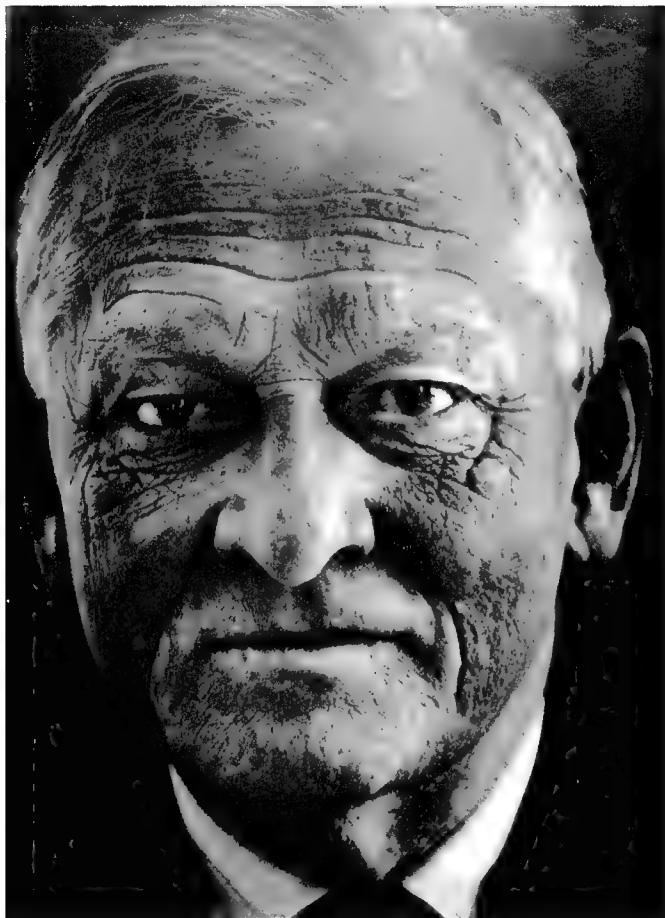
ويردف ، أن أشير هنا ، إلى أن كشف الكهرمغناطيسية ، هو الذي مكن العلماء اللاحقين ، من ربط خواص الروتونات والالكترونات الكهربائية ، بخواصها المغناطيسية ، ومعلوم ، أن هذه الجزيئات المشحاة في الأنصر ، هي أحجار بناء الذرة ، وأن الذرة ، هي حجر بناء كل مادة في هذا الكون .

وهكذا ، وصل الإنسان بمجهود هؤلاء العلماء الجاهلدة ،

عليان من ألمانيا : كارل فون فريش (ص ٩) ، ريشارد كيون (ص ١٠) ، ويرنر هايزنبرغ (ص ١١) ، ماكس بورن (ص ١٣) . الصور : أوتو شتاينرت ، ساربريكن . مأخوذة من كتاب Das deutsche Liebtbild ، الذي نشره وشراخه وأوتو شتاينرت ، ونقدم شكرنا لدار نشر DSB كودور وولف سترانه ، شونجيرات ، التي ساعدتنا في نشر هذه الصور .

Deutsche Gelehrte, Karl von Frisch (Seite 9), Richard Kuhn (Seite 10), Werner Heisenberg (Seite 11) und Max Born (Seite 13). Alle Fotos: Otto Steinert, Saarbrücken. Entnommen dem Buche "Das deutsche Liebtbild". Herausgegeben von Wolf Strache und Otto Steinert, mit freundlicher Erlaubnis des Verlages DSB, Dr. Wolf Strache, Stuttgart.







تأتيهما، من يدهم مقاليد الأمور، عن جهل. ولقد قامى جاليليو الأمرين، بسبب معتقدات خاطئة، حدث من نشاطه العلمي، باسم الدين، والدين منها براء.

وجعل ما أسلفنا، أن دراسة الطرق التي سلكها الموهوبين من العلماء، في شتى نواحي إنتاجهم الفكري، وأن دراسة خطواتهم إلى ما في متوهم من عبقرية، دراسة تفصيلية دقيقة، لخدمة ما تأخذ مكانها الألائق، في مقدمة الأغراض، التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها، يحصره على نشر الثقافة بين أفرادها.

ومن بين الأسباب التي تعزز هذا الرأي، ذلك الفرق الكبير، بين ظروف العالم، وهو عاكف على بحثه، وبين ظروف الفنان وهو يعمل في إنتاجه. فبينما الفنان حرقى عمله، لا يخضع لأحد، سوى لما يجيش في نفسه من شعور وأفكار، يجسمها أو يظهرها بفته، للناظرين أو السامعين، نرى العالم مقيد في بحثه، بخضوع لحقائق موجودة ثابتة، تتحكم فيها بماليج من ظواهر طبيعية، أبدعها الخالق عز وجل. فالعالم يبحث عن نتائج، تصبغ حقائقها، هو يجهلها، كل الجهل، ولا يملك فيها تقييرا أو تبديلا، قد يروق له، أو تحريفا أو تبديلا، قد يسهل عليه مهمته. فالعالم يتعرضون، إذن، بحكم طبيعة عملهم، لصعوبات نفسية، لا يتعرض لها أهل الفنون. ويتعرض أبحاث اللاحق، لصعوبات مماثلة، لا تعرض له الباحث السابق من صعوبات، وعلى الرغم مما لدراسة هذه الصعوبات من ألوجع النفسية، من ألمية قصوى لتقدم العلم، وللمدنية، تسجل هنا، أنها لم تبحث بعد، ولا يقلل ضلّيل، من تلك الهمة، التي تبحث بها أعمال الفنانين، وأقوال السياسيين. ولا أعراض لنا على طوائف البحوث، التي كبت عن إنتاج وعن حياة الكاتب الأشاعر الملهوم «جوته» مثلا، ولكن أعراضنا ينصب على إهمال الكتابة مثلا، عن قطب من أقطاب العلم، من معاصريه، وهو كارل فريدريك جاوس. وجاوس، هذا الذي يجعل صفوة المثقفين، حتى اسمه، لا يقل منزلة في العلم، عن منزلة شاعرا الملهوم في الأدب. وهكذا بقيت سرعة علم، من أعلام البحث العلمي، في طي الكيان، من غير دراسة، وبذلك حرم الناس من الانتفاع من سرته وهو في قبره، علاوة على انتفاعهم، مما أنتجه في حياته. ولعل إهمال سرية جاوس، يرجع إلى جهل المؤرخين، باسماء البارزين من العلماء وبقية مجهوم كما قد يرجع أيضا إلى عجز العلماء، عن تحليل الشخصيات العلمية، من الوجهة النفسية، وإلى عجزهم عن دراسة الإنسان، في شخص العالم.

من كشف ألفناطيسية، وقد تم هذا، أغلب الظن، بمحض الصدفة، إلى أقصى ما أوتينا من علم عن طبيعة الكون، ويعلم الله، أننا ما أوتينا، حتى اليوم سوى القشور. وقد ينظر بعض من لا يمارسون البحث العلمي بأنفسهم، أن الظواهر الطبيعية، ليست سوى نظريات جافة، خصوصا إذا عرعتها بمعادلات رياضية. وليس هذا الظن بصحيح، فليس قانون نيوتن للجاذبية مثلا، هو تلك الظاهرة، التي تسمى بهذا الاسم، فإ هذا القانون، سوى وسيلة للتعبير عن هذه الظاهرة. زد على ذلك، أن هذا القانون وغيره، وسائل مؤقتة، للتعبير عن الظواهر الطبيعية، تتغير بازدياد ما أوتينا من العلم. فقد عدل أينشتاين، في قانون، نيوتن نفسه، الذي اعتبر ردها من الزمن، أنه غير قابل للتغير، وسبحان الباقي العلمي.

ولسوف نقضى، دراسة تاريخ تطور العلم، بما في ذلك سرية العلماء، الذين استحدثوا هذه التطورات، من غير شك، على مثل هذه الظنون الخاطئة، ولسوف تبين بوضوح أيضا، حقيقة العلاقة بين العلم، الذي اكتسبناه بالبحث وبين الطبيعة، كما أبدعها علام الغيوب.

وقد لا يعلم البعض، أن سر الكثرين من العلماء البارزين، موجودة بدور الكتب، وأنها مترجمة إلى شتى اللغات، كما أن بعض ما كتبه هؤلاء العلماء عن أنفسهم، وبعض ما تبادلوه من رسائل، وفي هذه وتلك الكثير مما هو شيق، مجمع، مخفوظة أيضا، في المتاحف، وفي دور الكتب.

وتود أن نقص، فيما يلي، القليل من عالم جليل، من بين الكثرين، ممن يستحقون الحديث عنهم، ونعني به «جانيلو جاليليو»، ذلك العالم الكبير، ذو الشخصية الفذة، التي حدث بالكثرين، من الكتاب، أن يكتبوا عنه. أما مؤلفات جاليليو فمختصر، من الوجهة الكفوية أيضا، آية في الأتقان، هذا علاوة على كونها مشوقة جدا، وممتعة للغاية. ووجه النعمة في مؤلفات جاليليو، أنها خليط جميل من رغبة ملحة في الوصول إلى الحقيقة، ومن حرص، غير عادي، على الكفاح، كما أنها لا تخلو من هكم، وتقد لأذع. وتزداد الرغبة في قراءة هذه المؤلفات، عندما يتبين للقارئ، أنها من بين الأعاس، التي بنيت عليها، علوم الطبيعة الحديثة.

أما سرية حياة جاليليو، فأما تستحق اهتماما خاصا، لا بسبب شخصيته فحسب، بل نظرا لاعتبار آخر. فلقد ذهب جاليليو مثلا في التاريخ، لما قد يتعرض له باحث محقق، لا يعرف بيقود تفرض عليه بدون وجه حق، وكذا لما قد يتعرض له البحث العلمي الآخر، من أخطار





عن الصعوبات والآليات، التي تكثف البحث العلمي وما يقبضه من تصميم هندسي وتنفيذ فعلي . ولقد كانت النتيجة، أن جد، في مقابل الظاهرة السارة، التي نحدثنا عنها بماليه، خطر على البحث العلمي، قد يأتي من إحدى ناحيتين، أو من كليهما :

الأولى : إما أن يتوقع الناس نجاحا عاجلا لهذه البحوث بدرجة لا تمتشى وطبيعة البحث العلمي، أو التنفيذ الهندسي، وفي هذا ما فيه من ضرر على البحث، وعلى الباحثين .

الثانية : أن يتراكم الناس في حكمهم، على مدى التقدم في هذه البحوث، على آراء المختصين، وقد يكون من بينهم، من لا يمتنع من أمر هذه البحوث شيئا، سوى متفعة شخصية، يسمون في اهل الأول، الى تحقيقها. يتضح من ذلك، أن مجتمع القرن العشرين، في حاجة ملحة، لأن يقدر أكثر قطاع ممكن منه، لا على مناقشة البحوث العلمية، مناقشة سطحية فحسب، بل لأن يقدر على الحكم عليها أيضا. وغنى عن البيان، أن تحقيق هذه الحاجة الملحة، لن يكون إلا بثقافة جديدة، يتضمن محيطها، مجموعة علوم الطبيعة والرياضة أيضا .

ولكى يتبين القارئ بعض ما تتطلبه الثقافة المثبودة، من الراغبين فيها، نشير الى أن : «إثبات الحقائق بالدراسات العلمية العملية» ، لا يلب سوى دورا ثانويا في الثقافة التقليدية، هذا في حين أنه عظيم الأهمية، عند الحكم على قيمة الأبحاث العلمية . ولعل أهم ما تتميز به مجموعة علوم الطبيعة والرياضة، عن سواها من المجموعات، هو أن مواد هذه المجموعة يجب أن تعزز دائما بالدراسات، التي يفهمها كل من هو قادر على التفكير السليم . زد على ذلك، أنه كثيرا ما يتعذر فهم النتائج العلمية نفسها، فهنا صبيحا، بدون دراسة الدراين التي تثبت صحتها . والأمثلة على أهمية هذه الدراين كثيرة، نورد بعضها فيما يلي : فالعلماء يقولون مثلا، بأن درجة حرارة سطح الشمس الخارجي، تبلغ ما يقرب من ٦٠٠٠ مئوية، كما يقولون، بأن الذرة تحتوي على عدد من البروتونات وعلى عدد مماثل له من الألكترونات وبأنها قد تحتوي أيضا على نيوترونات، كما يقولون بأن النحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، التي لا يراها الإنسان أصلا . - كل هذه حقائق، تظهر وكأنها عارية عن الصحة، إذا لم تعزز بشرح كاف وبراهين قاطعة . فلنسا بقادرين مثلا، أن وضع ترمومتر على سطح الشمس لكي نقرأ درجة حرارته ! كما أنه من المستحيل، أن نضع ذرة في راحة اليد، ولا أن ننظر إليها بفتظار مكبر، لكي نرى

ويجدر، أن نشر هنا، الى أن دراسة تاريخ مجموعة علوم الطبيعة والرياضة، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالعلم نفسه، أم بسيرة العلماء، لا تلي، في التكتليات العملية والهندسية، العناية الواجبة. ولقد كان بنسبا، أن تتأثر برامج المدارس الإعدادية بهذا الاتجاه، مما أدى إلى إختفاء تاريخ العلم، كمصنوع ثقافي، إختفاء يكاد أن يكون تاما، من ثقافة المجتمع . ولكنا نصل الى استكمال هذا النقص، نطالب بتشجيع الوعي الثقافي، في هذه الناحية خصوصا بين أولئك، الذين يتخصصون في العلوم والرياضة. وقبل أن نستكمل الحديث، عن العناصر الثقافية، التي تصلح للثقافة المثبودة، نود أن نشرح فيما يلي، ما للثقافة في ناحية العلوم والرياضة، من أهمية خاصة، في وقتنا هذا وترجع هذه الأهمية الى تلك التطورات الهامة التي حدثت في البحوث العلمية، أثناء السنوات الثلاثين الأخيرة، على وجه الخصوص. فبينما كان العلماء حتى نهاية القرن الماضي، يقومون بأبحاثهم في هدوء، بدافع من وجدانهم الشخصي، يتفحصهم المال اللازم، في معظم الأحيان، على قلة ما يطالبون، نرى الأموال الطائلة تنفق اليوم، بغير حساب، على البحث العلمي، كما نرى صرامع العلماء، وقد استبدلت بمؤسسات دولية ضخمة، حل فيها «ميكرون الرونات» ، ومعدة الحساب الآليكترونية، على «ملف السلك الكهربائي» ، وعلى «جولر الكوارثيات» . زد على ذلك، ما يعقد من مؤتمرات دولية، هنا وهناك، بصفة تكاد أن تكون مستمرة . كما نرى أيضا، أن الدولة اليوم، هي التي تشرف على حملة البحوث العملية الموجهة، سواء أكان هذا التوجيه الى إلقاء، أم الى إكتفاء، كما أن الدولة، هي التي تنفق على كل ذلك بسخاء، منقطع النظير.

ولقد كان لكشف العلم، منذ قدم كزمان، أثره الفعال الدائم، في تقدم الأفراد والشعوب حقيقة، غير أن أهميته لم تصل أبدا، الى الحد، الذي تصبح به البحوث العلمية، محورا، تدور حوله المنازعات السياسية، بين الدول الكبرى، إلا منذ بضعة سنوات .

ولقد نتج عن هذه التطورات الهامة في كيان العلم، وفي كل ما تمت إليه بصلة، أن أصبح البحث العلمي، موضوع مناقشات علنية، يتحدث فيها الخاص والعام، عن مدى نجاح العلماء والمهندسين في مجرمهم، وما تنفقه الدولة في هذا السبيل . - فإجدال...، في أن هذه ظاهرة طيبة، تبث على اللورور، غير أن الأغلبية العظمى، ممن يشتركون في هذه الجدالات، لا يعرفون، إلا أكتليل،

أجزائها! وأخيراً، فأن استعارة عين النحلة ترى بها، ما تراه، أمر غير ممكن. ويتغير الوضع تماماً، إذا فهم الإنسان، كيف يصل العلماء إلى هذه النتائج. وإذا تبين الإنسان صحة براهمهم أيضاً.

نستخلص مما تقدم، أن ثقافة تقوم على علوم الطبيعة والرياضة، لا يمكن أن تحقق أغراضها، ما لم تتاح الفرصة للراغبين فيها، بأن يحيطوا علماً ببعض الوسائل، التي يستعين العلماء بها، على إثبات صحة النتائج، التي يصلون إليها. ومن الطبيعي، أن تتناسب دراسة هذه الوسائل، مع معلومات الطلاب وموابعهم، وأن تقتصر على القدر اللازم لهم، من هذه الوسائل فقط.

ولا يفوتنا، أن نشير أيضاً، إلى أن دراسة حصيلة البحوث العلمية، تساعد على تربية ملكة التفكير، مع النقد في نفس الوقت، في طلابها، مما لا يتيسر، بنفس الدرجة وبنفس الطريقة، بأي نوع آخر من الدراسات. ويرجع ذلك إلى أن دراسة هذه الحصيلة تفرض على الطالب، أن يتحقق بنفسه من صحة ما يدرس، حتى ولو كان ما يدرسه من البديهيات، وبذا يتعود الطالب على عدم قبول ما يقال له، من غير أن يفتتح به. ويستثنى من ذلك طبعاً، ما يعجز العقل البشري عن فهمه، أو إثباته، أصلاً. لغة العلم: سبق أن أشرنا، في أول هذا البحث، إلى أهمية اللغة، كمقياس للثقافة، واستكمالاً للفائدة، نورد، فيما يلي الفرق بين لغة الأدب والعلم، بإيجاز. يحاول الأديب، جهد طاقته، أن يظهر جمال ألفاظه وضحاها بالألفاظ، فيما يكتب، كما يحاول أيضاً، أن يكون بليغ

الأسلوب، سلس العبارة، حتى ولو كان ذلك على حساب الدقة والوضوح. أما لغة العلم، فيجب أن تكون على عكس ذلك، أي أنه، يجب أن تكون لغة إنشائية، واضحة، دقيقة، بسيطة، على أن تأتي بلاغة الأسلوب، وسلاسة التعبير في المحل الثاني، وعلى أن لا تهمل هذه كلية. ولستنا بمبالغين، إذا نبهنا إلى أن لغة العلم تنقصها أمثات لغوية، تلزمها، لكي تكسبها جلالاً خاصاً، الذي ينبثق من الدقة في التعبير، ومن وضوح الأسلوب، ومن بساطته. ويجد الباحث فيما كتبه البارزون من العلماء، المادة اللازمة لهذه البحوث اللغوية. ومحمل القول أن العناية بلغة العلم، إحدى أغراض الثقافة الحديثة، التي ندعو إليها.

وقبل أن نختم هذا المقال، نشير إلى أن الاحترام المتبادل، شرط أساسي، لكي يسود التفاهم بين فريقين، ينتسب كل منهما إلى ثقافة معينة، ونفسي فريق الأدباء وفريق العلماء. وفي رأينا، أن ما يحدث في بعض الأحيان، من تفاخر أحد الفريقين، على الفريق الآخر، بمعلوماته، يرجع إلى أنشاع محيط الثقافة الفعلية، في زمننا هذا، بحيث أصبحت حدوده غير واضحة.

فلو أننا أضفنا، إلى الثقافة التقليدية الحالية، ثقافة مماثلة في ناحية علوم الطبيعة والرياضة، لا لكي تتنازع الثقافتان، بل لتتألفا، لوضحت حدود محيط ثقافة جديدة موحدة، بقدر الأمكان. وإننا نعتقد، أن ثقافة كهذه، سوف تتمخض من خير ععم للبشرية، في عصرنا هذا، وفيها سوف يأتي من عصور، إن شاء الله.

(انتهى مقال الأستاذ فلكس)

\*\*\*

نود أن نورد، فيما يلي، بعض آيات الذكر الحكيم، وبعض أقوال بعض الرافضين في العلم من الغريين، لا لكي نرد ما ادخنناه من خدع أو تضليل، على مقال الأستاذ فلكس، فليس ذلك، في رأينا، يحتاج إلى تبرير. وإنما نقصد، أن نبين للقارئ، بما سنذكره، أن أهمية ما يدعوه إليه الأستاذ، لا ترجع إلى ما أبداه الأستاذ في مقاله من أسباب قوية فحسب، بل ترجع أيضاً إلى سبب آخر، نعتقد أنه أهمها جميعاً، وهو أن العلم وثقافته لا يتعارضان مع الإيمان، بل أهما يدعوان إليه.

بعض آيات الذكر الحكيم:

قال تعالى في سورة الزمر: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون». وقال تعالى في سورة النساء: «لكن الرافضون في العلم والمؤمنون، يؤمنون بما أنزل إليك». وقال سبحانه وتعالى في سورة الرحمن: «ولن خاف مقام ربه جنتان، فهأى آلاء ويكسا نكدبان».

(صدق الله العظيم)

أقوال بعض الراسخين في العلم من الغربيين :

علم الذرة أرثر كومبتون : «إن في معمل ، لا أعني بأثبات الحياة بعد الموت ، ولكنني أصادف كل يوم قوى عاقلة ، تجعلني أحس أراءها ، بأنه يجب علي أن أكنع احتراما لها .»

اينشتين : «إن أعظم جائشة من جائشات النفس وأجملها ، تلك التي تستشعرها النفس ، عند الوقوف في روعة أمام هذا الخفاء الكوني . إن الذي لا يجيش نفسه لهذا ، ولا تتحرك عاطفته لوحى كيمت . إنه خفاء لا تستطيع أن تشق حجبها ، وظلام لا تستطيع أن تطلع فجره ، ومع هذا فتدرك أن وراءه شيئا هو الحكمة أحكم ما تكون ، ونحس أن وراءه شيئا هو الجمال أجمل ما يكون . وهي حكمة وهوجال ، لا تستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، إلا في صورة لما بدائية أولية . وهذا الأدراك للحكمة ، وهذا الأحساس بالجمال في روعته ، هو جوهر التعبد عند الخلاق .»

لابلاس العالم الفلكي : «إن القدرة آتت شكلت الأجرام السماوية ، وحددت كثافتها ، وأقطارها ومداراتها ، بنظام مستمر إلى الأبد ، لا يمكن أن تنسب للمصادفة .»

اينجيتون : «إن وراء هذا الكون عقلا مدبرا حكيما ، هو العقل الأعظم ، وروحا ساميا ، هو الأرواح الأعظم ، هو الله سبحانه وتعالى .»

(انظر كتاب مع الله في الساء للدكتور احمد زكي)

وبعد ، فلعل فيها ذكرنا ما يكفي ، لكي يؤمن بالله من لم يؤمن به ، عز وجل ، بعد ، ولكي يطرح الإنسان غروره ، ولكي يصدق من لم يصدق بعد ، أننا لا نعلم ، ولن نعلم من أسرار الكون والحياة إلا القشور ، وأخيرا لكي يعلم من لم يعلم من العلماء بعد ، أن فوق كل ذي علم عليم . هداانا الله جميعا الى الأمان الحق ، أنه سميع مجيب .



# العلماء في خدمة القرآن

## بقلم الدكتور محمد حميد الله

أحياناً إلى ست آيات ولذلك اكره العلماء أن يذكروا الآن الرقمين. كأننا ما كان، الفضل المتقدم؛ وهذا لألماني كما ذكرنا.

### تاريخ القرآن

أعنى المسلمون بعلوم القرآن منذ قدم الزمان، مثل تاريخ تدوينه، واختلاف قراءته وغير ذلك. أما في أوروبا، فهو ألماني الذي أعنى به. أعنى تاريخ القرآن لتيودور نوبلديكيه (طبع لايزيك ١٨٩٠). وأعنى بطبعته الثانية تلميذ نصراني له، شلبي، فنشر المجلد الأول في ١٩٠٩، والمجلد الثاني في ١٩١٩، ثم زاد فيه ألمانان بركشتريسر وبريتسل مجلداً ثالثاً في ١٩٣٨. وكل هذا في مدينة لايزيك. ولا شك أن هذه أوسع خزانة من المعلومات في الموضوع يرجع إليها كل باحث وإن لم يتفق معها دائماً.

### مهد القرآن للماسوف عليه

إن جامعة ميونيخ في جنوبي ألمانيا كانت أسست معها خاصاً للأبحاث القرآنية، وقعت عليه لتقابل امريكانية زمن الحرب العالمية الثانية فهلك كل من كان فيه وما كان فيه. ولكن هو جدير بالذكر، لعل الله يوفق دولة إسلامية لإعادة مثله. إن الأستاذ بركشتريسر ثم من بعده الأستاذ بريقتل كانا قد صرفا عمرهما لإدابة هذا المعهد، وبلدت الحامية والحكمة أموالاً لا يسبآن بها لإنشائه وتطوره حتى كان قد صار أكبر متحف قرآني في العالم. وهذا ما فعلوا:

- (١) جمعوا فيه أهم ما يوجد من المطبوعات، العربية خاصة، في التفسير وفي علوم القرآن والقرآن.
- (٢) جمعوا بالعكس الشمسية من جميع العالم ما لم يطبع من الكتب في هذا الموضوع.

إن حظ أهل ألمانيا في خدمة العلوم وتطورها معروف. فهم لم يقصروا في خدمة القرآن الكريم أيضاً، بل لم فضل على غيرهم من أهل الغرب في الأزمنة الأخيرة. وسندكر بعض مزايا اشتغالهم بهذا الباب.

### الطباعة

يقال إن أول طباعة للقرآن أعنى بها باكانيني في مدينة البندقية في ١٥٣٠، ولكن البابا الكساندر السابع غضب وأمر بحرق جميع النسخ. على كل حال أقدم نسخة مطبوعة وصلت إلينا هي ما أعنى بها أبراهام هنكلان في مدينة هامبورج (في شمالي ألمانيا) في ١٦٩٤.

### ترقيم الآيات

الحاجة إلى مراجعة القرآن تزداد كل يوم. وكتب تخريج الآيات توجد منذ قديم المصور في البلاد الإسلامية. ولكن هؤلاء المؤلفين أشاروا عادة إلى الحزب والركوع مثلاً، وكان الباحث يحتاج إلى قراءة نصف الصفحة تقريباً وأحياناً أكثر منه. أما العطور بال ضبط، فهو أسهل إذا كانت المراجعة إلى الآية، فإن الآيات لا تزيد سطراً وسطرين عادة. وأول من وضع فهرساً أجليداً للآيات القرآن وأشار إليها برقم السورة ورقم الآية هو كشتاف فلوكل، حتى أنه طبع قرآناً درج فيه رقم الآيات على كل آية. وهذا في سنة ١٨٣٤ في مدينة لايزيك. إن أهل الغرب لما يستدلون بالقرآن فهم عادة يذكرون السورة والآية حسب ترقيم فلوكل، ويقرأون ذلك الترقيم حتى في تراجم القرآن في لغاتهم. والذي يؤسف عليه هو أن فلوكل لم يعرف ترقيم الآيات عند المسلمين، بل اجتهد فأصاب وأخطأ. وفي الآونة المتأخرة طبع المسلمون القرآن في مصر وغيرها ودرجوا أرقاماً غير أرقام فلوكل، والفرق يصل

٣٣) حصلوا على العكوس الشمسية لآلاف من نسخ القرآن الخطية، من جميع الصور، وسافروا لأجله إلى جميع أنحاء العالم من الشرق والغرب، ومن البلاد الإسلامية وغيرها. وجمعوا من النسخ القديمة كل ما عثروا عليه، حتى على ورقة وورقتين. فحصل لديهم النسخ من القرن الأول للهجرة إلى عصرنا الحاضر. وكان غرضهم أولاً أن يقارنوا بين جميع تلك النسخ ويجمعوا اختلافات إذا كانت (ولم يجدوا إلا أغلاط الكتابة) ولكن بالحصول على هذه النسخ المصورة جمع لديهم ما سبى عليه مؤرخ الخط العربي، والتجليد وتزيين القرآن وغير ذلك من العلوم.

٤) يدعوا بأوسع تفسير للقرآن، فحصلوا لكل آية عليه خاصة ووضعوا فيها تفسير تلك الآية لكل مفسر من عصر الصحابة إلى عصرنا ورتبوا تلك الاقتباسات حسب زمن المفسر الأقدم فالأقدم. فكان من الممكن أن نعرف تطور التفسير لكل كلمة ولكل آية من القرآن. وكان العمل جارياً حين ضاع جميع ما كانوا قد كملوا. ومن الممكن الآن أن نجد أحد هذا العمل يدون أن يقتصر بالتفسير العربي، فقد فسره علماء الإسلام بجميع لغات بلادهم من الفارسية والتركية والمندية والخابية وغير ذلك، ولا يقال أن المعجم لم يزيدوا شيئاً على العرب. من حسن حظ العلماء الملمين أن أكثر تلك الوثائق الخطية محفوظة في العالم ولو ضاعت حكومتها الشمسية من معهد ميونيخ، ومن الممكن لمن عنده مال وشوق أن يعيد بل أكثر.

### ترجم القرآن بالألمانية

تأثير الخ القرآن

إن أكثر الكتب قراءة في العالم هو القرآن العربي، لاشك فيه، فيتلوه من يعرف العربية وكذلك من لا يعرفها من المسلمين في سائر أكناف العالم، لحصول الثواب الموعود على تلاوته.

لا نعرف أحداً من الأمم اعتمدت في إبان أمرها بكتابه الديني كما اعتمدت به المسلمون لصيانة أصله حتى يتناول على مر القرون والأجيال بدون زيادة ولا نقصان. من العلوم أن المسلمين يعتقدون أن القرآن ليس من كلام البشر بل هو كلام الله سبحانه نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي إليه. ومعلوم أيضاً أن القرآن لم ينزل ما بين دفعتيه مرة واحدة، بل نجا نجا في أثناء ثلاث وعشرين سنة (من ٦١٠ إلى ٦٣٢ م). وكان

هذا في جزيرة العرب. ولم يكن يوجد حين ذاك مطابع ولا إذاعات حتى إن علم الكتابة والقراءة كان من نوازل الأشياء. فقد أكد المؤرخون أن مكة، مسقط رأس النبي كان لا يعرف هناك الكتابة والقراءة قبل الإسلام إلا ١٧ رجلاً. وعكس أن يقدر إحصاء سكان مكة حينذاك بمئتي ألف. وزد عليه أن نبي الإسلام نفسه كان أمياً لم يتعلم العلم المكتوب كما صرح به القرآن.

فما يتدهش به الباحث هو أن هذا النبي الأمي اعتمد منذ أوائل بعثته بصيانية ما كان يوحى إليه. فكان يدعو أحداً ممن آمن به وعرف الكتابة أن يكتب ما عليه عليه، ويستنسخه الآخرون فينتشر النسخ بين الأمة. ثم يأتي وحى جديد، فيقبله النبي للاشاعة ويصرح أيضاً محل الوحي الجديد في مجموعة الأجزاء السالفة القرآنية (فلم يدون على ترتيب النزول، بل حسب مندرجات السور). ودام هذا هكذا إلى وفاته. — هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، أمر النبي أمته أن يتعلموا القرآن حفظاً، ولا يصح صلاة إلا بطلاقة القرآن عن ظهر القلب. وما يذكر أن كل مصل يجب عليه أن يقرأ قسمًا من القرآن في صلاته، وليس الإمام فقط، كما عند اليهود مثلاً. وحجم القرآن أكبر من حجم التوراة (الكتب الخمسة لسيدنا موسى) والأنجيل الأربعة معاً. فالحفظ بمثل لتصبح المكتوب، والكتابة تعد الحفظ. وله ناحية ثالثة: وهي أن النبي عليه السلام كان يأمر الناس أن لا يعتمدوا بمحض المكتوب من القرآن، بل يجب أن يقرؤوه من أوله إلى آخره حرفاً حرفاً إما عند النبي وإما عند من تعلم عند النبي. وعلم جراً في الأجيال التالية. فإلى هذا الوقت الأطفال المسلمون يقرؤون القرآن عند استاذ مستند وهو يعطيه سنداً عند تمامه يذكر فيه أن ما علم لميلده ذلك من القرآن هو كما تعلم هو من استاذ، وهذا الأخير من استاذ وكذلك استاذهم — وكلهم مسئولون — رافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد روي هذا المنهج الثلاثي لحفظ نص القرآن من وقت النبي عليه السلام إلى زماننا هذا ويوجد الآن في العالم ميثاق الآلاف من حافظي القرآن يعملون جميع القرآن عن ظهر القلب. فأصوب في تركيا فصبوب بمائتين وخمسين ألفاً، وهددم في البلاد العربية لا شك أكثر.

نزل القرآن نجا نجا طيلة حياة النبي، ولم يدونوه في صورة كتاب إلا عند وفاته. ولذلك لا يوجد نسخة كاملة من العصر النبوي. وما إنا لم يوجد التقوم والتاريخ عند المسلمين في ذلك العصر، لا يمكن تأكيد التاريخ



بسم الله الرحمن الرحيم

شَهِدَتْهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ زَيْبُ  
مَا لَيْبُ بَوْدِ الْبَرِّينِ آيَاتُ تَقْبُدُ وَيَاتُ  
سُتَيْبُ هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ  
صِرَاطُ الْبَرِّينِ نَقَمَتْ عَلَيْهِمْ غَيْرُ  
مَقْضُوبٍ عَلَيْهِمْ وَلَا الْفَضَائِلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ هُدًى  
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ هُدًى  
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ هُدًى  
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ هُدًى



والنهاية، وليت شعري لمن هذا الكتاب، أما البداية والنهاية لابن كثير فلم أجد فيه هذا الذكر.

ثم ذكر بزرگ بن شهریار (ق عجائب الهند ص ۳۰۲) أن علماء الهند ترجموا القرآن لتبليغ الدين قبيل ۲۷۰ هـ، ولعلها كانت بالغة السندية أو اللتانية. وذكر الجاحظ في البيان والتبيين، (ج ۱، ص ۱۳۹) أن موسى بن سيار الأسواري المتوفى ۲۵۵ كان يدرس تفسير القرآن بالفارسية. ووصل النيا ترجمة القرآن على أيدي علماء ما وراء النهر في سنة ۳۴۵ للملك منصور بن نوح الساماني، وأضافوا إلى الترجمة خلاصة تفسير الطبري المتوفى ۳۱۰. إن هذه الهيئة ترجمت القرآن وتلخصت التفسير بثلاث لغات: الفارسية، والتركية الشرقية والتركية الغربية، وجميع هذه النصوص وصلت النيا بمحمد الله وهي في مخطوطات. وكل هذا على أيدي المسلمين.

أما غير المسلمين، فعمل أطم السريانيون، فقد صر على كتاب جدل فيه ترجمة آيات القرآن بالسريانية، والمخطوطة على رقي في مكتبة مانستر، وأكد الاستاذ متكانا أنها لبارصلي الماصر للحجاج بن يوسف أي في الثلث الثالث للقرن الأول للهجرة. ثم أعني بها أهل أوروبا في الاندلس فتد ترجمه روبرتوس كيتينسيس الانجليزى الى اللاتينية في ۱۱۴۱-۱۱۴۳ م أى ۵۳۶-۵۳۸ للهجرة. ثم لم يزل العلماء المسلمون وغير المسلمين يترجمونه الى سائر لغات العالم ولا يزالون.

نشرت أنا في ۱۳۶۴ هـ (۱۹۴۵) كتابا اسمه "القرآن في كل لسان" يحتوي على أمرين: فهرسة التراجم القرآنية في كل لغة عرفها، كاملة كانت أو جزئية، وكذلك نموذج لسورة الفاتحة في جميع هذه اللغات. ثم جددت طبعه مرتين في ۱۳۶۵، و ۱۳۶۶ هـ. ففي الطبعة الأولى عثرت على التراجم في ۲۳ لغة، وفي الثانية على ۴۳ لغة، وفي الثالثة على ۶۷ لغة من لغات العالم. ولو أجد أسباب الطبع لأنشر الطبعة الرابعة وقد جمع لدى المواد لأكثر من مائة لغة. وما يذكر أن أكثر هذه اللغات تحتوي على غير واحد من التراجم. ففي لغة اردو أكثر من مائة ترجمة، ثم تليها الفارسية والتركية وفي كل واحدة منهما أكثر من خمسين ترجمة. وتراجم التركية توجد بالخط الاويفورى والعري واللاتيني وأثرألك روسيا يكتبون لغتهم بالخط الروسى ولكن ما أظهم تمكنوا بترجمة القرآن في البلاد الشيوعيين.

أما اللغات في سائر أوروبا، فيوجد فيها تراجم بالخط العري في لغة هسبانية، (ويسمونها الجهميادو)، ولتوانيا ويوغوسلافيا فيها عرفت. ساعدت بترجمة القرآن بالفرنسية

في ۱۹۵۹ فتد الطبعة الاولى (أكثر من اثني عشرة ألف نسخة) في اسبوعين، والطبعة الثانية في نفس السنة (خمس عشرة ألف نسخة) ونفذت في أقل من سنة واحدة، ورايت تجارب الطبع الثالث عند ما أكتب هذه الأسطر. وفي هذه الترجمة مقدمة في تاريخ تدوين القرآن وصيانه قرناً بعد قرن، وفهرسة تراجم القرآن باللغات الاوربية. وهاكم خلاصتها في جدول:

- ١ ( أراغونيتية
- ٢ ( اسوجية
- ٣ ( افريقانية (وهي لهجة من الولنديزية)، بالخط العري
- ٤ بالخط اللاطيني
- ٥ ( ألبانية
- ٥ ( الجهميادو (أى هسبانية بالخط العري)
- ٦ ( ألمانية
- ٧ ( انجليزية
- ٨ ( اوكرانية
- ٩ ( ايسبرانتو
- ١٠ ( برتغالية
- ١١ ( بلغارية
- ١٢ ( بوشناني (يوغوسلافية) بالخط العري
- بالخط الروسى
- بالخط اللاطيني
- بالخط العري
- بالخط اللاطيني
- ١٤ ( بوهيمية (من تشيكوسلوفاكيا)
- ١٥ ( تركية بالخط اللاطيني
- بالخط الاويفورى القديم (قطعات)
- بالخط العري (ق فهرسة الدكتور ماجد يشارواغلو) تقريرا
- ١٦ ( دانماركية
- ١٧ ( روسية
- ١٨ ( رومانية
- ١٩ ( ايطالية
- ٢٠ ( فرنسية
- ٢١ ( فنلندية
- ٢٢ ( لاطينية



merkungen und einem Register versehen, und auf Verlangen herausgegeben ... Halle 1773; zweyte verbesserte Ausgabe 1775.

9. August Wilhelm Haller, *Mohameds Lehre aus dem Kor'an* gezogen, Altenberg 1779.

10. Joh. Christian Wilhelm Augusti, *Der kleine Koran* oder Übersetzung der wichtigsten und lehrreichsten Stücke des Koran's mit kurzen Anmerkungen. Zur richtigen Kenntniss und Beurtheilung der von Muhamed gestifteten Religion. Weissenfels und Leipzig, 1798.

11. Joseph von Hammer-Purgstall, *Proben einer neuen Übersetzung des Korans in deutschem Reimen*, Wien(?), 1807—1834.

12. V. von Rosenzweig-Schwannau, *Vier Worte aus vier Büchern*, Tora, Psalter, Evangelium, Koran, in: Fundgruben des Orients 4/1812.

13. Conrad Melchior Hirszel, 7, zweite durch Beläge aus dem Koran vervollständigte Auflage, Zürich, 1822.

14. Friedrich Rückert, *Specimen*, Frauentaschenbuch 1824.

14a. Friedrich Rückert, *Der Koran*. Im Auszuge übersetzt; herausgegeben von August Möller. Frankfurt a. M. 1888.

15. H. Zschokke, *Die biblischen Frauen des Alten Testaments*, (darin einige koranische Stellen), Freiburg i. B. 1828.

16. Samuel Friedrich Günther Wahl, *Der Koran. Das Gesetz der Moslems durch Mohammed an Sola Abdollahi*. Auf den Grund der vormaligen Verdeutschung F. E. Boysens von neuem aus dem Arabischen übersetzt, durchaus mit erläuternden Anmerkungen, mit einer historischen Einleitung, auch einem vollständigen Register versehen ... Halle 1828.

17. L. Ullmann, *Der Koran*. Aus dem Arabischen wortgetreu neu übersetzt und mit erläuternden Anmerkungen versehen. Crefeld (Bielefeld, Velhagen und Klasing) 1840, 1842, 1853, 1857, Bielefeld und Leipzig 6. Aufl. 1872, 9. Aufl. 1897.

17a. neu bearbeitet durch Leo Winter, München 1958, Goldmann-Taschenbücher.

18. Georg Friedrich Daumer, *Muhamad und sein Werk* (Sura 2, 6, 11, 25, 33, 41, 44, 59, 61, 112) 1848.

19. H. Jolowitz, *Polyglotta der orientalischen Poesie* (Sura 99—104, 109), Leipzig 1853.

20. Alois Sprenger, *Das Leben und die Lehre Muhameds* (Auswahl von Koranversen), Berlin 1861—1865.

21. S. Blumenau, *Gott und der Mensch* in Aussprüchen der Bibel alten und neuen Testaments, des Talmuds und des Koran, Bielefeld 1876.

22. Martin Klamroth, *Die fünfzig ältesten Suren des Korans in geistreicher deutscher Übersetzung*. Mit einem Anhang über die übrigen mekkanischen Suren. Hamburg 1890.

23. Theodor Fr. Grigul, *Der Koran*. Aus dem Arabischen für die „Bibliothek der Gesamtliteratur“ neu übersetzt. Halle a. S. 1901.

٦	٢٣	بحرية (هجرية)
١	٢٤	نرويجية
٧	٢٥	ولندزية
١٨	٢٦	هسبانية بالخط اللاطين
٣	٢٧	يونانية

## تفصيل التراجم بالألمانية

نفسل فها يلى جميع ما عرفنا عليه من تراجم القرآن الكريم باللغة الألمانية:

1. Salomon Schweigger, *Alcoranus Mahometicus*, das ist: Der Türken Alcoran, Religion und Aberglauben ... Erstlich auß der Arabischen in die Italianische; Jetzt aber inn die Teutsche Sprach gebracht ... Inn dreyen unterschiedlichen Theilen ... Nürnberg 1616 und 1623. (1659, 1664)

2. Johann Andreas Endter und Wolfgang Endter, *Al-Koranum Mohamadanum*, Nürnberg 1659.

3. Johann Lange, 7, Hamburg 1688.

4. Everhardo Guenero Hapellio, *Thesaurus Exortum* Oder eine mit Ausländischen Raritäten und Gesichtern Wohlversehene Schatz-Kammer Fürstend die Asiatische, Africanische und Americanische Nationes ... Darauf folgt eine Umständliche von Turkey Beschreibung ... Wie auch ihre Propheten Mahometi Lebens-Beschreibung, und sein Verfluchtes Gesetz-Buch oder Alkoran. ... Hamburg 1688.

5. David Nerreters *Nou eröffnete Mahometanische Masschen*, worinn nach Anleitung der VI. Abtheilung von unterschiedlichen Gottes-Diensten der Welt Alexander Rossens Erstlich der Mahometanischen Religion Anfang, Ausbreitung, Secten, Regierungen, mancherley Gebruch und vermurlicher Untergang, Fürs andre, *Der völlige Alkoran*, Nach der besten Edition Ludovici Marracci verteutscht und künlich widerlegt wird. Nürnberg 1703.

6. Theodor Arnold, *Der Koran*, Oder inagemein so genannte Alcoran des Mohameds, Unmittelbar aus dem Arabischen Original in das Englische übersezt und mit beygelegten, aus den bewährtesten Commentatoribus genommenen Erklärungs-Noten, Wie auch einer Vorläufigen Einleitung versehen von George Sale. Auf treulichste wieder ins Teutsche verdolmetscht. Lemgo 1746.

7. M. David Friederich Megerlein, *Die türkische Bibel*, oder des Korans allererste teutsche Übersetzung aus der Arabischen Umschrift selbst verfertigt; welcher Nothwendigkeit und Nutzbarkeit in einer besondern Ankündigung hier erwiesen ... Frankfurt am Main 1772.

8. Friedrich Eberhard Boysen, *Der Koran*, oder: *Das Gesetz für die Muselmänner, durch Muhammed den Sohn Abdoll*. Nebst einigen feyerlichen Koranischen Gebeten, unmittelbar aus dem Arabischen übersezt, mit An-

# Der Türcken

## Koran/Keli-

gion und Aberglauben.

Auß welchem zu vernemen / Wann vnd woher  
Ihr falsche Prophet Nachomet seinen pfprung oder anfang  
genommen / hat was gelegenheit darich bis sein fabelwerd / dichterliche vnd  
narrische / sich geschiet vnd erfunden / Auch von seinen Tzäumen vnd  
verfälschten Witten / stand / Dancens vnder Zäntzen  
Töcken / Almeten / Sagen sampt andern Göttes  
dichterich vnd ceteranonien.

Erflich auß der Arabischen in die Teilsauffsche: Teht aber  
inn die Teilsche Sprach getradt.

Durch: Herrn Salomon Schweiggern / Pre-  
digen zu vnser Frauen Kirchen inn Nürnberg / sampt  
dessen trostlichen Bedenke /

Im dreyen vnder schiedlichen Theilen / vnd außgehend  
sein bedenklich die geschriben den Tzud gegeben.

Nürnberg

Inn Eimert Halbmayern Buchladen zu finden.

## Das ander Buch des Korans.

In welchem begriffen wirdt das Bei-  
sch / so Nachomet den Saracenen  
gegeben hat.

Der Nachometaner Gebett / welches sie  
die Mutter des Korans nennen.

**I**n Namen des barmherzigen göt-  
zen Gottes / des Herrn aller bingen / des rich-  
ters des zukünftigen Gerichts / der da ist hoch-  
gelobet allzeit / dich bitten wir / auff dich haben  
wir uns verlassen / führe uns auff den rech-  
ten Weg / auff den weg der zeitigen / die du hast  
misericordiet / vnd nider der zeitigen / über die du zurecht / nemlich  
die Ungläubigen.

Das I. Capitel.

**D**ieses Buch ist ohne allen Betrug und ohne einigen Ir-  
thum / es sagt denjenigen die Wahrheit / welche Göt-  
lichen / fischen und irden / welche gerne betten / gern Al-  
mosen geben / vnd die Götzen / so sie von allen demen Dorfahnen  
von Göttern / Himmel herab sein gegeben worden / in guter Be-  
trachtung halten. Die Hoffnung der zukünftigen zeit hat gemacht /  
des

سيفيان من الترجمة الإلهية للقرآن إلى ثلثها سلومون فوايبر في سنة ١١١١

32. Edv. Lehmann und Hans Haas, *Textbuch zur Religionsgeschichte*, 2. Aufl. Leipzig-Erlangen, 1922 S. 341—382.
33. Hubert Grimme, *Der Koran*, ausgewählt, angeordnet und im Metrum des Originals übertragen, Paderborn 1923.
34. Reinke, Auswahl in: *Polybiblion*, und *Litterarischer Handweiser für das katholische Deutschland*.
35. Maulana Sadruddin, *Der heilige Koran*. Übersetzung, Erklärung und Einleitung. Berlin 1939.
36. Richard Hartmann, *Die Religion des Islam* (Sura 81, 82, 99, 101, 112), Berlin 1944.
37. Baschiruddin Mahmud Ahmad, *Der Heilige Qur'an*, Arabisch und deutsch, Wiesbaden 1954, zweite neu bearbeitete Auflage 1959.
38. Ismail Balié, *Jafar*, Originaltext und Übersetzung, Wien 1953.
39. Henri Mercier (Auswahl), 1957 (? unsicher).
40. Rudi Paret, *Mohammed und der Koran* (mit zahlreichen Übersetzungsproben) Stuttgart, Kohlhammer 1957.
41. Rudi Paret, *Der Koran*, seit 1963 im Erscheinen begriffen, Wiesbaden.

24. Max Henning, *Der Koran*. Aus dem Arabischen übertragen und mit einer Einleitung versehen. Leipzig, Reclams Universal-Bibliothek Nr. 4206—4210, 1901, 1907 und oft.
- 24a. Neue Bearbeitung durch Annemarie Schimmel, Stuttgart 1960, 1963.
25. Erich Bischoff, *Der Koran*. (Auswahl) Leipzig, Th. Grieben 1904 (Morgenländische Bücherei Bd. 4).
25. Anonymous, *Der Koran*, Grundsätze der Mohamedanischen Lehre, Leipzig 1904.
26. A. Bertholet, *Religionsgeschichtliches Lesebuch*, Tübingen 1908, S. 361—379.
27. Joseph Hell, *Die Religion des Islam*, Jena, 1915, S. 3—25.
28. Ernst Harder, *Der Koran*. In Auswahl herausgegeben. Leipzig, Insel-Verlag 1915 (Insel-Bücherei Nr. 172).
29. Lazarus Goldschmidt, *Der Koran* aus dem Urtext wortgetreu übertragen, Leipzig, Berlin 1916, 1923.
30. Tomov und Skulev (?) (Vgl. ihre slavonische Koran-übersetzung).
31. Mahmud Muchtar Pascha, *Die Welt des Islam im Licht des Korans und des Hadith* (Auswahl), Weimar 1915.

# محمد إقبال والشقافة الإسلامية

بقلم راشد المحمدي

لقاها إقبال في بعض الجامعات الإسلامية في الهند، مثلاً على كره، مدراس وجيلاداد ونشرت تحت عنوان «إصلاح الفكر الديني في الإسلام» The Reconstruction of Religious Thought in Islam.

ولهذا العنوان صلة سرية بعنوان كتاب الإمام الغزالي «أحياء علوم الدين» وهذا بينه هو ما رآه إقبال.

ورفع إقبال صوته ينشر في الملة البيضاء روح القوة والتمرد ووضوح نصب عينه أن يفي مثاله الأمثل في الحان جاذبة ذائبة للقلوب، وسنحت له فرصة أن يلعب دوراً حاسماً لا في إصلاح الفلسفة الإسلامية فحسب بل في وضع أساس سياسة جديدة في الهند. وهذا أنه أعلن في المؤتمر السنوي للاتحاد الإسلامي Muslim League في مدينة الله آباد في أواخر كانون الأول سنة ١٩٣٠ ما فحواه أن النتيجة المنطقية لما نشاهده من تاريخ الهند هي أن تشكل منطقة مستقلة مسلمة في شمال غربي البلاد، وأن تكون هذه المنطقة المفروضة ضمانة لولايات السند (وهي أول قسم من بلاد الهند دخله العرب في عام ٧١١) والبنجاب وبلوچستان والحدود الشالية الغربية لأن هذه الانحاء ما زالت تحت سيطرة المسلمين منذ نحو ألف سنة، ورأى إقبال - وبالغ في ذلك من جاء بعده - أن المسلمين في الهند كانوا جمعية خاصة منفردة لا اختلاط لهم بالهندو لآمن الناحية الإجتماعية والإجتماعية ولا في العادات وظنوا أن امتزاج المثلين واختلاطهما سيؤدي إلى إخماد الملة الإسلامية. وكان تصريح إقبال هذا أصل الباكستان وأساسها الفكري كما قال نفسه:

أما الدول فتتولد في صدور الشعراء  
وتنشأ وتموت في أيدي أهل السياسة.

فولدت دولة الباكستان من أفكار إقبال الشاعر الفيلسوف. ولا يرتفع الشك في أن إقبال كان شاعر الإسلام الجديد وفيلسوف المسلمين التاهضين، وأنه قد عارض سياسة الدول الأوروبية وطريقها في استغلال نفوذها واستعمارها

قد مضت ٢٥ سنة منذ اليوم الذي لبى فيه محمد إقبال شاعر الباكستان دعوة ربه ورحل عن الدنيا القانية إلى الآخرة (٢١ نيسان ١٩٣٨)، وعلى ثغره ابتسامة السعادة؛ فإن الموت الحثائي لا يعلق به المؤمن الحقيقي أهمية ما وإنما هو باب يقود لحياة جديدة كما قال الشاعر نفسه في كثير من أبياته.

من كان هذا الشاعر الفيلسوف الذي افتخرت به أهل الباكستان ؟

ولد محمد إقبال في مدينة سيالكوت في البنجاب الشمالي في سنة ١٨٧٣ أو ١٨٧٦، وكان أجداده قد هاجروا من بلاد كشمير ويرجع تاريخ اسلامهم الى قبل ٣٠٠ سنة وكانوا قبلان من رتبة البراهمة في تلك المملكة. ودرس محمد إقبال في لاهور، ثم سافر الى أوروبا في سنة ١٩٠٥ وقد دعاه الى إنجلترا استاذة سر توماس آرنولد المستشرق الواسع الشهرة الذي كان قبل ذلك معلماً في لاهور وأخذ بحب الشاب المجهّد الذي كان أشهر في البنجاب بشعره حتى في عهد شبابه. ومن كامبرج حيث درس الحقوق والفلسفة جاء إقبال الى ألمانيا في تموز سنة ١٩٠٧ ولقاه في مدينة هابلدورج الشهيرة الرومانطيقية ليتعلم اللغة الألمانية فيها. ومن ثم رحل الى ميونيخ في تشرين الأول من السنة ذاتها وأقدم أطروحته للاستاذ هومل أحد المستشرقين المتخصصين في اللغات السامية. وقد اختار موضوعاً لأطروحته «تطور فلسفة ما وراء الطبيعة في إيران» وكان ذلك موضوعاً مثيراً ذا أهمية فائقة.

بعد حصوله على درجة الدكتوراه عاد إقبال الى إنجلترا وأتم دروس الحقوق فيها ثم رجع الى وطنه في صيف عام ١٩٠٨، وأقام بـلاهور حتى أن توفي الى رحمة الله. وكان يشغل بالهامة ويؤلف كتبه في أوقات فراغه؛ ولم يقتصر على نظم الأشعار باللسانين، الفارسي والأردوي فحسب بل صنف أيضاً مقالاتاً متعددة في مهمات الإسلام المصري، وزد على ذلك مجموعة من محاضرات

Art is a sacred lie.

Our soul discovers itself when  
it comes into contact with  
a great mind. It is not  
until I had reached the  
heights of Goethe's imagination  
that I discovered the narrow  
breadth of my own.

Human intelligence is not  
a thing, it is a process.

The charitable man really  
helps those - charitable, and  
the intelligent. For which

شكر الله كتور جاويد إقبال في لاهور الذي أرسلنا هذه الصورة وسامعنا في نشرها.

الألماني « شعراً قصصياً غير منظوم » وكتب أيضاً في  
بعض مكاتيبه:

إن هيغل في نظر الملة الألمانية أكبر من افلاطون  
وفي الحقيقة هو أكبر منه إذا أخذنا بنظر الاعتبار  
قوة الخيال.

ولكن بعد ذلك عملة صرف إقبال نظره عن هيغل لانه  
قد اكتشف فلسفته الخاصة الذاتية التي تنافي وحدة  
الوجود. وصار يظن أن هيغل « كان صده عديم الدور »  
ويصف إقبال في شعره في « رسالة الشرق » حالته  
الروحية عند مطالعته تأليفاً من تأليفات المفكر الألماني  
ويقول:

ليلة بت اعاني حلها  
ذاك من ابرز في إبداعه  
تجمل العالم من افكاره  
سرت في بحر له فالتقطت  
نفث النوم بعيني صوره  
فإذا بولنا جلال الدين الروي قد دخل:

قال: قم يا ايها التأمم هل  
تمخر السفن ارب القيعان.\*

(\*) ترجمة: عبد الوهاب عزام.

as Europe is at bottom a  
my for husband, rather  
sister, is not a thing more than  
a root of the unexplored.

It is further found - and it is  
supposed to have been written by  
the German philosopher - which  
reveals the whole of the German  
nation. And the Germans are  
fully conscious of it.

Love is more than desire. The latter  
is a desire to have some material  
gold, the former turns not to have  
happiness and itself. Love is  
something more absolutely correct in  
the knowledge of the nature of love,  
but it is then happiness for the whole  
of the world.

صديقتان من سيرة عهد إقبال (سنة ١٩١٠).

الأراضي واحتلالها ببلدان الشرق وبالخاصة الهندستان،  
ورأى الشاعر أرباب السياسة الإنجليزية كمثلي الألبس،  
وكان اعتراضه على تغرب المسلمين الظاهر شديداً جداً  
ولم يتوقف عن كتابة الأهاجي القارصة ضدهم بالرغم من  
أنه قد أقام في أوروبا وأطلع على آكار مفكرها أطلاعا  
كاملا.

ومع اعتراضه للغرب والقديم الحية كان إقبال معجباً  
كل الإعجاب بثقافة مملكة واحدة في الغرب وهي المانيا.  
وثبت له أن

مهمة الأمة الألمانية هي تنظيم العلم الإنساني

ويدور تأثير فلسفة المانيا وشعرها في تأليف إقبال كلها  
سواء أكانت منظوماً أم مترواً.

أما بخصوص تأثير الفلاسفة عليه، فقد كان استاذ إقبال  
في إنجلترا أحد ممثلي المدرسة الهيغلية Hegelian أي من  
أنواع الفيلسوف الألماني هيغل (المتوفى عام ١٨٣٢) ولا  
كان شاعرنا في عنوان مشابه قريباً من الأفكار المتصورة  
وبالخاصة من نظرية وحدة الوجود استحسن فلسفة  
هيغل وفلسفة تلازمته لكونها ليست ببعيدة عن هذه  
النظرية بكثير. ووصف إقبال حينئذ آثار الفيلسوف

وان كان هذا الشعر معارضاً لفلسفة هيغل ولكنه صنف رابعاً أكثر هجاء يطعن به الفلسفة المفردة التي لا علاقة لها بالحياة على ما هي وقال:

إن حكمته عقلية ولم تدخل خلوة الزفاف مع المحسوسات  
وان كانت بكر فكره قد تربت بلباس العرس.  
هل تعرف من هو طير عقله الذي حلق به في اجواء السماوات ؟  
كان دجاجة وضعت بيضة من فرط الجرد بدون مشاركة ديك

وكان لإقبال بعد عودته من أوروبا إلى وطنه قد قضى مدة من الزمن في التفكير والتذكر الى ان اوجد فلسفة جديدة ترك بها الطرق التقليدية الموروثة وقام بأفكار غير معهودة في عالم الإسلام. وقد عاينه على ذلك حركة فلسفية تسمى الفلسفة الحيوية Vitalism ومن يمثلها المشهورين في فرنسا برجسون Bergson واما في المانيا اويكن Eucken ولوتس Lotze. ويظهر تأثيرهما في الفلسفة الذاتية وفي نظرية الحياة الابدائية التي صارت تشكل مركز القوة في إفكار إقبال بعد عام ١٩١١. وليس هذا التأثير افتراضياً بل هناك بعض التصانيف للفيلسوفين الألمانين في مكتبة الشاعر الخاصة المحفوظة الآن في «اسلامياكوليج» بلاهور.

وكتب إقبال في كتابه الأول الفارسي الذي الله في شكل مثنوى يوزن مثنوى مولانا جلال الدين الرومي وصماه «اسرار خويدي» أي «اسرار الذاتية» (١٩١٥):

ان الذاتية اساس الحياة فالله تعالى ذات والإنسان ذات، وحياة الإنسان تتجلى في هذه الذاتية.

وهذا الفكر شقيق لافكار فلاسفة المذهب الحيوي. واما فكرة التطور الابدائي حتى الى بد الموت فهو ايضاً موافق لنظرية هذا المذهب.

ودعا إقبال في كتابه المذكور المسلمين ان الى يفهموا ان الإنسان خليفة الله كما قال القرآن المجيد، وعليه ان يفتح الموابه الفطرية جميعها في الشخصية الإنسانية الكاملة وان يصير الإنسان متمماً لخلق الله، عاملاً في اصلاح الدنيا، وكلما ازداد معرفة ونوراً وقوة قرب من الله الذي هو الذات المطلقة الكاملة والشخصية الشاملة.

ولما قرأ مسلو الهند ما كتبه محمد إقبال في كتابه هذا لم يفهموا لاول مرة أن فلسفة الذاتية انما هي تطور بعض الافكار الإسلامية القديمة المهد، وما رأوا فيها إلا تأثيراً

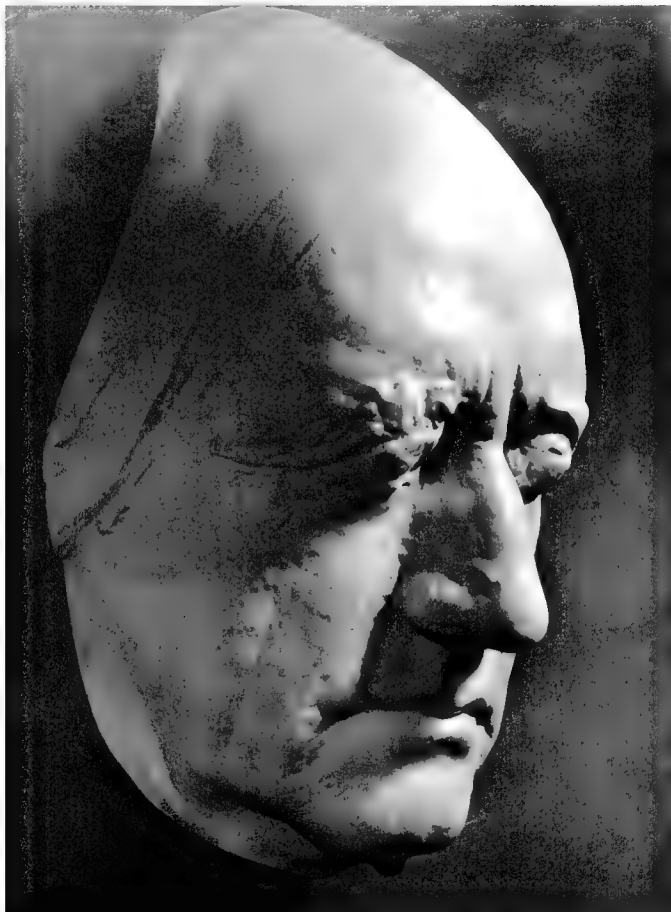
غير إسلامي وادعوا - وادعى بعدهم الكثيرون من المتخصصين - ان إقبال قد استعار فكرة الإنسان القوي الحر (سوبر مان) من نيتشه Nietzsche، والحقيقة هي ان فكرة إقبال اصلها نظرية الإنسان الكامل في التصوف الإسلامي. اما نيتشه فان تأثيره مبن في بعض النواحي من فلسفة إقبال؛ فن الوجهة الأولى بلفت الحركة الحيوية قسمها في نيتشه الذي اشتملت مأساته وشخصيته عقل محمد إقبال وقرينته الشعرية أكثر من تأثيره من أي فيلسوف غربي آخر. وكان لإقبال قد عزم على تأليف كتاب بعنوان «كتاب نبي مهمل» وكتب مخطوطة «انه سيألفه بأسلوب المهديين القديم والحديث وبأسلوب كتاب نيتشه هكذا تكلم زرادستر» ولكنه لم يتم تصميمه هذا. وربما يولج في تأثير نيتشه على كتاب «أسرار» وذلك للصدمة العقلية التي عقيبت نشر هذا الكتاب. فان الأراء المعروضة فيه كانت تثير الأندعاش للوهلة الأولى عند قراءتها لحسبانها إسلامية الأصل. وإقبال نفسه كان يصير على رأيه بأن نظرية الإنسان الكامل نظرية إسلامية عتة وأنها ليست مقتبسة عن نيتشه ولكننا نرى أن ما كتبه نيتشه على الإنسان المثلوق (سوبرمان) كان يمثل خمرة في تأثيره على تكوين آراء إقبال. فمن الواضح أننا نجد أمثال وتوريات في كتاب الأسرار نستطيع ارجاعها الى نيتشه كما فعلنا بأمثال الماس والفهم او الماس وقطر الندى.

وربما جعلنا ضمن هذه التأثيرات « المراحل الذاتية الثلاثة » ولكن الذي جعل إقبال يجذب للفيلسوف الألماني كان بالأحرى شجاعة الإرادة وبطولها التي تقبل الحياة كما هي وتحاول السيطرة عليها. وكذلك فهما متفان بأن للآلام قيمتها الإيجابية:

«علينا لذلك أن نقول مع نيتشه «دعهم لآلام الحياة. اما شونهاور فانه لم يمنح الآلام قيمتها اللافتة بها». هذا هو ما كتبه في ملاحظاته لكتاب الأسرار وهو يشابه قوله في قصيدة «شونهاور ونيتشه» التي كتبها بعد مضي بضع سنوات وفيها يقارن بين الأول - الذي يصفه بطير دائم التلحمر - وبين البطل الذي يلقنه الدرس التالي:

«دع علاجك يكن الألم نفسه إن كنت مريضاً، وتعرف على الشوك لتصبح بكاملك حليقة»

الحازفة بالحياة والبحث عن الأخطار هما وسيلة لتطور الشخصية ومحاولة لأتمام الإنسان بكتليته - هذه هي آراء نيتشه التي اقتبسها إقبال هذا الشاعر الذي كان من النظرية الفسائية لا يقل عن نيتشه مقاما كفيلسوف نبوي. ولكن عبقرية نيتشه وتطوره الفسائي ادباً في النهاية الى



احتطام هذا الأبناء الدنيوي. وكتب إقبال بذلك يقول:  
 «لقد ظن نبشته المسكن أن الرؤيا التي أوجت اليه عن  
 الذات الكاملة ستحقق في علمنا هذا علم الزمان والمكان.  
 كانت هذه النهاية الفاتحة القدر المحتوم للفيلسوف الألماني  
 ورعما فهم إقبال هذه النهاية فيها أفضل من فهم الكثيرين  
 عن التقاد الأوربيين له. فهو يصف في سنة ١٩١٠  
 تصرفات أوروبا نحو نبشته بأنها متقلة بصورة غريبة:  
 «إن فلسفة نبشته - أو لنقل على الأقل فلسفته الأدبية -  
 هي محاولة منطقية لتبرير تصرف أوروبا ومع ذلك فإن  
 هذا الفيلسوف الأرسطراطي يلقى ذمّا إجماعياً في أوروبا  
 ولم يمر إلا على القليلين الذين ادركوا معنى جتونه»  
 بعد مرور عشرين سنة على هذا القول قدم إقبال تقريراً  
 ذا فائدة كبرى عن محاولات نبشته وعن فشله النهائي  
 - بحسب رأي إقبال: -

«إن حياة نبشته ونشاطه يكونان لنا نحن الشرقيين مسألة  
 ذات أهمية من وجهة الفلسفة الدينية فإن نبشته كان  
 مهتماً بالفطرة للقيام بهذه المهمة (أي ليجمع صلة بين  
 الذات الدنيوية وبين نسق الحياة الأبدية) فسرة عقله  
 ليست بدون مشابه في تاريخ التصوف الشرقي. في لا يتكر  
 هو انه حصلت له رؤيا حقيقية بخصوص الألفية على  
 الانسان. ومع ذلك فإن نبشته فشل وفشله راجع على  
 الأخص الى فلسفته من قادة الفكر مثل شوبنهاور وداروين  
 ولانج فقد اعماه نفوذهم تماماً عن فهم الأهمية الحقيقية  
 للرؤيا التي حاز بها. فبدلاً من أن يبحث عن القاعدة  
 النفسية التي يستطيع بواسطتها تطوير الألفية الموجودة حتى  
 في الإنسان المعاصر ويجعل بذلك من مستقبل غير متناه،  
 كان نبشته مدفوعاً الى تحقيق رؤياه بواسطة مذاهب  
 أخرى مثل مذهب الأرسطراطيين للمتطرفين. فلهذا فشل  
 عمقري حاز على رؤيا من قوة الداخلية فقط وبقى غير  
 مشر لفرقه الى إرشاد خارجي في حياته النفسية.»

إن التصوف الإسلامي يعرف طبقة المأذبي الذين يصلون  
 الى درجة نفسية بواسطة بعض الاختبارات غير المعروفة  
 وهم في الوقت ذاته مغلول العقل نوعاً ما يعيش الواحد منهم  
 عادة دون قيادة مرشد روحي يقوم بمساعدته على الوصول  
 الى مرتبة عليا من الحياة الروحية. فاذن يظن إقبال انه  
 من الممكن مقارنة نبشته بالمغلوب ولكنه ليس بمحتو  
 عادى بل انه رجل صمد لمن الارتقاء دون أن يستطيع  
 استخدام اختياره ودون أن يكون بحيازة معلم أو مرشد  
 ليوقده. ويحتم إقبال النص السابق بذكر قول زراستر  
 من كتاب نبشته نفسه:

«اني باحتياج الى مساعدة، اني باحتياج الى تلامذة،  
 اني باحتياج الى معلم: يا ما الله الطاعة»  
 يرى إقبال مصير نبشته مشابها لمصير الحلاج. فانه حاول  
 مثل شهيد الصوفية هذا أن يبه العالم من سباته العميق  
 وانه جاهد ضد صعوبات جملة معلنا الحرب على المدنية  
 الأوروبية المحافظة على التقاليد وضد اخلاق الاستعداد  
 وضد تأثيرات المسيحية المنحرفة. وهذا هو سبب آخر  
 لتألمه من عدم فهم معاصريه له،

الذين وضعوا نبضه في يد الطبيب  
 وهذا القول يذكنا بقصيدة الحلال الدين الرومي عن  
 فتاة كانت مريضة بالجلب ولم يستطع احد أن يتحرى  
 سبب مرضها. فان كفاح نبشته ضد الحضارة الأوروبية  
 من جميع نواحيها اثار متجانسة في قلب اقبال

ثار من ضعف الاناسي قلبه  
 فبرى الخلق المكمل لبه  
 فتنة في الغرب من ذي جنين  
 كان في دار الزجاجة غمره\*

ولكنه لم يأخذ بأزائه دون انتقاد ولم يرفضها كلياً بل عاش  
 خوض هذه الآراء وانتصر عليها في الباطن بحسب طلب  
 باردياف الروسي من كل مؤمن بالنسبة لنبشته.  
 لقد لخص إقبال ما يدعوه رودولف بانويتس «القيمة  
 الإبداعية للعلمية التي لا تنكر الا لتثبت» في رمز الامان  
 الاسلاي: «لقد توقف نبشته عند قوله لا إله»، وكذلك  
 وضع اقبال متناً جديداً لحديث نبوي شريف فقال عن  
 نبشته «قلبه المؤمن ولكن عقله كافر» وذلك لأنه شعر  
 بأن نبشته مازال باحتياج الى شيء آخر لأنه لم يجد في  
 مسيحية القرن التاسع عشر ذلك الإله الذي يلائم ذوقه.  
 «فان الله الخيال المسيطر كان مضاداً لفكرته عن الله.  
 فلذلك لم يجلب نبشته الهاً جديداً بل فتح أكبر هوة بين  
 هذا التصور الحاكم والله ذاته.

وكان إقبال متأكداً أن باستطاعته تعليمه نظرية الله التي  
 كان نبشته نفسه يسمي بها وهي نظرية اله الاسلام  
 اله السامية غير ملوث بالفكر الفلاسفة اليونان. وفي مجال  
 آخر يتأسف إقبال على أن نبشته لم يعيش في عصر أحمد  
 سرهندي (المتوفى ١٦٢٤) مصلاح الاسلام الهندي الذي  
 حاجم ميل التصوف الاسلاي الى نظرية وحدة الوجود.

ولكن بنفس القدر الذي شعر به إقبال بالعلف بنبشته  
 الذي حسبه أملاً له بعيداً يبحث ويسعى نحو الحقيقة  
 - مع انفصاله عن الرحي الألهي ينبوع الحياة - كان

\* ترجمة: عبد الوهاب عزام.

انا سيف الدوران  
انا عن الحيوان

انا سياد مقيم  
إن في خرة بوى  
الف كون، فانظرها في ضميرى تستسر  
ونجوم في حباك وقباب في خضر

انا ثوب الانسان  
انا سر الرحمن

واوضح احد الرياضيين الكبار في الباكستان الدكتور  
رضي الدين الصديق هذا الشعر شربا مكلاب شعريا للنظرة  
النسبية وسالة الزمان. ونجد لحة أخرى عن هذه النظرية  
في «تجلى زروان» اى الآله الإيراني للوقت الذى يشكل  
مشهدا في مثنوى إقبال للمسعى مجاويد نامه.

وما اختص به محمد إقبال الشاعر الفيلسوف انه وان ابدى  
اعجابه بالفلاسفة الكبار وارباب التفكير فانه كان يفضل  
عليهم بعض الشعراء من بينهم جويته الألماني ومولانا  
جلال الدين الرومي. إن تأليفات الفلاسفة الألمان مثل  
هيجل ونيتشه وجدت ترجمة بالانجليزية، اما الشعراء  
فان ترجمة اشعارهم لا تكفى لظهور جمال الاصل. ولاشك  
ان إقبال كان يحب ان يقرأ الشعر الألماني، وإن اتقانه اللغة  
الألمانية أمكنه من الاطلاع على حسن العبارة والتعمق في  
المعاني كما ينبغي. وقد حكمت عليه بيكم - وهى صديقة  
الشاعر منذ سنة ١٩٠٧ - وقد رافقته في رحلته من لندن الى  
المانيا - انه تعلم اللغة الألمانية جيدا لما اقام في هايدلبرج  
وتدربها عند معلمتين في هذه المدينة (ومن نتائج هذه  
الدراسة غزل لفرانك الاسلوب سهل العبارة ملهم من شعر  
مشهور لحويته «انشودة المساء» Wanderers Nachtlied  
ترجمه إقبال بالأردو في ذكرى مساء ذى حلاوة على شاطئ  
نهر نيكار) وبعد ذلك - ان اعتمدنا على كتاب عطيه بيكم -  
كتب إقبال مقالة باللسان الألماني حول بعض قضايا تاريخ  
الدنيا في امتحانه، وبقي هذا العلم في ذهنه مع انه ما عاد  
يتكلم بالألمانية فيها بعد.

وكان يفضل آثار جويته على كل ما قرأه من الشعر في  
الغرب وحتى على أكثر ما طالع في الشرق ومن رأيه  
اننا نستطيع ان ندرس تحليل الروح الانسانية من  
آثار الفلاسفة والنفسانيين، ولكننا لا نستطيع ان نفهم  
ما هى حقيقة الطبيعة البشرية الا عند مطالعة آثار  
جويته.

(\*) ترجمة: عبد الوهاب عزام.

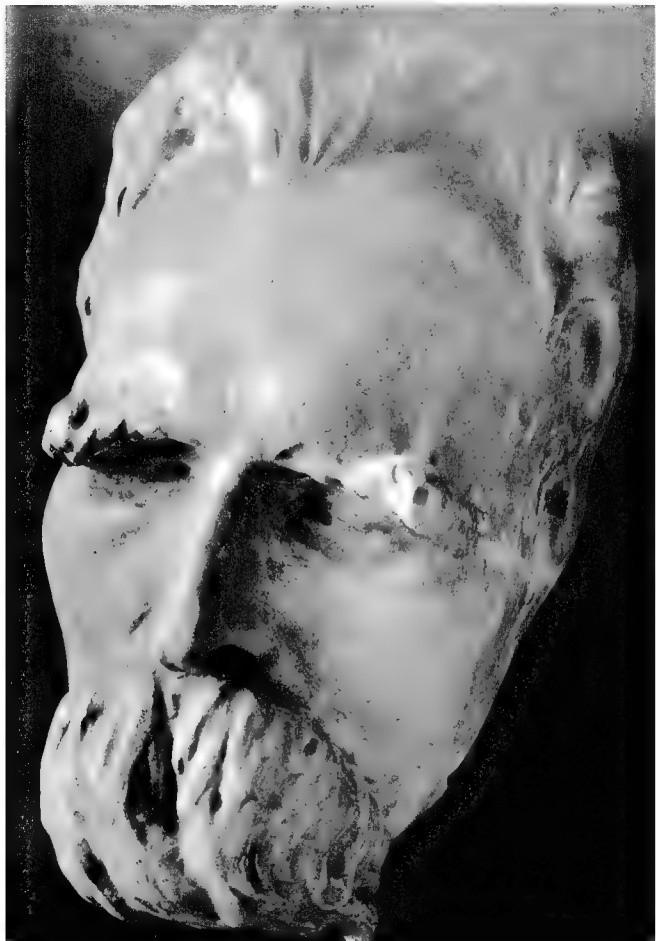
إقبال يرفض رأيه بخصوص التكرار الأبدى. فكذب في  
كتاب «جوايد نامه» بطريقته الشخصية - وهى التعبير عن  
الحقائق الفلسفية والدينية برموز - عن نيتشه بأنه يطر  
ما بين سماء زحل وبين الفردوس في دوائر أبيلية يكررها  
مرة بعد الأخرى ثلاثة بيت واحد فقط. فهذا تعبير بسيط  
ولكنه مصيب عن التكرار الأبدى. ليست الحياة تكرر  
المحاولات نفسها مدى الزمان بل هى حلقة ومدهشة فى  
كل لحظة، مبدعة وغر مرتبطة بأى تكرار. واننا نجد  
النقد الفلسفى للتكرار الأبدى موضوعا بالتفصيل في  
«المحاضرات» حيث يرفضه إقبال قائلا: «انه ليس الا نوعا  
مستطفا من الفلسفة الآلية وانه لا يقوم على حقائق ثابتة بل  
على فرض علمى .... اننا لا نطمح إلا لما هو جديد على  
الاطلاق ولكن هذا الجديد لا يمكن الأخذ به على رأى  
نيتشه قطعيا، لأن ما يمتنه نيتشه ليس افضل بشئ من  
الاعتقاد بالقضاء والقدر بل هو أسوأ من الاعتقاد المسى  
وقسمه» فهذا المبدأ لا يؤهل الحماة الإنسانى قطعيا للقيام  
بمجهود الحياة بل يميل لخدم استمداه للعمل ويجلب التوثر  
«الذاتى»

ومن الطبعى ان إقبال ما كان يطالع كتب فيلسوف  
واحد فحسب بل استطاع كذلك على آثار فلاسفة اوروبا  
الآخرين، وعلم عليهم أهمية كبرى. واعتبر فلسفة كانت  
Kant (المتوفى سنة ١٨٠٤) افادة كاملة لتاريخ ألمانيا  
الاجتماعى والسياسى وكتب في مذكرته في عام ١٩١٠  
ان هذه الفلاسفة وبخاصة دور والأمر المطلق» فيها  
لا يمكن فهمها إلا بعد الاطلاع على التاريخ السياسى  
للشعب الألماني، وطن ان خشانة التعبير عن القروض  
التي تمتاز بها فلسفة كانت كانت نتيجة طبيعية للتطور  
الاجتماعى والسياسى في العصر الثامن عشر.

ومن بين المفكرين المعاصرين في اوروبا كان اينشتاين  
Einstein هو الذى جذب انتباه إقبال، وقد قرأ ما  
قرأ في حق النظرية النسبية واستفاد من هذه النظرية  
كل استفادة في تشكيل افكاره، وقل بالاحرى ان هذه  
النظرية كانت من اهم دعائم فلسفة إقبال الذى كان  
متأكدا بان هذه النظرية ستفتح فصلا جديدا لا فى علم  
الطبيعة فحسب بل فى علم اللاهوت وتاريخ الاديان ايضا.  
وكتب إقبال نظمته الفارسية المشهور بنشيد الوقت وقال فيه:

قد احاط الشمس حجوى وحوى الانجم صدى  
انا لاشئ ولكن فيكم روحى تسرى  
انا فى دور وقفر انا فى كوخ وقصر  
انا داء ودواء انا عيشة يسر





وكانت محيية للشاعر عريقة الاصل متينة الاساس وكان قد سماه في اوائل عمره احمداً لرمزا غالب الشاعر الشهير في بلاد الهند (المتوفى عام ١٨٥٩) عندما ذكر في غزل اردوى له وقرجويته في بستان وايمره وفي شعر آخر له يطلب الى النسيم

لروض وايمر تهدي الصبا سلام مشوق  
وصار جويته في نظر اقبال الملك الامثل لصنعة الشعر وكان  
احب اليه من سائر شعراء الغرب والشرق كلهم ان  
استتبنا مولانا الروى. وادرج في مذكرة له في سنة ١٩١٠:  
ما كنت اصدق ضيق خيالي انا الا بعد ان تعرفت  
على وسعة الخيال الانثائى عند جويته  
وكرر مثل هذه الجملة بعد ١٢ سنة عندما صنف شعرا  
اهداه الملك افغانستان الذى عرض اقبال له ديوانه «رسالة  
الشرق» وقال فيه عن جويته:

هو من الاورويين الشبان، شبيه بالرق  
ولكن شعلتي انا انا تتأجج من نفس مشايخ الشرق  
وقد ولد هو في بستان ونشأ ونبغ  
اما انا، فن تراب عظم النبع  
وهو شبيه بعنديل في بستان الاصباح  
اما انا، فشبيه بجرس القافلة في الصحراء  
كلانا عارفاً بضمير الكائنات  
كلانا عالمان بالحق التي تنشأ من المات  
كل واحد منا حسام لامع في الصباح كالمرآة  
ولكن هو سيف مسلول، وانا سيف في عمده  
نحن جوهرا نوا قيمة، براقان،  
في بحر بلا ساحل مولودان  
وقد اهتز هو سورا في اعماق البحر  
حتى كسر قشر الصدف فصدر  
اما انا فلامع الى الآن في الصدف  
وفي اعماق البحار ما من مصادف.

هذه الايات مأخوذة من الكتاب الذى افقه اقبال في  
جواب الديوان الغربى الشرقى لجويته فيها «ديان مشرق»  
اى رسالة الشرق، وعبر عن سبب تصنيفه بهذه الالفاظ  
في نفس المقدمة المنظومة لرسائله هذه:

ان شيخ المغرب الشاعر الالمانى  
وهو نقش الحسناء الابرارينة  
قد رسم نقش القنصاة الظرفية  
وبلغ المشرق سلاماً من جانب الافرنج  
والفت انا حبيباً له رسالة الشرق  
مشيماً شعاع البحر على مساء الشرق.

واحتوى ديوان اقبال المشار اليه ايضا مقدمة مثورة  
بالادوية (الديوان نفسه هو بالقارى) اخر فيها القراء عن  
مدى الدور الذى يلعبه الادب الشرقى في الادب الالمانى  
وقال في هذه المقدمة:

نظمت بياض مرق لاجيب به الديوان الغربى لفيلسوف  
الحياة الالمانى جويته الذى يقول فيه الشاعر الالمانى هاينه:  
وهذه باقة من العقائد يرسلها الغرب الى الشرق وتبين  
من هذا الديوان ان الغرب ضيق بروحانيته الضعيفة  
البائدة فتطلع الى الاقتباس من صدر المشرق\*\*  
ثم اخذ يصف تأثير الشرق على تاريخ الادب الالمانى في  
اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر وذكر  
قادة الفكر المشهورين مثل هررد وجويته حتى وركوت  
وبوندستادت. واتم الباب قافلاً:

لعل هذا البحث المختصر يثير قلب احد الشبان للتحقيق  
والتحقيق في هذا الشأن

ثم مضى اقبال يقول

واما بياض مشرق الذى كتب بعد الديوان الغربى بمائة  
سنة فلست في حاجة الى الالمانية عنه. فسرى الناظرون  
فيه بانفسهم ان اكثر ما يرى اليه هو النظر في الحقائق  
الاخلاقية والدينية والمذهبية التي تتصل بالترية الداخلية  
في الافراد والامم. ولاريد ان بين المانيا قبل مائة سنة  
واحوال الشرق الحاضرة تشابهاً ما، ولكن الحقيقة ان  
الاضطراب الباطنى في اُم العالم - الذى لا نستطيع  
تقدير خطره الآن لاننا متأثرون به - هو مقدمة انقلاب  
حضارى وروحانى عظيم جداً.\*\*

وهذا الكتاب الجميل الذى كان اول جواب للشرق على  
ما سماه اقبال «الحركة الشرقية في الادب الالمانى» قد ترجم  
قسماً منه الدكتور عبد الوهاب عزام لما كان مقيماً لمصر في  
الباكستان، واحسن الترجمة المنظومة. وان الديوان المذكور  
مرتب مثل ترتيب ديوان جويته وهو محتوى على خمسة  
اقسام: (١) شقائق طورميستان، اى رباعيات، (٢) افكار،  
وهي وافكار شرقية في صور من الوزن والقافية مختلفات  
وهو اكر اقسام الكتاب قيمة؛ والقسم الثالث الخمر  
الباقية وهي قصائد من الضرب الذى يسمى في الفارسية  
غزليات. وقد سار الشاعر فيها على طريقة حافظ الشيرازى  
وامثاله في عرض افكار دقيقة على صور شعرية جميلة يغلب  
فيها الرمز (عزام، ترجمة، ص ١١٠، ١١١) وبليه «نفس  
الافرنج» والدقائق.

\*\* ترجمة: عبد الوهاب عزام.  
\*\* ترجمة: عبد الوهاب عزام.

➤ فريدريخ فيخته (١٨٤٥ - ١٩٠٠)، قال: وجه الميت؛ محبوبة  
قوالب وبجوه الاسودات ن المتاحف الدولية في برلين. الصورة: فريدريخ  
ايشن، برلين.

اما نقش الافرنج فهو عبارة عن التأكيد الساحق والتحليل الحاد لحياة الأوروبيين وفلسفتهم التي تحت سيطرة العقل البارد المرد، والسياسة القاتلة، وبينما وقع بصر الشاعر في الشرق على منبع العشق الالهي ما رأى في الغرب شعاعاً من نور الإيمان ولا ذرة من الحبة وقد نسيت في بلاد الافرنج شفقة عيسى المسيح وروحانيته وصار الافرنج من الماديين الظالمين.

يا ربيع عني  
عالم الافرنج جهرا  
أعما العقل اسر  
زاده التحليق أسرا  
يتحدى العشق برقاً  
مه هذا العقل فرا  
بصر العقل وكان العشق  
بالاكباد ادري  
تبصر الاعين لونا  
حينما تبصر زهرا  
وراء اللون معنى  
هو اجل منه يدري  
ما عجبنا ان اعجاز  
مسيح بلت خيرا  
قد عجبنا لمريض  
داؤه عندك انراهم

ومع تنكيده هذا للغرب نجد في رسالة الشرق ذكراً جليلاً للادباء الألمانين بالعموم ولجوئته بالخصوص. وقد تبنى إقبال بعض أفكار جوئته، ويبدو انه قرأ واعاد قراءة بعض اشعاره حتى اهتمته ف نظم شعراً جديداً حول عني لل موضوع ، يحافظ فيه على الروح الاصلية ويقدمه لمواطنيه في الهند. والمثال الابرز لهذه الطريقة هو القصيدة التي استعار الشاعر المسلم فكرها من شعر جوئته «نغمة محمد» وكتب نفسه : ترجمتها مع تصرف كثير. وفي هذا النظم الذي كتب قبل «ديوان الغرب» بكثير احسن الشاعر في بيان تصوير الاسلام الحلي، وقد اراد بهذا النظم ان يكون جزءاً من قصة اسلامية لم تكمل. وانما اردنا بهذه الترجمة ان تبين عن رأى جوئته فحسب.

وقال في ابتداء هذا النظم الذي سماه ب «النهر» :  
انظر النهر جارياً في هيام  
بين خضمر المروج مثل المجره  
كان في المهد في السحاب نوما  
شاققة السر في مروج وخضرة  
يبعث اللحن جارياً فوق صخر  
صافي اللون في بهاء ونضرة  
يقصد البحر ذا العباب طروباً  
وغروفا عن كل شيء غريباً\*\*  
ومثال اخر هو نظمه «الحجرو والشاعر» وهو معارضة لقصيدة

(\*) ترجمة: عبد الوهاب عزام.  
(\*\*) ترجمة: عبد الوهاب عزام. وقد نعتت الترجمة الحرية لشعر جوئته المذكور في السقة الأولى من مجلته هذه.

«الحجور والشاعر» لجوئته في «باب الحفة» من ديوانه الغربي الشرق ، وله رد إقبال الذي ترجمه بالأد صوت.

تشكو الحجور:  
لا تخمر يوماً تطيسك ولا إلينا انت ناظر  
ويقول الشاعر:

قلبي على قلق كما  
تهفو الصبا حول الخمائل  
وأذا شربت من الربيع  
الكاس تسرى في المفاصل  
أشدو بشعر أخضر  
وربمعي الآتي اغازل  
طلبي النهاية في السدى  
لا ينهي فيه المسائل  
لا صابر نظري ولا  
قلبي عن الآمال غافل  
تودى قلوب الماشقين  
بدارة الخلد المواسل  
لا صوت يحزون ولا  
ألم ولا واس يسائل\*\*  
وقد ذكرنا ان إقبال قد افرد في وصف آثار جوئته، فاعجبه غاية الإعجاب هو «فاوست». قاربه بن هذه الفاجعة وبين مشنوى مولانا جلال الدين الرومي لان في كليهما موضوع العشق الالهي وعجالة الانسان بالقوى الشيطانية، وقال في «رسالة الشرق» :

جلال وجوئته  
شاعر الألمان في روض ارم  
فاز بالصيحة من شيخ العجم  
شاعر يشبه ذا العالي الجناب  
ما نيلنا لكن ذو كتاب  
قص للعارف بالسمر القديم  
ما وحي إبليس وللشيخ الحكيم  
فأجاب الشيخ يا رب العلاء  
انت صياد ولكن في السماء  
قد خلا فكرك في القلب السليم  
فأجد الروح في الكون القديم  
فرايت الدر في قاع البحار  
وديبب الروح من خلف الستار  
ليس كل قد تجلي العشق له  
ليس كل اهل هذى المنزل  
قد تجلي لسعيد المسمى  
مكر إبليس وعشق الآدمي\*\*

وكان تأثر «فاوست» في روح إقبال اعظم مما كان تأثر أي كتاب من الادب الاوربي، وظن ان هذا الكتاب أشير بـ  
يصور المثل الاعلى لهمم الروحية التي تختص بها  
المة الألمانية

(\*) ترجمة: عبد الوهاب عزام.  
(\*\*) ترجمة: عند الوهاب عزام.

وانه

اتقرب الى الروحانية الالمانية من الانجيل  
وغالى في وصفه حتى انه قال فيه :  
لا يكاد يقل عن بدع الله ذاته

(Nothing short of Divine Workmanship)

وهناك في ابتداء «فاوست» مشهدان مهمان وهما «التمهيد  
السوى» و «التمهيد في الأرض» واستعمل إقبال تنظيمها  
وربب على اثرها شعيرين في ابتداء مثنوي الكبير الفارسي  
المسمى بمجاويد نامة الذى يبحث فيه معراج الروح في  
مرافقة مولانا جلال الدين الرومي وكيف تنقل من مرتبة  
الى مرتبة ومن فلك الى فلك حتى تصل الى حضرة رب  
العالمين. وما عدا التمهيدين المتقدم ذكرهما فقد استفاد  
الشاعر ايضا من مشهد اخر من «فاوست» وهو «غناء  
المللكاه» وهم عند جويته يسبحون ويحمدون الله اما في جاويد  
نامه فهم يرجعون بالانسان الذى قوى ذاته وصار خليفة الله.  
ونرى ايضا في شخصية ايليس كما صوره إقبال تأثراً  
قوياً لجويته. وفي «فاوست» كان ميفيستو، اى الشيطان  
«الروح المنفية التي تريد الشر وتعمل الشر» لان تطور  
الشخصية الانسانية ليس ممكناً الا بالجهادة الدائمة مع  
الشيطان، وهو في الحقيقة القوة التي تحث الانسان على  
الترقى، وبهما يجاهد الرجل فانه يرتفع درجة بعد درجة  
في الحياة الروحية، وما زال يحارب الى ان صار ايليس  
له خادماً صادقاً لا يأمر الا بخير - كما قال رسول الله  
«اسلم شيطاني» - واستحسن إقبال تصوير الشيطان الفنان  
في «فاوست» واعجب به، لانه قد وجد فيه مشابة  
بارزة بينه وبين تصوير ايليس في نفس تصانيفه مثلاً في  
«رسالة الشرق» وبعد ذلك في جاويد نامه.

اما هذه المحبة لجويته التي تتجلى في آثار إقبال كلها فليست  
عادية وطبيعية لأننا نجد بها في انسان في بلاد الهندستان في  
اواخر القرن التاسع عشر اى في بلاد كانت فيها اصول  
الترية الانجيلية مختا وكانت احياء الشعراء الانجليز معروفة  
عند الطبقة المثقفة. ومن الغريب ان مسلماً الهند لم يقبلوا  
تأثير شاكسبير مثل قبولهم لتأثير جويته. وقال بعض اصنفاء  
إقبال، السيد نذير نيازى، في مقالة له وعلاوات مع  
إقبال :

ان إقبال هو الذى حول علاقتنا الى جويته وبالطبع  
ان شاكسبير هو مؤلف فريد نعرف كلنا بعبقريته؛  
اما جويته فقد حل في قلوبنا وصار واحداً منا.

وكان قد ترجم النكتور السيد عابد حسن في مدرسة  
«جامعة ملية» في دلي القسم الاول لفائوست في حولى

سنة ١٩٣٠ وطلب اليه إقبال ان يكلل ايضا القسم الثانى  
وكان مستعداً لمحاوئته في ذلك. وظن إقبال ان ما يحتويه  
«فاوست» من التعبيرات الغريبة في نظر الغرب كان سبب  
الفهم لأهل الشرق وقال :

عندما كنت مقبياً في المانيا سحنت في فرص كثيرة  
لاشرح للامان التعبيرات الصعبة وأوضحها وكان لذلك  
تأثير عميق لدى السامعين الالمان. وكان جويته يظن  
ان الرجل الذى لم يدرك تاريخ ألف سنة ولم يتفهم  
فهو ليس على قسط من الثقافة او الترية الحقيقية.

(وهذا يدل على بيت الشاعر الالمانى قال فيه :

Wer nicht von dreitausend Jahren  
sich weiß Rechenschaft zu geben,  
bleib im Dunkel unerfahren,  
mag von Tag zu Tage leben.

وبدل إقبال الثلاثة آلاف الفا واحداً فقط. ومضى يقول:  
ليس من الممكن ان كل انسان في المانيا يستأنس  
التعبيرات والرموز والاهامات التي كان جويته قد  
اقتطعها من ادب الشرق. اما نحن فنستعمل مثل هذه  
التعبيرات في كلامنا البورى، ولذلك ما كان من الصعب  
على ان افهم هذه الايات، وقد تعجب الالمان غاية  
التعجب لسهولة شرحى لهذه التعبيرات.

وعرف إقبال ان جويته - مع وسعة ذهنه - كان اخاً له  
في مختلف اتجاه الفكر. فقد قام الشاعر الالمانى ايضا بقوة  
الشخصية وبنظرية التطور الايدى، وكتب في ديوانه الغنى  
الشرقى ان «السعادة العليا لبني آدم هي الشخصية» .  
ورأى كلامها ان الاستقلال في الفكر والابتكار يبين عن  
الذاتية وان التقليد يضعفها أو يبيتها.

وما نجد اعلان الحقبة اكرم من ان إقبال في محاضراته  
المشهورة اخذ جويته شاهداً لنظريته بان الله هو اللاتية  
الكاملة الشاملة وان فيه الامكانات الالهائية وقال :

The not-yet of God means unfailing realization of  
the infinite creative possibilities of this Being  
which retains its wholeness throughout the entire  
process

وأثبت هذه الكلمة بشعر جويته :

Wenn im Unendlichen dasselbe  
Sich wiederholend ewig fließt,  
Das tausendfältige Gewölbe  
Sich kräftig ineinander schließt,  
Strömt Lebenslust aus allen Dingen,  
Dem kleinsten wie dem größten Stern,  
Und alles Drängen, alles Ringen  
Ist ewige Ruh in Gott dem Herrn.

# نَازِكُ الْمَلَايِكَةِ

## خَمْسُ أَغَانٍ لِلْأَلَمِ

NÄZIK AL-MALĀ'IKĀ, FÜNF GESÄNGE AN DEN SCHMERZ

Er ist der Spender zur Nacht von brennender  
[Qual und von Leid,  
Schenke, die Augen uns tränkend mit Bechern  
[von Schlaflosigkeit.  
Wir fanden ihn an unserm Wege  
An einem Regenmorgen  
Und gaben ihm von unsrer Liebe  
Ein Streicheln, kleines Lächeln, das verborgen  
In unserm Herzen pulste.  
Und nicht verließ er uns, und nicht verschwand  
Von unserm Pfade er,  
Uns folgend durch des Daseins weites Land.  
Ach, hätten wir ihn lieber nicht getränkt  
An jenem Morgen, kummervoll gebannt!  
Er ist der Spender zur Nacht von brennender  
[Qual und von Leid,  
Schenke, die Augen uns tränkend mit Bechern  
[von Schlaflosigkeit.

مهدي ليلينا الأسمى والحرق  
ساقى مآقينا كوؤس الأرق  
نحن وجدناه على دربنا  
ذات صباح مطير  
ونحن أعطيناه من حبنا  
روبة اشفاق وركناً صغير  
يبض في قلبنا  
فلم يعد يتركنا أويثيب  
عن دربنا مرة  
يتبعنا ملء الوجود الرحيب  
يا ليتنا لم نسقه قطره  
ذاك الصباح الكئيب  
مهدي ليلينا الأسمى والحرق  
ساقى مآقينا كوؤس الأرق

•

Wie könnten den Schmerz wir vergessen,  
Ach, wie vergaßen wir ihn?  
Wir werden ihn trinken, wir werden ihn essen,  
Wir folgen dem Irrwege noch seines Schritts.  
Und wenn wir schlafengehn, ist sein Skelett,  
Sein düstres, das letzte, was wir hier sehn,  
Und seine Züge das erste, was  
Wir sehen werden am Morgen früh.  
Wir werden ihn mit uns tragen, wohin  
Uns Wunsch und Wunde auch tragen mag.

كيف نلسى الألم  
كيف ننساه ؟  
سوف نشربه سوف نأكله  
وسنقتو شرود خطاه  
واذا تمنا كان هيكله  
الجهنم آخر شيء نراه  
وملاصحه هي أول ما  
سوف نبصره في الصباح  
وسنحمله معنا حينما  
حملتنا إلى والجراح

Wir werden erlauben, daß Dämme er baut  
 Zwischen unserem Sehnen und dem Mond,  
 Zwischen unserer Glut und dem kühlen [Teich,  
 Zwischen unseren Augen und der Schau.  
 Wir werden gestatten, daß Unglück er streut  
 Und Trauer in unsere Augenwinkel.  
 Beherbergen werden wir ihn, ganz tief  
 In berauschten Falten unseres Sangs!  
 Einmal jedoch wird ihn fortreißen der Strom,  
 Und Dornen werden ihn betten,  
 Vergessen wird sinken auf unser Tal!  
 O Trauer ... nun gute Nacht!  
 Wir werden den Schmerz vergessen,  
 Vergessen werden wir ihn.

سنبيح له ان يقيم السدود  
 بين أشواقنا والقمر  
 بين حرقنا وغدير برود  
 بين أعيننا والنظر  
 ونسمح أن ينثر البلى  
 والأسى في مآقنا  
 وسنؤويه في ثنية نشوى  
 من ضلوع أغانيها  
 وأخيراً ستجرفه الوديان  
 ويوسده الصبر  
 وسيسقط وأدنا التسيان  
 يا أسانا ... مساء الخير  
 سوف ننسى الألم - سوف نساء.

o

Wo ist der Schmerz hergekommen?  
 Woher kam er zu uns?  
 Verschwistert seit alters unserem Traum,  
 Hütet er unsere Verse.  
 Wir nahmen ihn gestern mit in die Tiefen der  
 [Wasser,  
 Zerbrachen ihn dort, zerstreuten ihn zwischen  
 [die Wogen,  
 Wir ließen kein Ach von ihm, und keine Klage  
 [bestehen  
 Und glaubten nun sicher zu sein vor all seinen  
 [Plagen —  
 Traurigkeit würde nicht mehr unser Lächeln  
 [verwunden,  
 Hinter den Liedern bitterer Gram sich nicht  
 [bergen ...  
 Doch dann erhielten wir glühenden Dufts eine  
 [Rose:  
 Freunde sandten sie uns von jenseits der Meere.  
 Was erwarteten wir? Ruhiges Glück und  
 [Gefallen?  
 Aber erbebend vergoß sie feurige Tränen,  
 Tränkte die Finger uns mit den traurigsten  
 [Weisen.  
 O Schmerz, wir lieben dich!  
 Wo ist der Schmerz hergekommen?  
 Woher kam er zu uns?  
 Verschwistert seit alters unserem Traum,  
 Hütet er unsere Verse.  
 Wir sind ihm Lippe und Durst,  
 Er belebt und er tränkt uns.

من أين يأتيها الألم ؟  
 من أين يأتيها ؟  
 أتى رؤانا من قدم  
 ورعى قوافينا.  
 أمس اصططحناه الى لبحج المياه  
 وهناك كسرناه ، بلدناه في موج البحيرة  
 لم نبق منه أهد لم نبق عبره  
 ولقد حسبنا اننا عدنا بمنجى من اذاه  
 ما عاد يلقى الحزن في بساتنا  
 او نجىء القصص المريرة خلف اغنياتنا  
 ثم استلمنا وردة حمراء دافئة العير  
 احباينا بعثوا بها عبر البحار  
 ماذا توقعنا فيها ؟ غبطة ورضى قرير  
 لكنها انتفضت وسالت ادعما عطشى حرار  
 وسقت احباينا الحزنيات النهم  
 انا نحبك يا ألم  
 من أين يأتيها الألم ؟  
 من أين يأتيها  
 أتى رؤانا من قدم  
 ورعى قوافينا  
 انا له عطش وفم  
 يحى ويسقينا

١. و. ناي ، صورة حائط من مدخل دار الاوبرا الالمانية في برلين شارلوتنبرج .  
 فنكر الاوبرا الالمانية في برلين الى ساعدت بنشر هذه الصورة وانمت علينا بالكلية.







Ach, ist's uns nicht möglich, den Schmerz zu  
[besiegen,  
Und ihn bis zum Morgen, zur Nacht zu ver-  
[schieben?  
Ablenkend mit Spiel ihn, befriedend mit Liedern,  
Mit uralten Märchen vergessenen Klänge?

Doch sage: wer könnte es sein, dieser Schmerz?  
Ein liebliches Kindchen mit fragenden Augen,  
Gestillt durch ein Schmeicheln, ein zärtliches  
[Streicheln —  
Wir lächeln und singen — dann schlummert es  
[ein ...

O Finger, uns leitend zu Tränen und Reue:  
Wer anders verschloß unsrer Trauer sein Herz,  
Kam weinend dann zu uns, bat uns, ihn zu  
[lieben?  
Wer sonst teilte lächelnd die Wunden uns aus?

Der Kleine — unschuldigster aller Bedrucker —  
Ist freundlicher Feind er uns, streitender Freund?  
Willst, Streich, du, wir sollen die Wange dir  
[bieten,  
Nicht tadelnd im Innern, ja, ganz ohne Schmerz?

Sei milde, mein Kindchen, mit Hand und mit  
[Lippe!  
Gräbst Furten für Tränen im Auge du uns,  
Und reizt unsre Wunden und reizest sie wieder —  
Schon lange vergaben wir Qual dir und Schuld. . .

Im Morgengrauen krönten wir als Gottheit dich,  
Auf deinen silbernen Altar die Stirn preßt' ich,  
Schmerz, unsre Leidenschaft!

Wir räucherten mit Leinsaat dir, mit Sesam dort,  
Wir brachten Spenden, murmelten Beschwörungs-  
[wort  
Mit Babels Sangeskraft.

Den Tempel richteten wir dir mit Moschus rein,  
Mit Öl den Boden sprengend und mit klarem Wein,  
Mit Tränen, brennenden.

اليس في امكاننا ان نغلب الالم ؟  
نرجعه الى صباح قادم ؟ او امسية ؟  
نشلغله ؟ نقتعه بلعبة ؟ او اغنية ؟  
بقصة قديمة منسية النغم ؟

ومن صباه ان يكون ذلك الالم ؟  
طفل صغير ناعم مستفهم العيون ،  
تسكنه هويدة وريثة حنون ،  
وان تبسمنا وغنينا له ينم

يا اصعباً اهدى لنا الدموع والتدم !  
من غمره الخلق في وجه اسانا قلبه ،  
ثم اتانا باكياً ، يسأل ان نحبه ؟  
ومن سواه وزع الجراح وابقسم ؟

هذا الصغير ... انه ابرأ من ظلم .  
عدونا الحب او صديقنا اللدود ؟  
يا طعنة تريد ان تمنحها خدود ؟  
دون اختلاج عاتب ، ودونما ألم .. ؟

يا طفلنا الصغير سامعنا يداً وفم !  
تحفر في عيوننا معايراً للادمع  
وتستبصر جرحنا في موضع وموضع .  
لانا غفرنا الذنب والايداء من قدم .

نحن توجناك في هومة الفجر إلها  
وعلى مذبحك القضى مرغنا الجباهنا  
يا هوانا يا ألم

ومن الكتان والسهم أحرقنا بخورا  
ثم قدما القرايين ورتلنا سطورا  
بابليات النغم

نحن شيدنا لك المعبد جدراناً شديدة  
ورشنا أرضه بالزيت والحمر اللقية  
والدموع المحرقة

Aus Palmstroh haben Feuer wir für dich entfacht  
Aus unserm Schmerz, aus dürrern Korn — die  
[ganze Nacht,  
Mit Lippen, schweigenden.

Wir rezitierten, riefen dich, gelobten schon  
Dir Brot und Wein, und Datteln süß aus Babylon,  
Der Rosen Freudenglanz.

Wir traten vor dein Angesicht mit Opfern dann,  
Die heiße Träne sammelnd, die freigiebig rann,  
Geformt zum Rosenkranz.

Du, dessen Hand uns Lieder schenkt und Melodie!  
O Weinen, Weisheit spendendes! O Sinn-  
[Quell, sieh,  
O Reichtum, Fruchtbarkeit!

O Rache, draus Erbarmen träufelt, o Mitleid  
[streng —  
Wir bargen dich in unsern Traum, und in die  
[Klänge  
Der Lieder voller Leid!

*Aus dem Arabischen von Annemarie Schimmel*

نحن أشعلنا لك التراب من سعف النخيل  
واسانا وهشيم القمع في ليل طويل  
بشفاه مطبقة

نحن رتلنا وناديتنا وقدمنا النور :  
بلع من بابل السكرى وخبز وخمور  
ووورود فرحة

ثم صلبنا لعينيك وقربنا ضحية  
وجمعنا قطرات الدمع الحرى السخية  
وصنعنا مسيجة

أنت يا من كلمه اعطت لحونا وأغاني  
يا دموعاً تمنح الحكمة، يا تبع معاني  
يا ثراء وخصوبة

يا حناناً قاسياً يا نعمة تقطر رحمة  
نحن خبأناك في أحلامنا، في كل نعمة  
من أغانيات الكتيبة

ان احدى الشخصيات الادبية، الممتلئة للنشاط الفكرى الحى في الجمهورية العراقية وللانتاج الادبى السوسى بصورة عامة هي السيدة نازك الملائكة، الشاعرة العراقية ذات الاسم الزنان في العالم العربى كله . وهذا الاسم الزنان لم تخلقه الشاعرة بنفسها ، وانما هو احدى ثمار هذه العائلة العراقية العريقة ذات الاصول الادبية العميقة والانتاج الفكرى المتنوع . وكان مولد الشاعرة في قلب العاصمة العراقية بغداد يوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢٢ من أب ذى صيت كبير في العالم الادبى ، هو الاستاذ صادق الملائكة استاذ اللغة العربية وآدابها في معاهد بغداد ، ومؤلف دائرة معارف الناس ، وهي موسوعة ضخمة عن سر جميع الشخصيات التى سجلها التاريخ الحضارى العربى والاسلامى ، وعن ام شاعرة فذة هي السيدة أم زرار الملائكة ذات المقاطع الجودانية الجميلة والقصائد الوطنية الملهمة . قد نشأت نازك في هذا الجو الادبى الشعرى الخصب ، فلا عجب منها ان اقتبست روحها الشعرية من والدها والروح الادبية النافذة من ابها المتبحر في علوم العربية ، وقد تلقت نازك علومها الادبية في قسم الاداب بكلية دار المعلمين ببغداد ، ثم درست سنوات في ثانويات بغداد واستطاعت ان تكتل دراساتها في الولايات المتحدة الامريكية ، ثم تعود الى وطنها العراق لكي تدرس في كلية الاداب بجامعة بغداد .

والشاعرة نازك الملائكة شاعرة عراقية حساسة ، خاضت جميع معارك العراق الادبية اعمانا منها برسالة الفنان الانسانية ومعبداً للفن للفن ، وان كان ذلك قد ابدعها كثيراً عن واقع الشعب العراقى وجعلها توصف بالخيال والازنواء في الارج العاجى ولكنها استطاعت بترائها الاصيل المنبعث من المنابع الشعرية الغزيرة في العائلة الملائكية ان تجيد في نظم الشعر العربى حسب التقاليد الشعرية العريقة ، فاصدرت ديوانها الاول : «عاشقة الليل» سنة ١٩٤٩ ، وتلته مجموعتها الشعرية الثانية وشظايا ورماده سنة ١٩٥١ ، وفي هذه المجموعة اخذ الادب الاوروبى يؤثر عليها ويترك طابعه في شعرها وانتابها حمى الشعر المنثور التى شملت الشعر العربى في العقد الاخير ، وبدا ذلك الانجاء خاصة في مجموعتها الشعرية الاخيرة «قرارة الموجة» التى صدرت عام ١٩٥٧ .

عدا ذلك انتجت السيدة نازك الملائكة الكثير من الادب الناقد والدراسات الفنية وكلها تتصف بالذاتية الفارقة ، وتختلف كثيراً عن النقد الادبى الموضوعى الهادى الذى تمتاز به اخبتها الادبية الشابة السيدة احسان الملائكة .

## ملاحج شرقية ف الأدب الألمانى القديم

### بارتسيفال

بقلم دكتور مصطفى ماهر - القاهرة

كان الانجاء السائد آنذ استحياه قصص بيزنطية أورويات تاريخية أو أسطورية وصياغتها بالأسلوب الجديد الذى نما وازدهر بما دخل فيه من العناصر العربية من ناحية ومزج هذه القصص بنواذر وحكايات نابغة من المعين العربى الاسلامى فى اسبانيا من ناحية ثانية .

ونحن اذا سعينا لاستجلاء المؤثرات العربية الاسلامية صادفتنا مصاعب جمّة :

أن موقف الكنيسة والسياسة فى أوروبا كان موقف العداء للإسلام والعرب ، وكانت أجهزة الاعلام فى يد رجال الدين من قساوسة ورجال نخب معالم القضاة الآتى من ناحية الاسلام والعرب بل تجهد فى اظهار الخير على أنه شروئيه فى ذلك ما تصل اليه من مؤلفات وأخبار . ويكفى أن نذكر على سبيل المثال «ترجمة القرآن الى اللغة اللاتينية فى عام ١١٤٣ بتكليف من بيروس فينيرايليس Petrus Venerabilis كبير دير كلونى . هذه الترجمة تشويه واضح للقرآن وتفسيه آياته وعرض للإسلام بما ينافى الواقع والحق . وقد نجح ذلك الموقف العدائى فى حمل الادباء على تحاشي ذكر المصادر العربية الاسلامية وإن لم ينجح فى إيقاف توارد العناصر الخفية من هذه المصادر .

ويضاف الى هذا أن الكتابة والتأليف والنشر كانت فى يد طبقة معينة لا تعدى حدودها لندرة الورق والحبر وقلة الكتب النساخين . فلما ظهرت المطبعة وغيرت هذا الوضع تغير موقف أوروبا من الاسلام والعرب بالتدريج ومال الى الانصاف .

فلا ينبغي أن نغى أنفسنا باكتشاف النصوص الأهلية والمصادر التى أثرت أثرًا مباشرًا على الانتاج الادبى فى ألمانيا فى العصر الوسيط ، وإنما علينا أن نلجأ الى استخلاص عناصر بعضها وتتبع تطورها قبل التأثير العربى الاسلامى وبعده . وسوف أقدم الآن للقارئ سطورًا من قصة

المطلع الى الأدب الاوروبى فى العصر الوسيط عامة والى الأدب الألمانى خاصة عيده قد تأثر أعظم الأثر بتيار الثقافة العربية الاسلامية الحاراف الذى انساب الى البلدان الاوروبية عبر الحدود المشتركة الطويلة بينهما . حمل هذا التيار الثقافى الى أوروبا أفكارًا كثيرة وتراكيب لغوية وأنواعا أدبية وصورًا بياينة بدعية وأفلاطون وأسما عديدة من صميم الحياة العربية الاسلامية فى صورها المتطورة آنذاك . فبعد أن كان الأدب الألمانى فى عصوره الأولى مقصورًا على ترجمات للكتاب المقدس والصلاة والأدعية لا يكاد يتعداها الى أنواع أخرى من الأدب القصصى والشعر الغنائى ، وبعد أن كان الشعر الألمانى خاليا من الثقافية بالمعنى الذى نعرفه معتمدا على موسيقية تكرر حرف بعينه فى أوائل الكلمات نمجده فجأة ينفى الثقافية حتى تصبح من مقوماته ويوسع افق موضوعاته .

أما الأدب القصصى فقد بدأ فى مطلع القرن الثانى عشر علمحتن مقتبستن من الأدب الفرنسى المتأثر بالأدب الأندلسى المأخوذ . أما الملحمة الأولى فيطلق عليها «انشودة الاسكندر» وتحكى نشأة الاسكندر الأكبر وحملاته التوسعية خاصة فى الشرق فى فارس والهند وتورد فصلا عن أسوار حاجزة عالية تذكر برواية القرآن عن ذى القرنين والصور المتبع الذى بناه . وتمتج «انشودة الاسكندر» بكثير من الانقصاوص والناذر الشرقية التى لا سبيل الى انكار شرقيتها . وأما الملحمة الثانية فهى «انشودة رولانده» التى تحكى اللقاء الفريجة بالمسلمين فيما بين فرنسا واسبانيا وتمجد بطولة الفرسان المسيحيين وتصف الفرسان المسلمين بضد ذلك . وتنسب للمحتمل أن مؤلفين من القساوسة فقد كان القساوسة والرجال فى ذلك العصر أرباب الأدب والفكر يستأثرون هما ويشكلاهما حسب وجهتهم . لهذا لا نجد أدبيا واحدا ترجم علا من العربية الى لغته وإنما



«هاينريش المسكن» الى ألقها الأديب الألماني هارتمان فون أوى في أواخر القرن الثاني عشر حتى يرى مصداقنا لما نقول به :

„er was ein bluome der jugent,  
der werltvreude ein spiegelglas,  
stæter triuwe ein adamas,  
ein ganzin krône der zuht.  
er was der nôthaften vuht,  
ein schilt sîner mäge,  
der milte ein glichiu wäge:  
im enwart über noch gebrast.  
er truoc den arbeitsamen last  
der êren über rücke.  
er was des râtes brücke  
und sanc vil wol von minnen.  
alsus kunde er gewinnen  
der werlde lop unde pris.  
er was hôvesch unde wîz.“

والى القارئ ترجمة ذلك بالعربية. والنص حيازة عن وصف لبطل القصة:

«كان زهرة الشباب  
ومرأة سماعة الدنيا  
وماسة الاخلاص الدائم  
وتاج الأدب الكامل .  
كان ملاذ اللاجئين  
ودرع التابعين  
وقسطاس الحلم المستقيم  
فى غير زيادة أو نقصان  
كان يحمل عبء الشرف  
التقى على كاهله .  
كان جسراً للتصبيح  
وكان حصن الشقى بالفرز  
فاستطاع خلاله هذه  
أن تجنى مدح الدنيا وثناها .  
لقد كان أديبا حكما .»

هذه اللغة الملوحة الغنية بالصورة البيانية والبديعية تنطق بالروح العربية .

فإذا انتقلنا الى أديب آخر من أدباء العصر ذاته وهو فولفرام فون اشينباخ وجدنا أمثلة كثيرة أعظم أهمية. فان فولفرام فون أديبا أعظم أديب أوروبا فى العصر الوسيط كله وهو أيضا أكثر أدباء زمانه تأثرا بالثقافة العربية الاسلامية . ونحن لا نعرف عن حياة هذا الرجل أى شىء على الاطلاق

لا نعرف أين ولد ولا نعرف أين تعلم ولا نعم أين حل وترحل . ولكن عندنا من الدلائل ما يجعلنا نتخذ أنه ولد حول عام ١١٧٠ وتوفى بعد عام ١٢٢٠ وأنه ينتمى الى سلك القروسية وأنه من بلد ما فى جنوب ألمانيا وأنه تعلم ما تعلمه وحده يحده واجتهاده وتأدب فذاغت شهرته وتثقل من بلاط الى بلاط .

فهو إذن من عصر آخر غير عصر صاحب أنشودة الاسكندر وأنشودة رولاند انتقلت فيه القيادة الأدبية الى مواطنين من غير رجال الكنيسة ، ربما كانوا أقل ثقتنا وعداوة من رجال الكنيسة وربما سمحوا لأنفسهم بالاشارة الى مصادر عربية اسلامية اغترفوا منها وذكر العرب والمسلمين بعض الخير .

خلف فولفرام فون اشينباخ ثلاث مؤلفات هى

- بارتسيفال
- فيلهايم (لم يم)
- تيودريل (لم يم)

وستقتصر حديثنا هنا على المؤلف الأول بارتسيفال . بارتسيفال ملحمة متشابكة كثيرة العناصر متعددة الشخصيات مختلفة المناظر. فى قسم منها تحكى قصة جاحموريت والد بارتسيفال ورحلته الى الشرق وفى قسم ثان تحكى عن بارتسيفال وعن جافان وتبع تطورها فى معرفة الدنيا والله وسر الوجود وفى قسم آخر تحكى عن هاينريش ابن جاحموريت الذى ولدته له ييلاكانه ملكة المور الشرقية . وهى على أى حال تربط الشرق والغرب فى صورة جديدة تنبض بالتفهم والتقدير لأفكار الغير وإن خالفت أفكارنا وتسمى الى الباطن بعد الظاهر .

هذه الملحمة شرقية الأصل قرر فولفرام نفسه مرارا أنه تلقاها عن شخص اسمه «كيوت» من البروفانس (جنوب فرنسا) المتأخر لاسبانيا) كان قد تعلمها فى أصلها العربى . يقول فولفرام مثلا :

Kyôt ist ein Provenzäl,  
der dise Äventiur von Parzival  
heidensch geschriben sach.

(PARZIVAL VIII, 416)

يعنى

«أما كيوت هذا فكان من أهل البروفانس  
وقد اطلع على قصة بارتسيفال  
هذه مكتوبة بالعربية»

أن العناصر العربية والكلمات العربية والأسماء العربية الواردة في الملحمة تدفع الى الاعتقاد في وجود أصل عربي للملحمة ربما جمع فيه كاتبه قصصا وأحداثا من المعين الفارسي والمندى على نحو ما فعل صاحب ألف ليلة وليلة أو أصحابها . أما أننا لا نحتكم على هذا الأصل العربي الآن فهذا أمر ألو، فقد أدت الظروف العنصرية الكثيرة التي مرت على الدولة الإسلامية مرارا الى ضياع الكثير من المخطوطات القديمة .

واليك بعض العناصر العربية والكلمات العربية التي اخترتها لك :

عندما اختلف جاحموريت، ابو بارتسفال، مع أخيه على الحكم قرران يتوجه الى أعظم حاكم على وجه الأرض ألا وهو الخليفة ويضع نفسه في خدمته . هذا القرار لا يمكن أن يصدر عن شخصية ابتكرها أديب مسيحي . وإنما الممكن أن تكون من بنات أفكار أديب مسلم قصد بها الى تمجيد تسامح الخلافة وشيئا ، ثم أخذ فولفرام الشخصية وعدل فيها بعض التعديل حتى تتفق وانجاسات مجتمعه وميوله . يقول فولفرام :

Im wart gesagt, ze Baldac  
wære ein so gewaltic man,  
daz im der erde untentân  
diu zwei teil wæren oder mër.  
sîn name heidensch was sô hêr  
daz man in hies den bâruc.  
er hete an krefte alsolhen zuc,  
vil kûnege wæren sîne man,  
mit krônem lîbe untentân.  
dêz bâruc-ambet hiute stêt.  
seht wie man kristen ê begêt  
ze Rôme, als uns der touf vergiht.  
heidensch orden man dort siht:  
ze Baldac nement se ir bâbestreht  
(daz dunket se êne krûmbe sleht),  
der bâruc in fûr sünde  
gît wandels urkunde.

(PARZIVAL I, 13-14)

يعني :

وقد روى له أن في بلدك  
رجل عظيم جدا  
تخضع له من الدنيا  
الثلاث أو أكثر .  
وسمعه بين العرب عابثة

وفي ختام الملحمة يشير فولفرام الى كريتيان دي تروا الأديب الفرنسي الشهير الذي عالج قبله قصة البارتنسفال فلامه لوما لأنه تصرف في القصة تصرفا يتناقض مع الأصل الذي نقله كيوت عن العربية .  
يقول فولفرام :

Ob von Troys meister Cristjân  
disem mære hât unreht getân,  
daz mac wol zûrnen Kyôt,  
der uns diu rehten mære entbôt.  
endehaft giht der Provenzal,  
wie Herzeloyden kint den grâl  
erwarp, als im daz gordent was,  
dô in verworhte Anfortas.  
von Provenz in tiuschiu lant  
diu rehten mære uns sint gesant,  
und dirre âventiur endes zil.  
niht mër dâ von nu sprechen wil  
ich Wolfram von Eschenbach,  
wan als dort der meister sprach.

(PARZIVAL XVI, 827)

يعني :

وفاذا كان المعلم كريتيان دي تروا  
قد تناول بالتحريف هذه القصة  
فحق لكيوت أن يستشيط غضبا  
وهوالذي نقل الينا الرواية الأصلية .  
فقد عرض البروفسالي بدقة  
كيف حصل ابن هيرتسولده على الحرال  
عندما أصبح الحرال من نصيبه  
وأعمل أنفوزتاس عليه مطلبه  
وقد أتت من البروفانس الى ألمانيا  
القصة الأصلية الحقيقية  
وختم أصحابها  
وأنا فولفرام فون ايشينباخ  
لا أريد أن أزيد شيئا  
على ما ذكره المعلم في الأصل

ومع أن فولفرام نفسه يذكر الأصل العربي والمعلم الرواي الذي نقل هذا الأصل فان نقرا من علماء الأدب الألمان يتكرونا على فولفرام روايته ويقولون أن شخصية كيوت لا تعدل أن تكون شخصية خيالية اختلقها فولفرام ونسب اليها أصل ملحمة . وهذا الإنكار الغريب الذي يحملون رأيته لا يجد له سنداً يدعاه . فقد ذكر فولفرام كيوت مرارا وتكرارا بما لا يدع محالا للشك في واقعيته . وأكثر من ذلك

رجل عظيم مشهور بالعدل حتى لقب بالفاروق وأنه كان شخصية جذابة جعلت الملك المتوجة تنضوى تحت لوائه وأن مركز الخلافة هو المحكمة العليا التي تفصل في القضايا الكبرى الفصل الخامس . هذا ما نقله فولفرام عن الأصل ثم أضاف إليه - اقتراباً من القارئ المسيحي وتصوره - أن الفاروق ينظر البابا الخالس في روما وأن هذا الفاروق يفر الخطايا . والخطأ واضح .

وأرد في ختام هذا المقال أن أشير الى كلمات محتمل أن تكون -ه- عربية الأصل . أولاً كلمة بارتسيفال المستعملة كأسم لبطل الملحمة . هذه الكلمة اذا حذفنا الـ هـ من آخرها تحولت الى parzi-v التي يمكن أن تكون بالعربية «فارس» أو «فارسى» . وإنما حذفنا الـ هـ من آخرها لأن عدداً من الكلمات العربية دخلت اللغات الأوروبية وفي آخره له أو له فكلية أمر أصبحت admiral, amiral لأنها انتزعت من تركيب كوامر البحيرة مثلاً . كذلك كلمة Kuppel من قبة . وبناء على هذا تكون لفظة «الخرال» الهامة التي وردت في «بارتسيفال» هي كلمة «الخرقة» . ويؤيد هذا أن كلمة الخرال مستعملة للدلالة على «خرقة» واسم بارتسيفال على فارس .

حتى أنهم يسمونه «الباروك»

وهو ذوقه جذابة

جعلت كثيراً من الملوك المتوجين

ينضون تحت امرته .

وما زال مركز «الباروك» قائماً حتى الآن .

وكما أن المسيحيين يتفقون تعاليم التعميد من روما

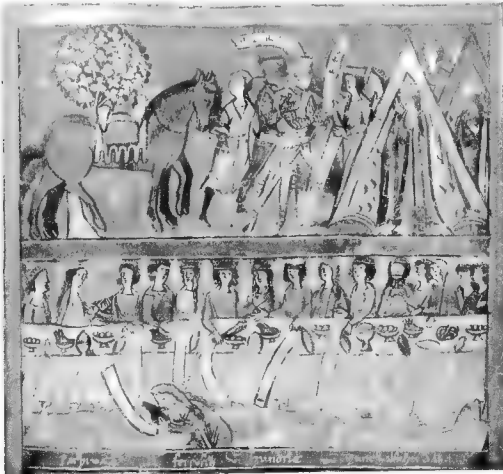
كذلك المسلمون يتفقون الأوامر من «بلدك»

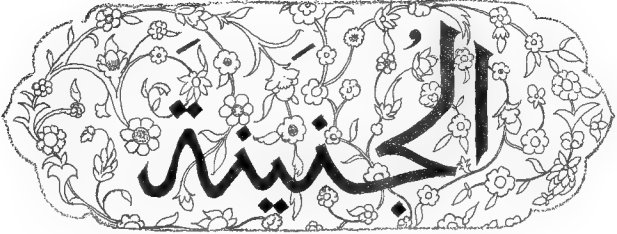
ويتفقون من «بلدك» الأحكام المناظرة لأحكام البابا

وهم يرون ذلك أمراً لا عوج فيه

و«الباروك» يفرهم بل خطاياهم .

هذه المعلومات عن الشرق الاسلاي تشير الى مصدر وثيق تلى عنه فولفرام . أما كلمة بلدك Baldac فقد ظن البعض أنها بغداد واختار الكثيرون في أمرها . واعتقدنا أنها كلمة «بلد» أضاف إليها التحريف جزواً من كلمة تالية . وما زال هناك كتاب أوروبيون لأن يعرفون كلمة عبد الله Abdullah فيكتبونها Abdoul . وأما لفظة «الباروك» فهي بلاشك كلمة «الفاروق» المشيرة الى الخليفة عمر وقلب الفاء بام أمر مألوف . اذن فولفرام كان يعرف أن الدولة الاسلامية تشمل لثى الدنيا أو أكثر وأن الخليفة





## الازهار والبساتين في حضارة المسلمين

بقلم أنامارى شيمل

استأنس أهل أوروبا بأشعار الشعراء الإيرانيين من سعدى الشيرازي وحافظ ووجدوا في أبياتهم وصف البساتين الشيرازية، ووجدوا أيضاً بياناً عن الورد والترجس ومقارنة المحبوب بالازهار الزاهرة، واستحسنوا ذلك إلى الغاية، وصار «گلستان شيراز» أو «بستان فارس» عبارة معروفة عندنا.

وفي الحقيقة يمكننا ان نقول ان للمسلمين عمية خاصة بالبستان والازهار، وهذا من الطبيعي بالنسبة لمة كان موطنها في منطقة من ارضنا غلب عليها الحر ومبظم ارضها عقم الا ان اتم الله عليها بالامطار، او صدف ان كانت واقعة في اودية خصبة او على شط الانهر الكبيرة؛ ودلت على هذا آيات كريمة من القرآن المجيد حيث تؤخذ مثال الثبات للذي ينبت من التراب الميت كثال بارزاً للقيامة كما قال تعالى:

ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد واحيننا به بلدة ميتاً كذلك الخروج

وأيضاً:

وفي الأرض قطع متجاورات وجات من اعقاب وزرع ونخل صنوان يبق ماء واحد... وإن كانت هذه الأرض مظهرًا للتمن الآلهية من نخل ذات الاكام ولزهار وفاكهة وثمرات بهيجة فتم الآخرة توصف

قال ريلكه (Rilke) وهو من اكبر شعراء هذا العصر الألماني مخاطباً قلبه:

غنى يا قلبي جمال البساتين التي لا تعرفها بساتين كأنها مسكوبة في زجاج، براقعة، لا يوصل اليها،

مياه اصفهان او شيراز ووردها برك عليها، إذن عليها فهي لا تقاس بشيء في العالم...

Singe die Gärten, mein Herz, die du nicht kennst; [wie in Glas eingegossene Gärten, klar, unerreichtbar. Wasser und Rosen von Ispahan oder Schiras, singe sie selig, preise sie, keinem vergleichbar.

وما كان هذا الشاعر الا واحداً من سلسلة طويلة من الادباء الاوروبيين ملحوها بساتين ممالك الاسلام وضموا ابياتهم في وصف حسناتها الخيالي مع انه لم يشاهد أى منهم قط بستاناً فارسياً في حياتهم. وكان مع ذلك صورة البستان الشرقى في غيلة مواطنينا، وقد قرأوا ما قرأوا من حكايات الف ليلة وليلة التي توصف فيها حدائق الامراء وجنيناات الخن التي فيها شجيرات من ذهب اثمارها من الحواهر وازهارها من زمرد ولعل وياقوت اذا مسها الريح تقع على ارض ترابها من فضة... وبعد ذلك

خطوة للتمن بارتشغال، من القرن الثالث عشر؛ محفورة في المكتبة البافارية الملية في ميونيخ. نشكر ادارة المكتبة لمساعدتها في نشر الصورة.



بها . وجاءه كل واحد منهم وفي يده باقة جميلة من أنيب الزهر الا مركز افندى ، ففى يده زهرة ذابلة فحسب ، وسأله الشيخ عن سبب ذلك ، وقال مركز افندى عجباً : وبأ سيلدى ومولاي ، انى تمشيت فى بساتين المدينة وغاياتها وما رأيت زهرة الا وهى مشغولة بالتسبيح والذكر والحمد والثناء ، الورد يعطره والزئبق بالسنة العشرة السامنة والرجس يعونه الذهب ، وكيف استطع ان اقطف احدها واقطع ذكرها ، وفى النهاية وجدت زهرة ما بقى لها عطر ولو لى وقد فات ذكرها وانقطع تسبيحها وهى ..

وعانقه الشيخ واستقره خليفته له بعد مدة .  
ونقرأ فى كتب التاريخ القديمة بأن الخلفاء والسلاطين ما زالوا بنشون بساتين وحدائق ذات بهاء حيثما وجدت المياه ، وقد دوت للسعودى ما فعله الخلفاء العباسيون فى العراق ، ووصف المقرئى بساتين مصر ، وجمع جلال الدين السيوطى فى «حسن المحاضرة» ذكر الراحين والازهار الموجودة فى البلاد المصرية وما ورد فيها من الآثار النبوية والاشعار الادبية والاشارات الصوفية .  
وعكس ان الخليفة المستنكى العباسى كان يحب الحدائق والأدب وقرأ أحد الشعراء فى حضوره شعراً فى حق محل اسمه باطريقى فيه كثرة الازهار ، وقيل ان هذه الايات لآبى نواس ، وهى :

من حديثى انى مررت بها يو  
ما وقلبي من الهوى مستطار  
وبها نرجس ينادى غلامى  
قف فقد ادركت لدنيا العمار  
وتفتى الدراج واستمطر اللهو  
وجادت بنورها الازهار  
فانثنا الى رياض عيون  
ناظرات ما ان بين احوار

عمادة مشققة من الصوف (تصليح) . شمال غرب إيران ، القرن الثامن عشر ، محفوظة فى المتحف فى سورة عامة . ما يسمى «السجادة البستانية» وموطنها من شمال غرب إيران ومنها قطع يبلغ طولها ٢٠ متراً (للمسوحة هناك طولها ٢٠٢٥ متر) وهى تصور حديقة شرقية بقلعتها وبركة وهى تصور كما يمكن أن يراها طائر .  
الصورة : كوبر ، لندن ، مأخوذة من كتاب كوبريت إيمان ، أوروبا والسجادة الشرقية ، للنشر فلوريان كوبربيرج ، ماينس ، ١٩٦٢ .

Wollener Knüppeppich (Ausschnitt). Nordwestporzelen, 18. Jahrhundert. England, Privatbesitz. Die sogenannten „Gartenteppiche“, eine nordwestporzelenische Gruppe, bei der Stücke von 20 m Länge vorkommen sollen (das abgebildete Stück ist 9,25 m lang), stellen einen orientalischen Garten mit seinen Kanälen, Wegen und Beeten gewissermaßen „aus der Vogelperspektive“ dar. Foto Cooper, London. Entnommen dem Buch von Kurt Erdmann, Europa und der Orientteppich, Verlag Florian Kupferberg, Mainz, 1962.

ايضا بجنة خالدة «جنة عالية قطفوها دانية» واصبحت للمسلمين بساتينهم التى انشأوها فى الاندلس وفى العراق فى مصر وفى ايران وبعد ذلك فى تركيا وهندستان جنان صغيرة ، جنيئات ، على سطح الارض ذكرتهم بان بشرتكم اليوم جنان يجرى تحتها الانهار وكان البستان والنيات محبوباً عندهم لسبب ثالث ايضا ؛ وقد قال تعالى فى ايات مختلفة ان

يسبح لله ما فى السماوات وما فى الارض وقد فهم كثير من المؤمنين معنى هذا التسبيح الدائم الذى يصدر من كل ما بين حجر وشجر وبين طيور وزهور ، وكان ذو النون المصرى الصوفى الكبير فى القرن الثالث للهجرة يعلم احبائه ومريديه اسرار هذا الذكر والتسبيح الذى تشرك فيه الخليقة كلها واعتزف فى دعاء له :

الحى ما أصغى الى صوت حيوان ولا حفيف شجر ولا خريمر ولا ترنم طائر ولا تنم ظل ولا دوى ربح ولا قمقمه رعد الا وجدها شاهدة بوجدانك دالة على انه ليس كذلك شيء وانك غالب لا تغلب وعالم لا يجهل وحليم لا تسفه وعدل لا يجور وصادق لا تكذب ....

وافاد احد الشعراء الزرك ، وهويونس امره ، اول الشعراء المتصوفين فى الاناضول فى القرن الثالث عشر الميلادى واصفاً الحنة العليا :

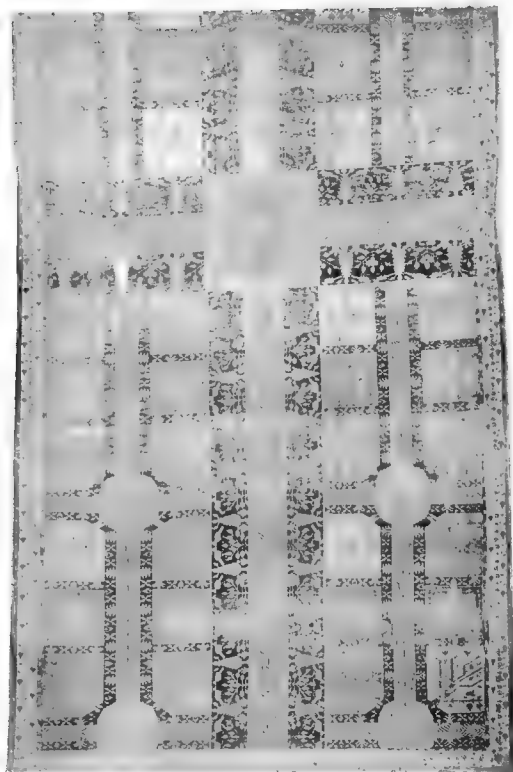
شول جنتك ايرماقلرى  
اقرار الله ديو ديو ...

أى :

انهار تلك الحنة  
تجرى تقول الله  
خرجت عنادل الاسلام  
تترنم تقول الله ...

تهتر فروع الطولى  
يقرا كل لسان القرآن  
اما ورد الحنة  
فراحتى هى «الله» ...

ويمر عن هذا الاحساس بالذكر الدائم للنيات وبأن كل زهرة حامدة لله مسبية له ، حكاية سمعتها عن منصوفة تركية فى مدينة استانبول صنما زينا مقبرة الشيخ مركز افندى . وقد كان هذا الصوفى مريداً لسبيل افندى فى اوائل القرن الثامن عشر الميلادى ، وطلب سبيل افندى يوماً من الايام من مريديه ان يجمعوا زهراً ليزينوا الحائقاء



ومكان الحفون منها ايضا ضاحك  
ومكان الاحداق منها اصفرار  
بيننا نحن عندها صرخ الور  
د الينا يا معشر السمار  
عندنا قهوة تنسافل عنهما  
دهرها بالوجود منها ضمار  
وانثينا الورود من ان تنيسو  
أ عن الترجمس المضاعف زار  
فرأى الترجمس الذي صنع الور  
د فتنادى مستصرخا يا بهار  
ورأى الورود عسكريين من الصو  
ر فتنادى فجاءه الجنار  
واستجاشا فتفاح لبنان لحسا  
حميت من وطيسها الاوتار  
واستجاشا البهار جيشا من الاز  
رج فيه صغاره والكبار  
فرايت الربيع في عسكر الصفة  
ر وقلبي يشفه الاحمرار  
ليس الا للحمرة من خلدود  
من اناس بقوا علينا وجاروا  
وقال: فلم ار المستكني منذ ولى الخلافة اشد  
سورا منه في ذلك اليوم....  
واما الخليفة القاهر فكان ايضا عاشقا للازهار كما قال  
المسعودي :

وكان للقاهر في بعض الصحون بستان نحو من  
جريب قد غرس فيه التارنج وحمل اليه من البصرة  
وعمان مما حمل من ارض الهند قد اشبتكت اشجاره  
ولاحت ثماره كالنجوم من احمر واصفر وبين ذلك  
انواع الفروص والرايحين والزهر وقد جعل في ذلك  
الصحن انواع الاطيار من القمارى والدبابى  
والشحاريو والبلغ مما قد جلب اليه من الممالك  
والامصار... ولما افضت الخلافة الى الراضى اشتد  
شغفه بذلك الموضع ...

ونرى في اشعار شعراء هذا القرن كل ما في البساتين  
من الازهار: الاقحوان الضاحك والهام والسوسن والشقائق  
والبنفسج والياسمين ونبات باقلاء «اتوا في جوارشن  
سابغات»، كما قال الصنوبرى صاحب حديقة جميلة  
في حلب التي قال فيها وهو يبار عليه من الناس :

ورد بدا يحكي الخلود وترجمس  
يحكي العين اذا رأت احبابها

ونبات باقلاء يشبه نوره  
يلق الحمام مثيلة أذنانها  
والسرو غيبة العين غوانيسا  
قد شمرت عن سوقها ثوابها  
وكان احدها من نفخ الصبا  
خود تلاعب موهنا اترابها  
لو كنت املاك للرياض صيانة  
يوما لما وطئ اللام ترابها  
وقد ارسلت السلاطين والامراء الى البلدان البعيدة حتى  
وجدوا من الازهار النفيسة ما لم يجد غيرهم و

حكى صاحب كتاب نشوان المحاضرة انه رأى ورد  
اسود حالك السواد له رائحة ذكية وانه رأى بالبصرة  
وردة نصفها احمر قاني الحمرة ونصفها الآخر  
ايض ناصع البياض والورقة التي وقع الخط فيها  
كأنها مقسومة بقلم .

ورأى بعضهم غلب وردة لها وجهان احدهما احمر  
والآخر اصفر .

وبالغوا بوصف الازهار وروى السيوطي عن سياح في  
الزمان القديم :

وقال انه رأى بالهند وردة مكتوباً عليها ومحمد  
رسول الله وقال اخر: دخلت الهند فرائت في  
بعض قرأها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها  
مكتوب بخط ايض «لا إله إلا الله محمد رسول الله»  
وهذا اشارة على قيمة الورود التي سنذكرها تفصيلا  
فيها بعد .

ولا فرق بين خلفاء بني عباس والسلاطين الذين حكموا  
في سائر بلدان الاسلام ، واختصت الاتراك بحكمهم  
للبساتين . وكان خوارويه بن احمد بن طولون حاكم  
مصر في خلافة المعتمد والمتعبد جعل بستاناً عظيماً  
بالفسطاط قال المقرئى فيه وفي مثله :

وكان للخلفاء عدة بساتين يتزين بها منها البساتين  
الجيشية وهما بستانان كبيران احدهما من عند رفاق  
الكلج خارج باب الفتوح الى المطرية والآخر  
معد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لها  
شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذي  
كان يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور  
القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل  
ثمانية ارداد وبني في وسط البحر منظره عمولة  
على اربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر

النارنج فكان نارنجها لا يقطع حتى ينساقط ...  
وجلب اليه من الطيور المسومة شيئاً كثيراً واستخدم  
للحمام الذى كان به عدة مطيرين وعمر به ابراجاً  
عدة للحمام والطيور المسومة وسرح فيه كثيراً  
من الطائوس ...

وأما سلاطين المالك من الحراكة والائرنا فكانوا  
ايضاً معجبين بالبيسان ، وعجبي عن اخر سلطان من  
الملك حاكم مصر ، قاصوه الغورى - الذى قتل في  
عام ١٥١٦ عندما هزمت الخندق الثانية جيشه المصرى  
في مرج دابق - انه كان مشغولاً بالازهار ، ووصف  
ابن اباس بستانا له في قلعة القاهرة وقال (في سنة ٨٩١٥ هـ )  
: (١٥١١ م) :

في هذه السنة ائبعت الاشجار الى غربها السلطان  
بالميدان واخرجت ما شئت به من الازهار ما بين  
ورد وياسمين وبان وزينق وسجوان وغير ذلك  
من الازهار الغريبة ولقد عاينت به وردياً ايض  
ذكي الرائحة وهو غير انواع الورد التي عصر وقد  
نقل من الشام ... فكان السلطان يجلس على دكة  
كبيرة مطعمة بالمعاج والابنوس ... وتظله فروع  
الياسمين ... ويعلق في الاشجار اقفاص فيها طيور  
مسومة ما بين هزارات ومطوق وبلايل وشحارير  
وقمارى وفراخت ... ويطلق بين الاشجار دجاج  
حيش ويط صبي وحجل وغير ذلك ...

وفي عين العصر الذى احيا فيه السلطان قاصوه الغورى  
مرة اخرى مدينة القاهرة بيسان ذات جبال غائق اخذ  
بابر التيمورى الذى فتح بلاد الهند في عام ١٥٢٦ وصار  
جنبا للسلطان المغولية الهندية ينشأ في هنستان الشامى  
الغرى بسانين وحدائق لانه نفسه وصاكره لم يستطيعوا  
تحمل حرارة هذه المنطقة وغيرها ، وكتب السلطان نفسه  
في كتاب الوقائع محدثا فيه باللغة التركية عن كل ما حدث  
له في مضى حياته من عنفوان الشباب الى ان اصبح  
غازياً فاتحاً لبلاد الهند وقال :

قد انشأت (في مدينة اكرا) بسانين في كل ناحية  
ظلتها لاقعة بذلك ، وزرعت الورد والترجس في كل  
حديقة وهي في مربعات منتظمة متعاقبة ...

واصبح هذا البستان نموذجاً للبيسان التي بناها السلاطين  
المغولية فيها بعد في لاهور وفي دهل واکرا وودى كشمير  
وايضا استقروا ، واشتهرت هنستان بهذه البيسان الحسنة  
الحية المنتظمة ، وكل من وصف الدولة المغولية من المسافرين

الاوربيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد اعطا  
وصفا تفصيليا وملحاً كاملاً لهذه الحدائق ، وأما رسامو  
الدولة المغولية فقد صوروا جمال هذه البيسان التي ازهرت  
فيها اعجاب الازهار وقد جلست على شط الأنهر او في ظل  
الاشجار المليحة سيدات القصر وخادماتهن يلعن بالكرة  
ويتزهن وهم مثل بسانين بشرية في ثيابهم المشاة بالازهار  
والذهب والفضة . ونذكر من تصاویر هؤلاء الرسامين  
شيئاً من جمال هذه البيسان المغولية ، ولعل الزائر ان يتخيل  
نبذة من هذا الحسن الماضى اذا دخل احد البيسانين في اكرا  
او دهل اولاهور.

واذا ببستان شاليفي في مدينة لاهور ، وهو مقسم على  
ثلاثة اقسام كل واحد منها مربع ، تجري تحته المياه ،  
ويدخل من طريق طويل ، يوصل السالك الى منظر  
خيالى يرى المياه الزرقاء فيها القباب الطرية من الزمهر  
الناعم البياض الشفاف اعظف من خيال اى شاعر  
كان ، تحيطها الازهار الكثيرة الالوان ، وعند البستان  
بعد ذلك الى قسم ثالث فيه الاشجار المظلة تحمي الانسان  
من القيت . وأما جدر هذا البستان وابوابه الضخمة التي  
كانت الانفال تدخل منها فهي مزينة بالقاشانيات المزخرفة  
كأنها عكس البيستان نفسه . وعندما يزور السائح اكرا  
يشاهد تاج محل وهو مقبرة السلطنة ممتاز محل زوجة  
السلطان المعظم شاه جهان ، وهذه المقبرة التي تم بناءها  
في سنة ١٦٥٣ في اضفاف بستان كبير وسيع ذى اشجار  
ومروج ينعكس في مياه فضية ، وكان هذا المجل مشهوراً  
منذ انشأ بابر بادشاه هناك حديقة خاصة لعائلته ، وقد  
ود السلطان جهانكير وزوجته العاقلة الاملى «نور محل»  
ان يجلسا في هذه الحديقة ويأتا في القصورات الرخامية .  
وانشأت نور محل بعد ذلك مقبرة زوجها جهانكير  
ايضا في شكل بستان عجيب المنظر .

واختصت بنات السلاطين المغولية وزوجاتهم في انشاء  
بسانين مزهرة ، ومن تحفى في مدينة لاهور صايف كثيراً  
من آثارهن القديمة : وهناك بستان جلالي باغ الذي  
فيه مقبرة احدى السيدات ، وهناك جوهرجي اى الابراج  
الاربية ، ولم يبق من هذا البستان المشهور الذى بنته  
بنت السلطان شاه جهان الا ثلاثة ابراج بقاشانيات باهرة  
ما زالت اشجار السرو فيها خضراء منذ ثلاثمائة سنة ،  
وما زالت تزهرا بعد عام . ويكون السائح سعيداً ان قابل  
في لاهور احد المتخصصين بتاريخ هذه المدينة كما هو  
الدكتور عبد الله جنتاى ، فبهه بسانين زيب النساء  
المعروفة باسم ابنة اورنكزيب عالمكير (المتوفى ١٧٠٧)

الشاعرة المتصوفة ، وان اودت مشاهدة هذا المكان اليوم لم تجد منه الا بقية جدار وبرج في ناحية قفزة من جنوب المدينة ولم يخطر ببالك ماضيه المجيد ، ولكن هناك حافظ فيفيسا بتصوير اصيص ملئ به الاجزاء ، وكان هذه التفسيرات قد حافظت على روح الحديقة القانية وعلى عطر من رائحة هذه الاجزاء المتسمة ...

وقد فهم الشعراء الاسلاميين سواء كانوا في بلاد العرب اوفى ايران اوفى تركيا اوفى هنديستان ان الحدائق والازهار غانية ، لان كل من عليها فان ، وحزنوا لثروال هذا الحال وعدم دوامه ، فترحموا من الاشعار ما لم يترحم به غيرهم ، ووصفوا الازهار والبساتين بالفضح وصف كأنهم وصفوا محبوبهم من الغلمان والبساتين الجميلات الظرفيات . وقد احسن في هذا الوصف ادباء العصر العباسي مثل ابي نواس وابن المعتز والمالدي ومن يلهم من الشعراء ، واشتهر بعضهم بشاعريتهم المخصصة بموضوع الازهار مثل الصنوبري اطلقى المتوفى سنة ٩٤٥ م ، وقد ذكرنا شعراً له من قبل ، ومواطنه محمود بن السندي كشاحج الكاتب . وصارت لؤلؤة الابداء كل زهرة رمزاً لحسن خاص ودليلاً على صفة خصوصية ، ووصفوا ما رأوا في بغداد وحلب ودمشق وحدائق فارس والشام واعطوا بذلك شهرة باقية لهذه الازهار القانية .

وما كان عدد الازهار للمعرفة كبير في ذلك الوقت ، وللشعراء ازهار فضلوا على غيرها . ومنها البنفسج الذي جاء في حقه حديث غريب :

ففضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضل ولد عبد المطلب على سائر فريش وفضل البنفسج على سائر الزهور كفضل الاسلام على سائر الاديان .

وما احسن قول الشاعر في هذه الزهرة الرقيقة :

كأنما شعل الكبريت منظره  
او عند اقيد بالتحميم مقروص .

ونرى من هذه الايات البنفسج كما قال جلال الدين السيوطي سايوة اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها على ركبتيها كعاشق مهجور تنطوي على قلب مسجور ...

او مليوساً بحرقه خاتمه المتصوفة ، وفي شعر اخر يشبه الشاعر البنفسج بمجنون العباسيين لان اعلام هذه السلالة كانت سوداء .

واحب الشعراء في العراق وفي الاندلس الياسمين الابيض وقال فيه المتمدن بن عباد :

كأنما ياسميننا الغض  
كواكب في السما تبيض  
والطرق المحمدي يواظنه  
كخند عذراء مسه غص

وكانت كناية الكواكب مشهورة في الشرق والغرب في هذا القباب المزركم كما يجري في بيت لشاعر عباسي :

سما زيرجد بالحسن تسمو  
يلوح بها نجوم من لحين ...

وقد زيتت الملوك بساتيتهم مجاحض فيها البيلوفر الابيض او الازرق او الاحمر ، وما زال الشعراء في الاندلس وفي بلاد فارس يصفون هذا المنظر الجاذب :

وبركة تزهو ببلسفر  
نسيمها يشبه ربح الحبيب  
حتى اذا الليل دنا وقته  
ومالت الشمس لوقت المغرب

اطبق غصنيه على جبيه  
وغاص في البركة خوف الرقيب

وما اهلوا الشقائق الحمرات اللطيفة التي تجمل الصحراء المنيعة حمراً احمر في ايام الربيع ، ومن الطيبي ان كشاحج شاعر حلب وحولها ، ملحقها احسن مدح اذا قال :

فرج القلب غاية الترضيع  
ابتهاجي ما بين روض بهيج  
فكان الشقيق فيه اكاليل  
عقيق على رؤوس زنوج

وقد فاقه في الابداع الشاعر الاندلسي ابن الزقاق وله دره في تلك الايات :

رياض من الشقائق اضحى  
يتهاذى فيها نسيم الرياح  
زدها والغمام يجلد منها  
زهرات تروق لون الراح  
قليل ما ذنها قلقت عجبها  
سرفت حمرة الخلود الملاح

وابداع البحترى التشبيه :

شقائق يحلمان الندى فكأنها  
دموع الصبا في غلود الخرائد

وصارت هذه الكناية مستعملة فيما بعد ويجدها عند الشعراء الايرانيين كثيراً ، وقال مصلح الدين سعدى الاديب المشهور بمثل هذا البيت :



Persische Gartenminiatur eines unbekannten Künstlers aus der Handschrift der Dichtung „Humay und Humayun“. Herausgabe, um 1405–1420.

Entnommen dem Buch von Friedrich Schnack, Traum vom Paradies. Rütten und Loening Verlag, Hamburg, 1962.

زهرقة بستانية من إيران لفنان مجهول من نسخة خطية للشمس التميمي وحمای وحمایون. مدرسة هرات حول سنة ١٤٠٥ إلى ١٤٢٠.

الزهرقة مأخوذة من كتاب فردريخ شلاك: "حلم بالفردوس" هامبورج ١٩٦٢

ثاله بر لاله فرو آمد هنگام بصر

راست چون عارض گلبوی عرق کرده باز

( ای : وقع الندى على الشقائق وقت الصباح كأنها خلود  
وردية قد عرفت )

اما الترجس الأبيض فهو احب اليهم من غيره وهو  
الكتابة المعروفة للعين ، وقالوا فيه :

كان كسرى انوشروان مغرماً بالترجس وقال اني  
لاستحي ان اباضع في مجلس فيه الترجس لانه  
اشبه شيء بالعيون النازرة .

وجاء فيه حديث رواه السيوطي في مدح الترجس وهو :

شعوا الترجس ولو في اليوم مرة ولو في الشهر مرة  
ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان في القلب  
حبة من الجنين والجلدام والبصر لا يقطعها إلا شم  
الترجس .

وقال بعضهم :

الجسم فيها قضيب من زمردة

والجن من فضة والعين من ذهب

وفاته ابن المعتز بقوله :

عين اذا عاينها فكأنما

مدامها من فوق اجفائها در

عاجرها بيض واحداتها صفر

وأجسامها خضر وانفاسها عطر...

وما كان احد الشعراء في دور العباسيين اشد شغفا بالترجس  
من الصنوبري الحلبي الذي قال فيه مثلاً :

أرأيت احسن من عين الترجس

ام من تلاظهن وسط المجلس

در تشقق عن يواقيت على

قضب الزرد فوق بسط السندس

اجفان كافور خفقن بأحسن

من زعفران ناعمات الممس

فكانها اقمار ليل احدثت

بشمس افق فوق غصن املس

واحسن ببيتيه هذين :

وعندنا ترجس اتيق تحيا بأنفاسه النفوس

كان اجفانه بدور كان احداقه شموس

وصارت كلمة ترجس في الادب الفارسي والتركي الكتابة  
المختصة للعين البشرية ، وان قرأت هذه الافادة ، مثلاً  
«ترجس مخمور» ، «ترجس نم خفته» فأفهم انه العين  
المخمورة او عين المخبوبة التي افأقت من نومها .

وقد ابداع كشاجم عبارة اخرى لتوصيف هذه الزهرة  
وقال وقد قلده كثير من الشعراء المتأخرين :

كأنما ترجسنا قد تبدى من كتب

انامل من ففصة يحملن كاسات ذهب

حتى ان احدهم ، وهو ابو اسحاق في ايران ، شبه الترجس  
بجنز في وسطه صفاريضة ، اوشبه بعضهم بدبنار حوله ستة  
درهم . ومع ان فضل الصنوبري الترجس المزهر على  
الأزهار كلها ، لكن الشعراء والمتصوفين اجمعوا على ان  
احسن الأزهار وابهاها الورد . ولا نحصى الايات التي  
قيلت في مدح هذه الزهرة الجميلة ووصفها . ولأحدهم  
شعر في الورد يجادل به الترجس (ونسيه للصنوبري ولكن  
ذلك ليس من الممكن لان هذا الشاعر كان يفضل  
الترجس على الورد) :

زعم الورد انه هو ابهى

من جميع الانوار والرياح

فأجابته عين الترجس الغض

بنل من فوقها وهوان

ايما احسن التورد ام مقه

له ديم من فضة الاجفان

ام فماذا يرجو بعمرة له

به اذا لم يكن له عينان

غزى الورد ثم قال عجيبا

بقياس مستحسن وبيان

ان ورد الخلود احسن من عي

من بها صفرة من اليرقان

ورأوا في الورد كل ما في الدنيا من سعادة وجمال  
وبهاء —

ولو كان من بشر قد كان عطارا

كما قال ابن المعتز — وهو ايضا مثل دكان جوهرى  
يجمع في نفسه الجواهر كلها :

هو در ابيض وياقوت على كرامى زرجد اخضر

بوسطه شدر من ذهب اصفر .

وهو أيضا السائق يسقينا الخمر الحمراء في كأس لامة ،  
وهو المحبوب التارك يتعم وهو محبوب كما قال ابو العلاء  
صاعد الاندلسي في باكورة ورد :

ودونك يا سيدى وردة

يذكرك المسك انقامها

كمذراة ابصرها مبصر

فقطت باكامها رأسها

وقد يشبه شاعر تركي ايضا بالعروس المظبية بحجاب  
احمر ؛ ولكن الورد هو ايضا الملك الحليل راكب فرسه  
الزمردى كما حكى ابن صاكر عن الخليفة المتوكل انه

قد حصى الورد ومنعه من الناس كما حصى النعمان  
بن المنذر الشقيق واستبد به وقال لا يصلح للامة  
فكان لا يرى الا فى مجلسه وكان يقول انا ملك  
السلطان والورد ملك الرايين وكل منا أولى  
بصاحبة

كل الرايين جند وهو الامير الاجل

وكتب فى ذلك العماد الاصفهاني :

قال لى هذه الرايين جندى

انا سلطانها وشوكى سلاحى

وكان الورد فى نظر الشعراء القلما مقام نبى ، اى عيسى  
بن مريم ، لان راحته الحلوى الخفيفة تحمى الاموات مثل  
نفع المسيح . والورد ايضا عند الشعراء للمسلمين فى كل  
منطقة كتاب الحكمة الالهية لا يقرأه حق قرآنه الا المتدليب  
المشغوف . وان شبه الترجس بالعين فالورد بالخلود ،  
وقال فيه ابن المعتز :

انك الورد ميبضا مصونا

لمشوق تكفنه الصدور

كان وجوهه لما توافقت

نجوم فى مطالعها السمود

يباض فى جوانبه احمرار

كما احمرت من الخجل الخلود

واقبتس آخر هذا الدليل وقال فى الورد الاسود وهو  
مشهور فى المصور الوسطى لتلذذته :

لله اسود ورد ظل يلحظنا

من الرياض بأحداق اليعافير

كانها وجنات الزنج تقطعها

كف الامام بأصناف الذناتير

وقد انتهى شاعر مسلم فى بلاد السند فى المبالغة اذا قال  
يستعمل الكناية ورد - سجد :

قد ملكت المرأة من عكس خدك وردا

حتى ان البليغا الذى ينظر فيها يصرف فى الحال عندليب.  
ومن الطرف الآخر رأى فيه بعض الشعراء اثرًا من الدم  
ومن الجرح والبلاء كما وصفه ابن الرزاق :

ستر الورد بالغدير وقد درجه

بالحبيب مر الرياح

مثل درع الكسى مزقها الطم

ن فالت به دماء الجراح

وكثيرا ما شكوا من زوال الورد فانه وان يكون حديث  
الحي فى الصباح ولا يبقى منه اثر فى المساء . والناس  
يشبهون عدم دوام الورد بقلة بقاء الورد كما قال ابو دلف :

اذى حبكم كالورد ليس بدائم

ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

ودى لكم كالأس حسنا ونضرة

له زهرة تبقى اذا فنى السورد

واصبح الورد لذلك فى الشعر الفارسي كناية عن عدم  
وفاء الحياة الدنيوية ، ولكن قد فهم احد الادباء سر  
هذا الفتاء لما قال :

خاف اللال اذ طاللت اقامته

فظل يظهر احيانا ويختبج

وقد فاق الورد على الزهر كما فاق الثريا عن الثرى ،  
لله در من سباه اتعاما سهاويا وما احق الشاعر الفارسي  
الكسائي وهو من الشعراء القديمين فى ايران :

كل نعمتى است هدية فرستاده از بهشت

مردم كبرتر شود اندر نعم گسل

اى گل فروش گل چه فروشى براى سم

وز گل عزيز تر چه ستافى بسم گل

راى : الورد نعمة من طرف السماء وهدية ارسلتها الجنة ،  
وإن بعته ، اى تاجر الزهر ، بفضة - ماذا يشتريه ببله  
الدرهم ما أكثر قيمة منه



ورجع هذا الفكر ان الورد اصل غير دنوي الى حديثين مرفوعين هما :

لما اسرى في الى الساء سقط الى الارض من عرق فثبت منه الورد فمن احب ان يشم رائحته فليشم الورد .

الورد الابيض خلق من عرق ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق.

واما ادب ايران فهناك بعض الادباء الغربيين «ادب گل وبلبل» يعنى ادباً يلعب فيه عشق التغليب الحزين للورد الجميل الظالم دوراً عظيماً ، وكانت حكاية التغليب مع الورد مشهورة مثل حكاية ليل وعضون او فرهاد وشيرين ؛ وهي حكاية عشق الروح الانسانية وشوقها الى الجمال المطلق الالهي ، لان الورد هو في التصوف القديم وحتى في بعض الاحاديث النبوية رمز للحضور الالهي . وقد نقل روز بهان البقي الصوفي حديثاً شريفاً يقال فيه : «كلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ورداً قبله ووضعه على عينه» . وقد شاهد هذا الصوفي الكبير الايراني تجلّي الحضور الالهي في شكل صحاب من الورد ابيض واحمر ، لامع شامع ، كنور وروية مشعشة وكورد عظيم احمر . وفي الحقيقة اصبح الورد احسن عبارة عن جمال الله وجلاله عند المتصوفين ، لان فيه لطافة ورائحة عجمية مع الاشواك القاتلة . واما حكاية التغليب مع الورد فهي حكاية الانسان الذي يحب الحسن المطلق الذي يبتليه بانواع البليات في طريق الشوق الى ان يموت ويصل الى محبته الذي وصاله محال للعاشق ما دام حياً . واحسن الشاعر (ويقال انه السلطان اكبر الهندستاني) الذي افاد عن هذا السر بالبيت التالي :

شبنم مگو که بر ورق گل افتاده است

كان قطرها زبيدة بلبل افتاده است

ماهى الندى التي وقفت على الورد

انما هي دموع المتأمل ...

وقد اراين المتأمل الطرف الحلاى في بيت له :

فلوراه حيس فوق صومعة

لقل في مثل هذا قاذلوا النصارا

وقد آمنت شعراء العرب والعجم من المتصوفين بان كل وردة فيها عطر من الجنة ، من «بستان الرضاه» كما قال مولانا جلال الدين الروي الشاعر الاكبر الافصح في وصف حسن البستان على العموم وجمال الورد على الخصوص ، ووصفه «شمساً مركبة من اقمار» الذي تصف في حضوره كل زهرة في الحديقة مثلما تفنى الافكار في حضرة المشوق .

وتشهد في غزليات جلال الدين الروي وتلامذته من الشعراء الايرانيين والترك خاصة اخرى وهي نتيجة التطور الادبي التصوفي : وإن رأى الشعراء في الدور الاول البستان والازهار رمزاً للمحبيب ورأوا عينه في المرجس وخده في الورد وجسمه الظريف الملبح في السرو وثوبه الحريري في اوراق الشقائق فقد شاهدت المتصوفة في البستان عكس الجمال المطلق كما قال مولانا الروي :

در باغ هزار شاهد مه رو بود

كلها وبنفشها مشكين يو بود

وآن آب زره زره اندر جو بود

آن جمله بهانه بود آن خود او بود

اي كل ما في البستان من ازهار ومياه وبنابيع واشجار هو تجلّي الجمال الالهي والمثال الامثل للجنة العليا واما الشعراء الغير متصوفين فقد استحسنوا هذا الاسلوب واخلطوا يستعملون ازهار الحديقة كتابة للمحبيهم ؛ وان شهوا قبل ذلك الورد بالخدود فالآن اصبحت الخدود عندهم ورد والعين نرجس ، وصارت المحبوبة كلها بستاناً بشرياً لطيفاً متحرّكاً ، واما البستان الطبيعي فهو يستعمر الوانه واشكاله من حسن المشوقة كما قال حافظ الشيرازي في غزل له :

قد سرق البنفسج رائحته من مشك شعرك

وقد أخذ السرو طرافة المحركة من لطافة مشيك

وقد وصى الصبا اللباسين ان يقدل ابتسامك

....

انت بستان تمنياتي ، مزهرة من الرأس الى الخصى

القدم ...

واحسن شعراء ايران في هذا النوع من البيان وبلغوا نهاية البلاغة فيه ، ونادراً لم يستعمل شاعر فارسي او تركي في الدور الكلاسيكي هذا الطرز ، ويعرف كل من استأنس بالادب العجمي اهمية هذه الرموز الطيفية .

وزد على هذه الازهار التي مضى ذكرها حبة العجم زهرة



«كاسل» أي عباءة للفس، من استرق، تركيا، في القرن السادس عشر. وكثيرا ما اتى التجار والسياح الاوروبيون بالثياب الحرير والاشترق واقتل المسجلة في الشرق الادنى وادخلوها الى بلدان الغرب وجعلوها الثياب لاهل الدين او لاهل الدولة لحسبها الفائق .  
 مأخوذ من كتاب و . شراد : Alte Seidenstoffe Asiens بمساعدة دار النشر : كلينهارد وييرمان ، براونشوايغ



في حديقة شليار في لاهور

وان كلمة «الله» مركبة من عين الحروف فاذا «لالة»  
الافادة الكاملة للحقيقة الاسلامية ...

ويقودنا البحث الآن الى موضوع آخر وهو متعلق بالفنون  
الحميلة في البلدان الاسلامية . إن الشعراء والادباء بدلوها  
جهدهم في ان يخلدوا جلال الازهار بواسطة ابياتهم ،  
ويؤيدوا حسن البساتين في اشعارهم ، وسما كتبهم  
«كلستان» او «كلشن» (بستان الوردة) او «بستان» او «الشقائق»  
التعمانية او مثل ذلك وزينا الادب الاسلامي باحلى  
عطر واهى لون .

اما الرسامين والمصورين والخطاطين ومثلهم من اهل  
الصناعة والفن فطفقوا ازهاراً من الحنة العليا ووضعوها على  
جدر الجوامع والمقابر السلطانية ، ونسجها النساجون في  
قماضهم النفيس ، وركبها الخطاطون بالحروف العربية حتى  
اوجدوا الخط المسمى بالكوفي الزهر ، او وضعوا الخط  
النسخي في بعض الاماكن على نوع من المربعات ذات  
الازهار والاوراق . ومن رسم الزهر والنبات الطبيعية في  
الصناعة الاسلامية تطورا ما يسمى الاريسك ، وهو جنس  
من الترينات التي تنبت فيها ورقة من ورقة وزهرة من زهرة

اغرى ازدادت اهميتها وكبر دورها بعد انقضاء القرون  
الوسطى في ايران وفي الدولة الصفوية ، وهي زهرة السوسن  
المعم او المدعوة حنون الفزال ، واسمها بالفارسية والتركية  
هولاله . وتجد وصفها في كثير من الاشعار ، وصورها  
في شكل قدح احمر او اصفر فيه شراب ، او شبهها  
بشملة تلهب بها المروج ، او اخليها مثالا للمناقب الاسود  
القلب . وقد رأى محمد إقبال الشاعر الباكستاني فيها  
القوة الناشئة التي تروم تحقيق امكانيات الحياة في نفسها  
حتى تصبح شملة المشق الازلى الابدی .

اما الانارك فقد اعتنوا بفرس هذه الزهور الحميلة واستخرجوا  
منها اشكالا غريبة والواناً عجيبة نشأ عنها في الكتب  
القدمة المصورة حتى ان قيمة بصلة واحدة منها بلغت  
آلافاً من الدنانير ولم يكتفوا بتربية هذه الازهار في بساتين  
قصورهم في استانبول فحسب بل زينوا حيطان جوامعهم  
ويوزم يرسم السوسن المعم ، وقد افهمني صديقة  
تركية لي في مدينة ادرنة المشهورة بمدارسها وجوامعها  
الكثيرة الزينة سبب هذه العادة وقالت ان كلمة «لالة»  
حكمتها بالحروف العربية كلمة «هلال» وهو علم الاسلام ،



في باغ آدم في شیراز

والاشجار المقضة ، وان وقعت عينك على الالبسة المنيّة المنسوجة من الحرير الثقيل المشاة بالازهار الكبيرة تفهم بيت بعض الشعراء الاثراك الذي يعبر فيه عن خوفه من ان يجرح غل اشواك الورد المنسوجة في الثوب الحريري جسم ممشوقه اللطيف ...

وما كانت صنعة التزيين بازهار او بساتين خيالية مقتصرة على الطبقة العليا وعلى محيط الاغنياء في بلاد الاسلام ، بل كان حب الازهار منتشرًا في ما بين غني وفقير ، وإن ليس الأمير او الأميرة ثوباً مزهراً من ابريشم صيني وشت النساء الفقيرات زهراً على الثياب من زرين الاغطية في يوتين بالازهار المنقوشة قدر استطاعتهن . وفي الاناضول نجد صنعة اخصت بها هذه البلاد وهي ما يسمى في اللغة التركية واوياء وذلك ان تأخذ المرأة التركية خيطاً دقيقاً جداً من الحرير من ألوان مختلفة تحسب الازهار التي تريد تخيطها بصنارة دقيقة ، وتعمل منها شريطاً طويلاً تزين به بشنوقها وهذا الاوياء صغير جداً وحجم كل زهرة في الشريط بقدر بسلة على الاكتر ، وقرى فيه من الورد والفلفل الاحمر بازهاره ونغمه والبلبلك والبنفسج وما خلق

على نظام غير طبيعي ، وفي حين ان الشعراء يوصفون البساتين وصفاً خيالياً رمزياً يتيح لنا التمتع بجمال احيى من جمال بستان دنوبى فان الارابيسك يجلب نظر الناظر الى بستان المعرفة المرد فتصرف عنه عن الشكل الطبيعي وتقرب من اصل هذه الاشكال ومن خالقها ، خالق الازهار والبساتين والجنة .

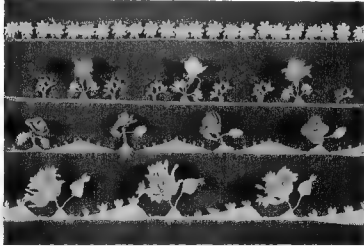
ونجد هذا النوع من التزيينات في القاليات الفارسية والتركية ومن الطبيعي ان رؤساء الدولة في بلدان قلت زراعتها وعصر فلح ارضها اوجدوا لانفسهم بساتين اصطناعية وهي القاليات ، ولا مساح للشك ان القاليات الايرانية احسن ما يوجد في العالم ، وفيها الازهار للامعة والكلمات الملونة بالازهار في ألوان قوس قزح ، وتوجد فيها ايضا قاليات فيها رسومات من حدائق حقيقية تجرى فيها المياه ، فتنتصر العقول اذا لاحظت ظرافتها فتسائل اهي ازهار حقيقية ام صنعية ، اهذا قالى ام بستان ... وكثيراً ما كان البستان الصنعي الملع لوناً واملح شكلاً من نموذج الطبيعي . واما بخصوص النساجين فتأمل الحرير والشمع الايراني والتركي والهندي والاستبرق الذي فيه الورد المذهب

الله من الازهار، وتحفظها يد الامراة التركية الماهرة في شريط حرير لا تقى زهورها اذا تهب الريح الشديدة في برد الشتاء في الاناضول .

وقد سبق ذكر القاشانيات التي زينت بها ارباب الصنعة الاسلاميون حيطان مساجدهم وجوامعهم وقصورهم وقبورهم وهناك المثال الامثل للصنعة التي خلقت بساتين غير فانية كما تشاهد في تركيا وايران والباكستان وهندستان ، وقد انحلت آثار البساتين الاصلية وبقيت الابواب والابرارج الالامعة القاشانيات ؛ وتجد في جدار جامع احسن ما يكون من الزئبق الابيض والازرق، تحيطها السرو والخضراء المظلمة ؛ واختلقت انواع الازهار والوانها فمثلا في جنوب الباكستان الغربي اى في السند وملتان كانت الازهار زرقاء فكل ما ترى هو في لون السماء من ازرق خفيف مائل الى اللازورد المظلم ، واما الاشجار في هذه القاشانيات فتشبه ظل الاشجار والازهار اذا وقع على صمراء بيضاء في وقت الغروب . واما في البنجاب فحافظت الاشجار والازهار

على الوانها الطبيعية من اخضر واصفر وازرق ولا تجد الاحمر الا في القرن الثامن عشر . وفي مدينة شيراز في فارس ترى حائط «جامع وكلي» ممتلئاً بالورد الاحمر الفاتح وهذا اللون لا يوجد الا بعد القرن الثامن عشر ؛ واما في تركيا فقد أبدع اساتذة التزيين في هذا المضمار فجعلوا الجوامع بساتين صناعية منذ القرن السادس عشر وغرسوا على قاشانياتها الشجيرات الزرقاء بازهار حمراء ، وتحصى في حيطان جامع واحد وهو جامع رسم باشا زوج ابنة السلطان سليمان القانوني ثلاثة وخمسين نوعاً من السوسن المعم كلها بالالوان الزرقاء والبيضاء واضيف في بعضها شيء من الاحمر . ومثل ذلك موجود في كثير من المعابد المشقة في بلدان الدولة العثمانية .

وعندما نظر المؤمن الى هذه الرسوم بعد الفراغ عن صلاته يتذكر الجنات التي وعدها الله للذين آمنوا . وما اسعد صاحب صنعة تذكر الانسان ان للمتقين عند ربهم جنات نعم .



• ارباب مزهر من الاناضول

# من بسائین الشعراء

Farīdaddīn 'Aṭṭār

Du wirfst zur Erde des Gesichtes Glanz  
Und schmückst den Staub mit holden Bildern ganz.  
Der Frühling kommt mit Blüten allzuhauf,  
Vor deinem Antlitz wallt die Rose auf.  
Sieh, wie die Rose nach dir sehnend lacht!  
Daher kommt ihrer vielen Farben Pracht.  
Narzissen setzt du Kronen auf aus Gold,  
Juwelenschmuck aus Wolken auf sie rollt.  
Trägt Veilchen deines Klosters Ordenskleid  
Und senkt den Kopf so tief aus Trennungaleid.  
Die Lilie will mit jeder Zunge loben  
Dich, Herr, und trägt deshalb das Haupt erhoben.  
Ihr Herzblut trinken Tulpen, die dich lieben,  
Die Wang ist bleich, ihr Herz blutrot geblieben..

فرید الدین عطار

فروغ رویت اندازی سوی خدایک  
عجالب نقشا سازی سوی خدایک  
هار ونسترین پیسا تمایید  
ز رویت چو گل غوغا تمایید  
گل از شوق تو خندان در بهارست  
از آتش رنگهای بی شمارست  
نهی بر فرق نرگس تاجی از زر  
فشانی بر سر او زابر گوهر  
بنفشه خرقه پوش خانقاهست  
فگنده بر سر از شوق راهست  
چو سوسن شکر گشت از هر زیانت  
از آن افراخت بر سوی جهانست  
ز عشقت لاله هر دم خون دل خورد  
از آن ماندست دل پر خون و رخ زرد

Abū Nuwās

Die Narzisse

Schau an der Erde Gürtlen und betrachte  
Die Spur des Künstlerwerks von Gott dem Herrn:  
Wo Silberaugen in die Höhe blickend  
mit wie aus Gold geschmolzenem Augenstein  
auf dem smaragdnen Stiele, Zeugnis geben,  
daß Gott erkennt keinen Nebenherrn.

ابو نواس

الترجس

تأمل فی ریاض الارض وانظر  
الی آثار ما صنع الملیک  
عیون من لجن شاخصات  
بأحداق هی الذهب السیلک  
علی قصب الترجمد شاهدات  
بأن الله لیس له شریک

Ibn Tammām

O Mandelblüte, sei du uns begrüßest,  
den andern Blüten all voraus mit Fächeln;  
Die Tage werden schön durch dich; du scheinst  
im Mund der Welt das erste Frühlingslächeln.

ابن تمیم

ازهر اللوز انت لكل زهر من الازهار تأتينا اسام  
لقد حسنت بك الایام حی كأنك فی فم الدنيا ابتسام

محمد اقبال

حوری بگنج گلشن جنت تپید و گفت  
 مارا کسی ز آنسوئی گردون خبر نداد  
 ناید بفهم من بحر و شام و روز و شب  
 عقلم ریود این که بگویند مرد و زاد  
 گردید موج نگهت و از شاخ گل دمید  
 پا اینچنین بمالم فردا و دی بهاد  
 و کرد چشم و خنجه شد و خنده زد دی  
 گل گشت و برگه برگه شد و بر زمین افتاد  
 زان نازنین که بند زپایش کشاده اند  
 آهی است یادگار که بو نام داده اند

Muhammad Iqbal

Im Himmelsrosenhag sprach eine Huri:  
 „Ich habe nie, was jenseits ist, erkannt;  
 Was ist das: Tag und Nacht, und Morgen,  
 Abend?  
 Geburt und Tod, sie kennt nicht mein Verstand!“  
 Zum Dufthauch ward sie, sproßt' am  
 Rosenzweig —  
 So setzte sie den Fuß in dieses Land.  
 Das Auge tat sie auf, ward Knospe, lächelnd,  
 Ward Rose — Blatt um Blatt fiel in den Sand,  
 Und von der Zarten, die die Fesseln löste,  
 blieb nur ein Ach — man hat es Duf genannt.

ابن المعتز

عیون اذا عاينها فكأنما  
 مدامها من فوق اجفانها در  
 عاجرها بيض واحداتها صفر  
 واجسامها خضر وانفاسها عطر  
 لدی روض بستان کان نیاته  
 تقنع وشياً حين باکوه القنظر

Ibn al-Mu'tazz

Auf die Narzisse  
 Nur Augen! Siehst du sie, als ob die Träne  
 Als Perle über ihren Lidern lag;  
 Ganz weiß ringsum, und gelblich die Pupille,  
 Der Körper grün, und Duft die Seele zag,  
 Im Park, des' Blumen sich mit bunter Seide  
 Verschleiern, wenn früh Tau besucht den Hag.



السراج المحار

وفی الازهار زهر راق حسنا  
 تجمل فی بیاض واحمرار  
 کأن عیونه ترنو الینسا  
 عیون حشوها اثر الحمار

As-Sirādsch al-Muhār

Pfirsichblüte.  
 Eine der Blüten strahlt in Schönheit  
 Und sie schimmert rötlich und weiß,  
 So als blickten auf uns ihre Augen,  
 Augen, vom Rausch noch gerötet und heiß.



### Baki

Nam ü nişane kalmadı fasl-ı bahârdan  
Düştü çemende berg-i dirahî iübardan.

Eğcar-ı bağ hurka-i tecride girdiler  
Bâd-i hazan çemende el aldı çenardan.

Her yaneden ayasına altın akup gelir  
Eğcar-ı bağ himmet umar cûyibardan.

Sahn-i çemende durma sahnın sabâ ile  
Azadedir nihâl bugün berg-ü bârdan.

Baki çemende haylı perişan imiş verak  
Benzer ki bir şikayeti var rûzigârdan.

Kein Zeichen man vom Frühlingsglanz mehr fand;  
Die Blätter fielen achtlos hin im Land.

Die Bäume zogen Klausner-Kutten an,  
Der Herbstwind raubt' Platanen ihre Hand.

Zum Strom hinunter fließt der Bäume Gold,  
Denn Gunst von ihm erhoffen sie am Strand.

Bleib nicht im Garten! Wie im Wind er schwankt!  
Leer jeder Ast von Blatt und Früchten stand.

Im Garten liegen Blätter wild verwirrt,  
Wie klagend über Schicksalssturmes Brand.

### Ahmet Haşim

Karanfil.

Yârin dudâğından getirilmiş  
Bir katre alevdir bu karanfil  
Ruhum acısından bunu bildi.

Düştükçe vurulmuş gibi yer yer,  
Kızgın kokusundan kelebekler,  
Gönlüm ona pervane kesildi.

### Die Nelke

Ein Flammentropfen, der von der Geliebten  
Lippe gebracht ward — das ist diese Nelke.  
Ich merkte es aus ihrer Bitterkeit.

Da ringsumher, so wie erschlagen, fallen  
Von ihrem wilden Duft die Schmetterlinge,  
Ist auch mein Herz zum Falter ihr geworden.

هذه الاشارة مأخوذة من كتاب Lyrik des Ostens ، مساعدة دار نشر كارل هانسر ، Carl Hanser ، مونيخ





# الزهور والنباتات في ألمانيا

بقلم هلموت بويكر، هلمهايم

أنت جينتي الهادئة

أنت فردوسى الزهر

حيث النسيان والراحة بانتظاري

وحيث أتمتع بحياة ثانية جميلة

ويعيش رغد حرمي منه القدر القاسي

هذه ترجمة لأحدى القصائد الكثيرة التي يشبه فيها النفس البشرية بالحديقة. فالحديقة الخضراء المزهرة تعبر عن علاقة الإنسان بالإنشابة والشخصية بالجو الذى يعيش فيه، فالشفاش والأعشاب والأزهار والشجيرات والاشجرات الراسخة والمتأصلة فى التربة هى من صنع هذه الأرض وهى بالوقت ذاته علة حياة البشر ولها علاقة وطيدة بحياة الإنسان الحسيدة والنفسانية على السواء.

إن الإنسان الذى ينشأ وترعرع فى الطبيعة ويعمره احضانها ايل شعور بالحسب ليكتسب من هذه الطبيعة معنى عميقا لكلمة الوطن والشعور بأنه مرتبط ومتأصل بربة الوطن التى تمنحه الحياة والطمأنينة. لكن عصرنا الحاضر والتطور التقنى، الذى يجرى فيه، جعلنا الإنسان يشك بالقيم الموروثة، وترعاه من مجرى حياته المنظمة. فلدينا الفن الاصطناعية التى ابدعت الإنسان عن الطبيعة ومع ذلك لا تزال النفس البشرية متعلقة بهذه الطبيعة وهباتها بحنين واشتياق دائم «لحديقة الفردوس»

تبدل اليهود فى عصرنا هذا لإعادة علاقة الإنسان بالطبيعة هذا الرباط الطبعى الذى يجب على ما يجب فؤاد صحة للإنسان والبلاد على السواء. ولغده اليهود مشاريع كثيرة تحصى فى ألمانيا منها حركة الحدائق الطبيعية العامة ومعرض البساتين الاتحادى والمشروع المسى «الخضار هومونة» ومسابقة اجمل الشرافات وغيرها. فهذه الحركة، التى يسميها الاخصاصيون «حركة الخضار» امتدت الى جميع نواحي الحياة وتمثلت فيها رغبة الإنسان بأن يسكن فى محيط تتدفق الحياة فيه جمالا ويتمتع الإنسان فيه بأفخر منتجات الطبيعة.

يستطيع كل من سوى الطبيعة أن يلى رغبته هذه بغض النظر عن مساحة الأرض التى يحيازته. إن الحديقة تبدأ فى الدار، لا... بل تبدأ فى الغرفة.. فى آية الزهور الموضوعة على مصطبة النافذة. فى كل بيت فى ألمانيا وفى كل مسكن، نجد نباتات الحجر عاثشة مع سكان البيت. وهذه عادة قديمة ولكن أنواع نباتات الحجر تفرت فى عشرات السنين الأخيرة، من الحديقة الأفريقية وألبانيا والنوع المسى بلسن الهيدبة، وهى البغونيا الصغيرة الكثيرة الازهار، والنوع المعروف بأستراليا، الى أنواع النباتات القوية التى لا تنمو الا فى الحجرات المدفأة مثل شجرة المطاط والفيلودندرن والثرجمس والقنب الهندى. ونادرا ما نجد فى أيماننا هذه دارا تسكنها عائلة عفردها حيث لا توجد فيها نافذة خاصة بالأزهار، تجلب جو الحديقة الى داخل البيت. وفى استطاعة الهوى أن ينشأ جميع ما يرضيه من أغرب النباتات طوال السنة دون المبالاة بالطقس خارجا أو الأكرثار بفصول السنة. فمنهم من يستطيع أن يجعل زهرة الروراند القمية أن تزهى على نافذة فى غاية من الصغر، أو أن ينشأ انواعا غريبة ذات التواء عجيب من الصبار فيها. فهواية تربية الزهور داخل البيت ليس لها حد من الناحية الفنية أو الأجماعية، ويراسطها نمكس صورة خلافة لقدرة الطبيعة فى عالم البيت الصغير.

اما العناية بالنباتات خارج البيت فان الامكانيات فيه اضعال بكثير بسبب برودة الطقس فثلا لا تصل الازهار فى الصاندين على الشرف الى ابيع رونقها الا فى أدفأ ايام الصيف، وصناديق الزهور هذه، هى فن دائم فالزهور النامية فيه مثل البوتونا والحديقة الأفريقية وجميل دنلش وكسيلاريا ولوبليا لا تمر اصحابها فحسب بل تدخل البهجة الى قلوب المارين الذين تستريح

من رسم «جينتي الفردوس» لاساتذ غير معروف من القرن الثالث عشر فى منطقة هيرالين العليا، محفوظ فى متحف شتدل فى فرانكفورت على الماين.

من كتاب «د. ت. موير، Gotische Malerei nördlich der Alpen دار دويتش شلبرج للشرق، كولونيا ١٩٦٦



التي تخرج إليه العائلة من غرفة الجلوس ، هو ولوكان صغيرا اكريمة من حديقة كبيرة ليس لها اتصال بالبيت . إن هذه العلاقة بين البيت وبستانه ، كانت موضوع بحث ، جرى بين مهتمى البناء ومهندسى البساتين ، واستطاع الحائنان أن يحققا المثال الأعلى في هذا الصغار ، بعد أن تقلبا على صغوبات جملة . وقادت هذه الجهود الى انشاء فن حقيق في هندسة البساتين ، مقياسا ليس امتداد البساتين ، بل في امكانية السكنى فيها . وعلمنا هنا أن نذكر حالة استثنائية ، وهي البساتين على سطوح عمارات المدن الشائعة ، فهي مرغوبة لدى سكان هذه العمارات ، لانها لا تمكنهم من التمتع بالأزهار فحسب ، بل تمنحهم مكانا مريحا ، وبعبدا عن ضجة حركة المرور ، وعن قذارة هواء الشارع ، ومن الموصف أن مثل هذه الحينيات ، ما زالت قليلة الأنتشار .

نخضع فن انشاء البساتين في ألمانيا في الوقت الحاضر ، لتأثير هندسة البناء ، فخطوط البناء الصريحة والواضحة طبقت على البستان ، وكذلك حدث تغير في نوع مواد التشييد في البساتين . فالبستان الحديث ، مرتب ومنظم بأناقة ودقة ، وهو مبنى بكل معنى هذه الكلمة ، أى انه مقسم بحسب المهام المنسوبة اليه . لقد فات الوقت الذي كانت فيه الطرق في البساتين ملتوية ، وبرك السباحة لها شكلها الكلى ، والخطوط الفاصلة والحاجزة شبه متحركة ، فان فن البساتين الآن يظهر في كيفية استعمال النباتات ، وفي امكانية التشكيل بها ، حتى تخفف من حدة الخطوط الهندسية ، وتسر لميون كثافة فاخرة للنباتات ، ولكنها كثافة خاضعة للنظام وموافقة لهدف التشكيل ، وهو اخضاع الطبيعة للهندسة . ولكن هذا الاخضاع ليس تسلطا مثلا حدث في عصر الباروك ، عندما كانت الإرادة الانسانية تسيطر على جميع انواع النباتات ، ويجرى اتقان هندسة البساتين بمساعدة المقص . وليست الحديثة الحديثة مثل الحديقة الانجليزية ، التي تركت على شأنها لتتوهم نموها الطبيعي ، بل تخضع فيها النباتات للتناسق العام في الحديقة ، وتحافظ بالوقت نفسه على مركزها ، كخليفة حية يعطى لها كل مجال للنمو والتطور ، لتظهر جمالا فاتقا .

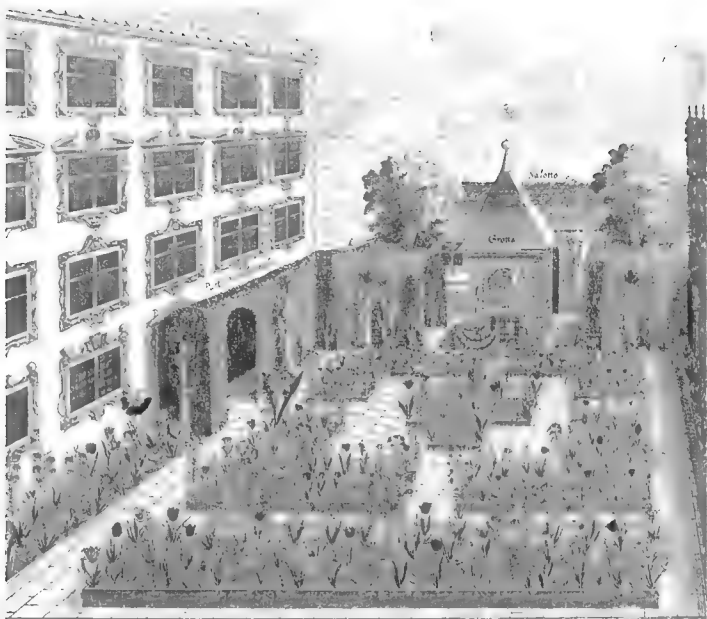
بينما كانت مواد الانشاء الطبيعية تستعمل في تشييد البساتين ، حتى قبل بضع سنوات خلت ، نجد الآن مواد الانشاء الحديثة قد احتلت مكانها . فبدلا من حجر المسن ، تستعمل الآن الخرسانة في تشييد عماشى البساتين ، والجبر

انتهاهم ايضا . وكذلك للأزهار المزروعة في سطوح مشل الأجبابايتش والذلفي وجميل دندش التي تعطى شوارع مدنا القديمة والضيقة في القسم الجنوبي من البلاد منظرها المهود لها نفس الأمر الطيب في أنفاس المارين .

ومن اجمل الزهور التي تنمو وترعرع في أشهر الصيف القليلة في صناديق الشرف والبساتين هي ازهار لا تنمو وترعرع الا سنة واحدة وموطنها المناطق الحنوية الدافئة وتلاشى عند هبوط درجة الحرارة وعند ظهور أول نجمد في الخريف .

وعلمنا هنا أن نتكلم عن الحينيات الصغيرة التي تسمى في الألمانية باسم مبدعها «جينات شريفة» . وهي ربما تكون من الميزات الألمانية . فانها لم تفقد اهميتها في زماننا الحاضر بل بالعكس فان عدد هواة البساتين من بين سكان العمارات التي لا بساتين لها في ازدياد مستمر . وشوق سكان المدن لطبيعة والخضار لا يمكن أن يبد الا بالحينيات الصغيرة ، واننا نجد اناسا متممين الى جميع الطليقات الاجتماعية يملكون جينة في مستعمرات التعاريش التي تحيط المدن ، مثل أكابيل خضراء ، وحسبنا أن نرور مثل هذه المستعمرة لتتحقق من أن الدافع لانشاء هذه البساتين ليس حاجة مادية اقتصادية ، بل التشوق للحياة في احضان الطبيعة . فالقسم الأكبر من قطع الأرض البالغة ما بين ثلاثمائة واربعمائة متر مربع يكون مخصصا للاستجمام أو لانعام ازهار الزينة . هناك كثير من الناس لا يرضون السفر للسيارات في الازدحام المهود عند نهاية كل اسبوع ليصلوا الى ضواحي المدن ويتمتعوا بمنظر الطبيعة الخلابة بل يقضون اوقات فراغهم في جينيتهم بعيدين عن خطر الشوارع ويسرعون فيها جسدا ونفسا من متاعب ومشاق الأعمال . فصاحب الجينة الصغيرة هو هادى البساتين الحقيقى لانه لا يترد من السهر على قدميه ليصل الى جينيتيه ولانه مغمض ارادته للأظمة التي تسبها المنظمة بخصوص جينيتيه . ولكن هناك امر واحد ينقصه وهو أن جينيتيه لا تقع مقابل بيته وانها ليست بيته الممتد الى الخارج الى الشمس والخضار .

لكل بيت يمكنه عائلة عفردها بستان ندعوه بستان البيت . وهذه البساتين تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا فليس كل بستان منها يسحق تسميته بستان بيت إذ أن هذا اللقب ينحصر على البساتين التي تشكل قسما من البيت بمعنى انها لا تكون شيئا غريبا مستقلا حول البيت بل مكانا للسكنى والاستعمال ، مثل البيت نفسه . فالبستان ،

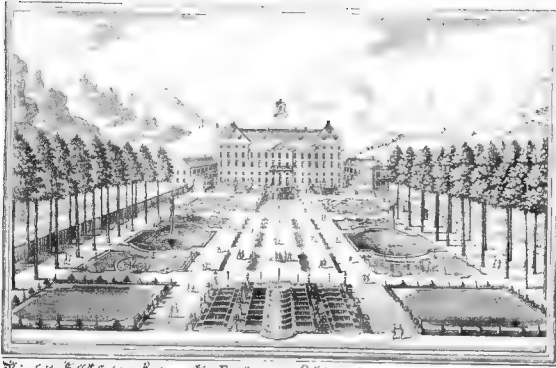


Entwurf zum mittleren Parterre im Hofgarten zu Ansbach, kolibrierte Federzeichnung von Leopold Reti, um 1735. Berlin, Kunstbibliothek.

مشروع لطابق الأرض المتوسط في حديقة القصر في أنسباخ ، رسم ملون بالريشة بيد ليوبولد ريتي حول ١٧٣٥ . برلين ، مكتبة المتحف . مأخوذ من كتاب ، Gartenlust ، لشرما Gerda Gollwitzer في 1961 . نشره هذه الصورة Prastel-Verlag . نشره هذه الصورة

المضمار ، كما نرى تأثيره واضحا في استعمال الحصى الكبيرة او الصغيرة في تغطية مساحات صغيرة او رصف قطع كبيرة في البساتين . إن البستان الألماني ، هو مكان عزلة محاط بمجدار او سياج من النباتات المقصومة او الشجيرات غير الكثيفة ، تحجبه عن بيت الحيران ومارة الشارع وأعين الغرباء . ويريد المرء أن يكون فيه بمنزلة ومفردة ، حتى يشيد فيه دنياه

تبني في الوقت الحاضر من الأسمنت ، وقلما بنيت من الحجارة الطبيعية او من حجر الطيور او اللبن ، وكذلك يستعمل الفولاذ بدلا من الخشب في تشييد العرائش . لقد جعلت مواد الأنشاء الحديثة هذه للبساتين فنية جديدة وخفة لا عهد لنا بها . كما أن نصب هذه المواد لمواجهة للبساتين ، امكنت انجاد تراكيب جديدة ساحرة . ومن المحتمل أن فن البساتين الياباني له أثر كبير في هذا



Der erbaute Hofplatz samt dem Garten von Hohenburg  
 44. Bild der Mitt. Strafen des Anwarts in Hohenburg

Palais et jardin nouvellement bati de son Excellence  
 Comte de Tournay, à Tölz, en Bavière.

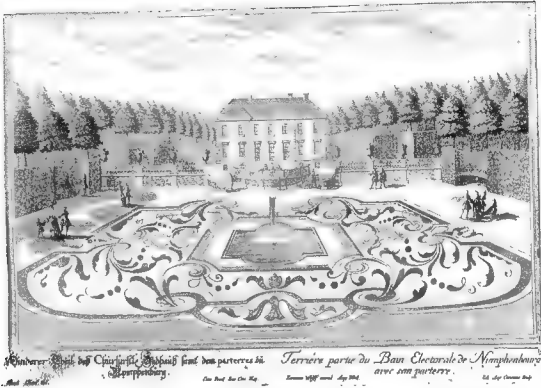
هوهرج مجاروتيلس . حديقة الحصن حول ١٧١٤ . عن رسم معاصر .

Hohenburg bei Tölz. Schloßgarten um 1714. Nach einem  
 zeitgenössischen Stich.

هذا اصبح المرج ملعب سكان الحديقة ، والمكان الذي فيه يستلقون ويتشمسون ويتكاسلون ، مع كونه موضع الهدوء والراحة وسط سماء الحديقة المحيطة به . وفي فصل وغالبا قبل أن تتألق النباتات الحاورة له بؤبؤ الازهار ، وتكتفى زمامها الأخضر الزهري ، يسمح للرجح أن يظهر بألوان اخرى ، وذلك عندما تبرز أزهار السورنجان مباشرة بقدوم فصل الصيف الهبى .

في كل بستان مكان للجلوس ، يقع غالبا في الناحية التي تصلها اشعة الشمس مدة أطول من غيرها ، اى في الجنوب او الجنوب الغربى من الحديقة . والمقعد يكون مستندا الى جدار البيت ، او واقفا في زاوية متوازية ، يشتر الإنسان فيها بدعة الطمائية وسكون التأمل . فاذا ما جلس المرء عليه تجلى امامه منظر الروضة المشرق ، ومنه يشرف على البعد البعيد ، ويحف به اجمل ما بنيت من الازهار . وكثيرا ما ترى تحت سقيفة في الحديقة ، مدفأة مفتوحة يجتمع حول لمها أهل البيت ، في ساعات المساء الباردة ، او اثناء هطول الأمطار وبذلك تزاد الساعات التي يمكن

الخاصة ، دون ازعاج من الخارج . نادرا ما يستطيع الإنسان أن يمدد بستانه حتى يشمل الطبيعة حوله ، وذلك لا يكون الا في الأنحاء الريفية بعيدا عن المدن ، او اذا كان البستان واقفا على رابية في ضاحية المدينة ، فيتمتع منه بمنظر مئات البيوت الواقعة تحته . وهنا يشعر الإنسان بأنه يعيش في بحرى الحياة الصائبة ، مع كونه على حاشيتها . وفي مثل هذه الحالات ، يفقد البستان اهميته فالمنظر البعيد وجمال الطبيعة المحيطة ، لما تأثير اقوى على الإنسان من تأثير اى بستان ، فلا يصمد البستان امام هذه المنافسة لكونه مكانا محدودا كفايته في نفسه اصلا . يجب أن يتناسق كل شيء في الحديقة مع المحور ، اى الخضرة او المرج في البستان . ومنذ مدة قصيرة ، اصبح بالإمكان أن يحافظ كل مربع على خضرته ، وأن يطأه صباحيه بقدميه دون اتلافه ، فاصبح بملك مشاهي للمروج البريطانية الشهرة ، وذلك بفضل الاختبارات الطويلة في اختيار البزور والأسمدة الصالحة ومعرفة الاعتناء بها .



Handwritten text: *Handwritten text in German, likely a title or description of the engraving.*

Handwritten text: *Handwritten text in German, likely a title or description of the engraving.*

نيلنبرج - أحواض زهور أمام بادربيرج . من رسم معاصر .

Nymphenburg. Blumenanlagen vor der Badenburg. Nach einem zeitgenössischen Stich.

الرسوم الأصلية توجد في قسم الخطوط بمكتبة بالاريا الروسية ، ميونيخ .

Die Originale der Bilder befanden sich in der Handschriften-  
abteilung der Bayerischen Staatsbibliothek, München.

تمدنا بالمواد اللازمة لبقاء المياه نظيفة . ومع أن حوض الماء غير المثبت المصنوع من مادة البلاستيك ، لا يزيد الرطوبة فنا أو جمالا ، فإن له مكانا في الحديقة لقوائده الحمة . فان للماء يزيد البستان متعة ، وفي مياه البركة الحادثة يتمكن ظل الغيوم والزهور والأشجار ، وفي حوض النباتات المائية ، تلعب أسماك المروجان بين عرائس النيل والخيزران والقصب ، ومن الممكن أن تسترعى النافورة أو تمثال على البركة أو حوض حجري للعصافير انتباه كل من في الحديقة .

للحديقة الألمانية طبقا لتقاليد ، فواكه مادية . منها ان رية البيت تزرع فيها أعشاب الطبخ ، وكثيرا ما يزرع فيها الفريز والخضر على أنواعه والكبوش ، وبستان المطبخ هذا يفصل عادة عن القسم الآخر من البستان ، أو ربما يقع في ناحية أخرى من البستان ، أو يوربه سياج من الشجيرات الكثيفة عن الأنظار . فانه نادرا ما يمكن الانسجام بين هذين القسمين في الحديقة . ولكن أشجار الفاكهة تزرع

قضاياها خارج البيت ، فانه قلما عمل الناس حرارة الشمس . ومع ذلك فهناك دائما مقعد مثبت تحت شجرة مظلة ، أو تحت عريش مكمو بنائية العنب أو بنات الحلو أو بالورد .

مع أن المقعد هو عرول البيت والبستان ، فان البستان ليس مجرد شيء يتجمع الإنسان به بالفرج فحسب ، فانه ليس صورة رسام تنفر مع تعاقب فصول السنة موثرة على العين المتأمل ، بل هو ليسر والتزهو ، والممرات فيه تجلب السكان للإهتمام والانشغال بتفصيلاته ، وتجرحهم بذلك من موقف المتفرج السلبي . وهذا عين ما يريده كثير من هواة البساتين ، أي العمل الحسني في الحديقة الذي يجلب لهم الاستجمام المرغوب .

والفرص من برك السباحة في البستان ، هو الراحة والقهو ، ومنذ زمن مديد ، لم تعد هذه البركة علامة ترف لا ملكها الا الأغنياء ، بل أصبح وجودها في كل حديقة حديثة أمرا طبيعيا ، وذلك بعد أن أصبحت المصانع الكيماوية

في بستان المسكن ، واجملها ازدهارا هي اشجار الكرز والضح والاجاص ، التي اصبحت تلتف بالأشجار البيئية ولا تقوفا بهاء الا شجرة المانوليا . اما باقي الأشجار ذات الأوراق الظرفية فهي أضخم من أن تررع بتجاح في بساتن البيت فلا يقع البصر الا نادرا على اشجار الزيزفون او البوط في الخمائل الموجودة في المدن .

من المقطوع به أن البساتن تصل اوج بهائها في بعض فصل السنة دون غيرها ، ولكنها لا تفقد الحياة حتى عند حلول اقسى فصول الشتاء بردا ، وعندما يغطي الثلج والحليد . ففي غضون فصل الشتاء يزهو الياسمين ، وورد الثلج المسى هليور ويزهر المامليس مباشرة يقرب فصل الربيع .

في مسهل الربيع ، يبدأ وقت الزهور البصلية ، التي تنطلق في التربة بألوان زاهية وأشكال متنوعة ، مرافقة ايانا حتى اواخر الصيف ، وهي السائدة في الحديقة في شهرى آذار ونيسان ، ومنها الترجس وحنون الغزال والاسفيل وبصل القار والسوسن والدلفي ، التي لا نقتا أن تنمو كل عام من جديد . وتتكاثر بلا تقييد . ومنها نوع آخر اجود منها لا ينمو كل عام بل يتلاشى مع مر الزمن .

عجب الماوى ينوع خاص البستان المجري ، حيث تظهر في الربيع الشجيرات القصيرة ، والأزهار الكبرية ، في اجمل نضرتها وزيتها ، وهذه الشجيرات لا تكف عن التزهر والقوفا بالمطر حتى نهاية فصل الخريف ، ولم يعد غرس مثل هذه الشجيرات امرا نادرا ، بل اصبحت يفضل تحسين انواعها ، اجمل لونا واسمى شكلا من قبل ، وفي الربيع تزهر الشجيرات القصيرة التي تنمو في القسم المدعو «البينو» من الحديقة ، وفي الصيف تنمو النباتات الأخرى ، مثل المائق والقيس وعباد الشمس والأقحوان ، وفي الخريف يزهو الغنصيب والحوذان وزهرة اللؤلؤ ، فلا يخلو البستان من الأزهار طيلة العام . والمسألة اصبحت مسألة حصر الأنواع ، ومراعاة تناسق الألوان ليلائم بعضها البعض ، وربما كانت أحدث ميزة في هتمة البساتن ، ابراز الزهرة الواحدة ، وهناك امكانيات لا تحصى لزرع الزهور والحشائش لتشكل صور ساهرة وخفيفة . واستعمال الحشائش للترتيب ولتكميل الشكل والمنظر ، حديث العهد في جنيات بلادنا .

عندما يدنو فصل الخريف ، وتسقط أوراق اشجار الغابات تنساق كذلك أوراق الشجيرات الصغيرة في الحديقة ، وتبقى عارية من أكتوبر لغاية أبريل ، وفي كثير من الأحيان تزهو الشجيرات مرة اخرى قبل سقوط الأوراق بقليل .

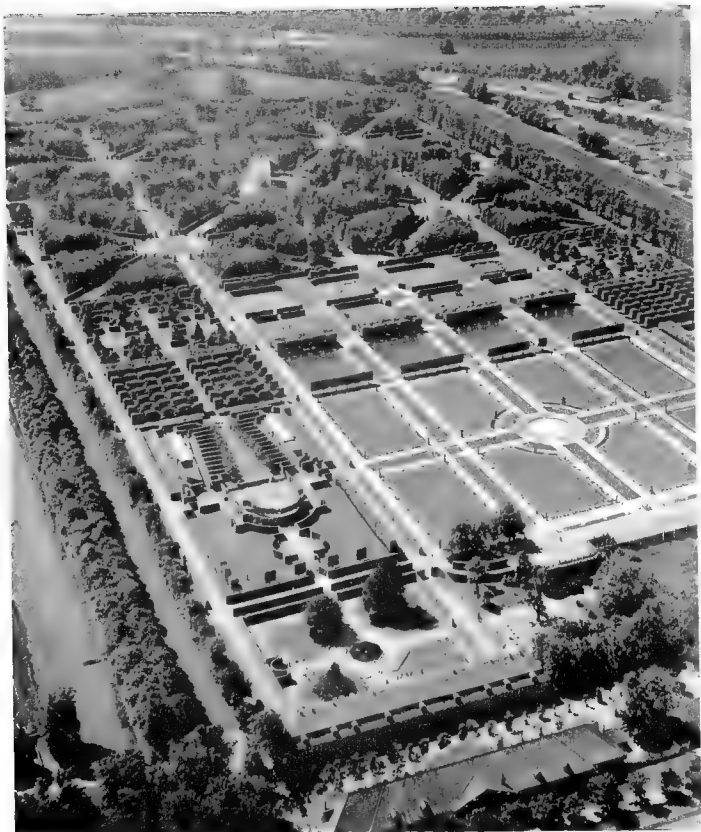
ولكن اوج ازدهار شجيرات الزينة يكون في الربيع ، عندما تزدري شجيرات اليلسان والسنش والاس والزند والأكيلية والكرز ترى اسمى ألوانها لمدة اسابيع قليلة . والأوج الثاني يكون في فصل الخريف ، عندما تغير الأوراق ألوانها ، وتتلون بالأصفر البراق او الأحمر الأرجواني ، وذلك قبل سقوط الأوراق . ومن المرغوب فيه أن تحافظ الحديقة حتى في فصل الشتاء على لونها الأخضر النضر ، ولهذا السبب ، يفرس المارة احيانا في بساتينهم اشجار الغابات الشلعة ، التي تحتفظ بأوراقها طوال العام ، مع أن هذه الأشجار لا ينسجم شكلها الصارم وأغصانها الضخمة مع باقي نباتات الحديقة .

ولا بد من ذكر شجيرات الروديندرون الوردية ، التي تمتاز على غيرها بجمالها ومجد نوعها ، فانها تنمو في الطقس البارد والرطب في شمالي ألمانيا ومنطقة الحبال الوسطى ومنها الشجيرات القدعة التي ترتفع الى أكثر من متر ، وتتألق عاما بعد عام في اغصانها اجمل الأزهار . ومن الموزن ان معظمها يعصاب بالضرر عند حلول فصل الشتاء البارد .

من اقدم نباتات الحديقة في ألمانيا ، الوردة ، فانها موجودة في كل جينة ، ولها أشكال وانواع عديدة ، تتدرج من الوردة القصيرة القد ، الى شجرة الورد الكثيفة . والورد يزهو بلا انقطاع ، وبكميات لا تحصى ، فتفيض على البستان من مقدم الربيع الى اواخر الخريف ، بظورها والوانها الحسنة . ولا يزال بستان الورد محضفا بأهيمته وبشكله التقليدي ، حيث تكون انواع عديدة من الورد مفرسة في ارباع جنى الى جنب بحيث تؤلف وحدة انسجام في الألوان والشكل . وكثيرا ما نصادف جنيات ورد داخل جنيات البيت . ونرى احيانا وردا مزروعا وسط الشجيرات القصيرة والأزهار الطويلة يزيد البستان جمالا وبهرا . ومن افضل انواع الورد وأكبر قيمة للبستان هو النوع الذي يزهو بلا انقطاع الى اواخر الخريف مثل الورد الصغير المتعدد الأزهار (بوليانا) والورد القصير .

ما هذه الصفحات الا جزءا ضئيلا من امكانيات الحياة والعمل في البساتن ، في هذه الأصمقاع من العالم التي تسكن فيها ، ولتضع ختاما نصب اعيننا ، أن هذه الحديتات المزدهرة هي شبه فردوس ، فانها تمنح سكانها الراحة والأنسجام والفرور بالطبيعة والهدوء ، هذه القيم التي اصبحت صعبة المال في عصرنا الحاضر .

ترجمة : رامون ازار



Im GroÙen Garten von Herrenhausen. Luftbild.  
Niedersächsisches Ministerium für Wirtschaft und Verkehr.  
Foto: Heinz Koberg, Hannover.

في الحديقة الكبرى في هرنهاوزين. صورة من الجو. حفنة  
وزارة تيدرسا كسن بألمانيا للإقتصاد والمواصلات .  
الصورة: هاينز كوبرج ، هانوفر.



# رومى الحزين

للأديب الألماني المعاصر: هاينرش بل

ترجمة دكتور مصطفى ماهر - القاهرة

هاينريش بل Heinrich Böll من أعظم كتاب ألمانيا المعاصرين. ولد في مدينة كولونيا على الراين في عام ١٩١٧ وتعلم حتى حصل على شهادة إتمام التعليم الثانوى ثم اشتغل بتجارة الكتب الى أن اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ فخرج به في خضمها مع من زج بهم. فلما وضعت الحرب أوزارها عاد الى موهبته الأدبية واحترف الكتابة والأدب منذ عام ١٩٤٧. وقد عالج هاينريش بل فنونا متنوعة من الأدب فكتب القصة القصيرة والمقالة والتمثيلية الإذاعية. وتودر هذه المؤلفات في أغلبها حول الحرب والتخريب للمادى والأدى الذى أحدثته من ناحية وحول الحكم الأبراهى الذى سبقها من ناحية ثانية. ويتصف أسلوب هاينريش بل بالوضوح والأتران والانتظام وما يضيفه عليه صانعه البدع من الفكاهة اللاذعة والحكم. وقصة وجهى الحزين Mein trauriges Gesicht التى ننشر ترجمتها فى هذا العدد ظهرت مع مجموعة أخرى من القصص القصيرة تحت عنوان Heinrich Böll, 1947-1951, Verlag Friedrich Middelhaue, Opladen 1963, Copyright 1950.

ولكنى كنت سعيدا رغم حزنى. لقد كان جميلا أن أقف هكذا داسا يداى فى جيبى أتطلع الى طيور النورس وأشرب الحزن شربا.

وفجأة امتدت يد حكومية رسمية الى كفى وقال صوت : « تعالى معى ! » وحاولت اليد أن تجرنى من كفى وتديرنى غضبا. لكنى بقيت ثابتا وهزئت اليد لابعدها ثم قلت فى هدوء : « أنت مجنون ».

فرد الشخص الذى لم انظر اليه بعد قائلا : « يا زميل اننى أحذرك ».

قلت : « سيدى »

فصاح مغضبا : « ليس هناك سادة وغير سادة. اننا كلنا زبلاء » ثم تقدم الى جوارى وتطلع الى من الجانب. فسا رأيته حتى وجلتني مضطرا الى استعادة نظرى السعيدة المائعة والتمتع فى عينيه المحدثين : كان عابسا كالحاموس لم يبتلع من علف منذ عشرات السنين غير الواجب .

وحاولت أن أبدا الكلام من جديد : « هل من سبب ... » فقال : « سبب كاف، وجهك الحزين ».

فضحكت.

فصاح فى : « لا تضحك ! » كان حقته حقا حقيقيا غير متكلف. وقد ظننت فى مبدأ الأمر أنه أحسن بالملل لأنه لم يجد عاهرة غير مسجلة أو يجازا يرتع من السكر أو لصا

عندما كنت أقف فى الميناء أنظر الى طيور النورس لفت وجهى الحزين انتباه شرطى كان مكلفا بالدورية فى المنطقة. كنت مستغرقا فى التطلع الى الطيور المائعة وهى تنطلق الى أعلى ثم ترجى الى أسفل باحة حزينة لتأكله دون أن يعيدى عنها شيئا : فقد كان الميناء خربا خاويا والماء كثيفا أخضر اختلط به الزيت والنفوس وعلقت سطحه قشرة جامدة علقت بها مهملات كثيرة متفية. كان الميناء خاليا لا تدب فيه سفينة تناظر الواقع يعلوها الصدا والمخازن منهمة خربة ورصيف الميناء غاصا بالانقاض السوداء التى لا تنسك حتى الحزاز السيل إليها. كان السكون يحيم على المكان الذى انقطعت الصلة بينه وبين العالم الخارجى منذ سنوات عديدة.

ولفت متبنا بصرى على طائر بعينه أتأمله فى طرانه. كان خائفا كالصفرور عندما يحس قدوم البحر الماصف، يحوم قرب سطح الماء غالبا ويحاول أحيانا الانطلاق عاليا وهو يصيح لينسلك فى فلك رفاقه من الطير. لو كان لى فى تلك الساعة أن أتمنى شيئا، لكان الحيز أحب أمنية الى نفسى حتى أقطعه لقا صخرة القبا الى الطيور المضطربة المائعة فتجد فى طرانه نقطة يضاء مجددها وغرضا توجه طرانه الى اليه. كم كنت أود أن أدفع الى هذه الطيور بقطة من الخبز فى وسط عمارها حتى أضمر خيوط طرانه المتشعبة فى نسيج منظم. لقد كنت أنا أيضا جاعا جوعا وكنت تبنا مرهقا،

أوسجينا هارباً من العقوبة يقبض عليه فأراد أن يبعث في.  
لكنى تحققت الآن من أنه جاد في مقاله. كان يريد أن  
يقبض على .

« تعالى معي ... »

فسألت هادثاً : « ولماذا؟ »

وقبل أن أعود الى نفسي أحسست سلسلة رقيقة تحيط  
بمصرم بدى اليسرى. في تلك اللحظة أيقنت للمرة الثانية  
اننى ضائع. فالتفت مرة أخيرة الى طيور التوريس المائسة  
ونظرت الى السماء الرمادية الحميلة وحاولت أن أدور بفتة  
وأتردى في الماء فقد طرا على أن من الأفضل في أن أموت  
وحدى غرقاً من أن أموت في مكان مجهول يشع على يند  
الحلادين الغلاط أو أن يزج في في السجن ثانية. لكن  
الشرطي جذبني اليه جلبة كان الأفلات منها أرا غير ممكن.

وعدت أسأل : « ولكن لماذا؟ »

« هناك قانون يفرض عليك أن تكون سعيداً »

فصيحت قائلًا : « وأنا سعيد »

فهز رأسه قائلًا : « وجهك الحزين ... »

فقلت : « لكن هذا القانون جديد »

« لقد مضى عليه ست وثلاثون ساعة وأنت تعرف أن أي  
قانون يصبح نافذ المفعول بعد انقضاء أربع وعشرين ساعة  
من اعلانه. »

« لكنى لا أعرفه »

« هذا لا يعني من العقوبة. لقد أعلن القانون أول أمس  
عن طريق مكبرات الصوت وعلى صفحات الجرائد. أما  
أولئك ... » وهنا نظر الى نظرة احتقار « أما أولئك الذين  
ليس لهم نصيب من نعمة الصحافة والرق فقد طيبت لهم  
اعلانات التبت في كل شوارع الاريخ. وسنكتشف أبأ  
الزويل أين أمضيت الست والثلاثين ساعة للمافية. »

هنا جذبني الشرطي بعيداً. وأحسست لأمر مرة بأن الجو  
بارد وبأننى أفترقلى مططف وأحسست جوى يرتفع الى  
أعلى فوهة معدنى تزوم. الآن فقط لاحظت اننى كنت  
قدرا غير حزين وأن ملائسي مهلهل وأن هناك قوانين تفرض  
على كل زميل (د موطن) أن يكون حليفاً نظيفاً سعيداً  
شعباً. دفعنى الشرطي أمامه كخيال المائة الذى تثبت عليه  
جرمة السرقة فيكون عليه أن يترك حافة الحقل عش أحلامه.  
كانت للشوارع خاوية والطريق الى قسم الشرطة غير بعيد.  
سرت مؤقناً أنهم سوف يجدون مرة ثانية سبباً للقبض على  
ويع مع ذلك فقد اعتاد قننى ناثرًا والشرطي يطوف في في  
أماكن ترتبط بها ذكريات شباني، أما كن كنت أرمع

زيارتها بعد الفراغ من زيارة الميت : حداثك كانت تنص  
بالشجيرات جميلة في غير نظام وطرق نما الحشيش عليها  
فقطاً، كلها أزيلت وسُحبت ومهدت وزينت ونظفت  
وحولت الى ميدان مربع للاتحادات الوطنية التي كان  
عليها أن تقوم باستمراضات أيام الاثنين والاربعاء والسبت.  
أما السماء فكانت كما كانت من قبل وأما الهواء فكان  
كما كان في الأيام التي كان قلبي فيها حارماً بالأحلام.

ولحت هنا وهناك أثناء مروري أن علامة الحكومة معلقة  
على بعض بيوت الدعارة لذين عليهم الدور يوم الاربعاء  
أن يتألموا نصيباً من التمتع الخاضعة للرقابة الصحية. كذلك  
لاحظت أن بعض الحانات قد تلقت تصريحاً بأن تعرض  
لافتة للخمير في صورة كوب حديدى من أكواب البيرة  
عليه خطوط عريضة ملونة بألوان علم الاريخ : بنى فاتح -  
بنى غامق - بنى فاتح. وما من شك في أن الفرح كان  
يغمر قلوب أولئك الذين قيدت أسماؤهم في القائمة الحكومية  
لشاري يوم الاربعاء فألموا يتألمون بيرة الاربعاء نصيباً  
معلوماً .

كان يبدو على كل من يصادفنا من المارة الهمة التي لا سبيل  
الى انكارها والنشاط الحم الذى يحوطهم كهالة رقيقة خاصة  
عندما يلصحن شريطاً قانداً. كانوا يسرون خطوط سريعة  
ويهربون بوجههم عن الواجب في أكمل صورة. وكانت  
النساء وهن خارجات من المحلات تفضن على وجوههن  
تعبيراً عن الفرح المفروض عليهن لأن الأوامر كانت قد  
صدرت بأن تمر النساء عن فرجهن وسرورهن بواجبات  
المرأة التي كان مفروضاً عليها أن تمتنع عامل الدولة مساء  
بوجبة طيبة .

لكن هؤلاء الناس جميعاً تفادونا بمهارة عما لم يضطرم  
الى اعتراض طريقتنا اعتراضاً مباشراً، كانوا عندما تلوح  
أثار حيازة على الطريق يصرون الحركة فيقتلوننا بعشرين  
خطوة. كان كل امرؤ يجتهد أن أن يندلف الى محل من  
المحلات أو يدور حول ناصية بل ربما دخل بيتاً لا معرفة  
له به فينتظر وراء بابة حتى يتلاشى وقع خطونه .

الا مرة واحدة عندما كنا نمر بميدان، اذ التقينا بشيخ هم  
رأيت عليه مسحة المرسدين. لم يستطع أن يتحاشى ملاقاتنا  
فجأ الشرطي بالطريقة المفروضة (بأن أظهر أمثاله المطلق  
ضارباً رأسه ثلاث مرات براحته) ثم شرع يؤدى الواجب  
الافروض عليه ويصق في وجهي صامخاً في الصبغة الجبرية  
وأبأ الخنزير الحانج. وجه الشيخ البصق الى توجهنا جيداً  
ولكن لم يصيبي منه إلا رذاذ طفيف يكاد يكون عديم

المادة، فقد كان الحو أثناء النهار حاراً للدرجة جف معها حلقه ولما به. وحاولت تلقائياً أن امسح البصمة بكفى رغم أن ذلك يتناقى مع التعليلات. فاجبه الشرطى خلى ولكنى فى وسط ظهرى قائلا بصوت هادئ: «الدرجة الأولى»، يعنى أول وأخف درجة من درجات العقاب الذى يوقفه الشرطى.

ثم أسرع المدرس مبتعداً عن المكان. وتفاذانا ما عداه من القوم الا امرأة كانت تقوم بتهيئة مأخورة التهيئة الحبرية المفروض اجراءها قبل بدء ساعة التمتة الليلية، امرأة شقراء شاحبة متوترة ألقت الى سريعاً قبلة طبعها على بدنها. فابتنمت لها بمننا واجهد الشرطى أن يظهر أنه لم يلحظ شيئاً لأن على الشرطة أن يسمحوا لحولاء النسوة محرمات لو استباحها مواطن آخر لنفسه لحزت عليه بلا شك أشد العقاب اذ أن هؤلاء النسوة تسهم فى رفع مقدار متعة العمل عادة اسماهما جوهرياً وهذا هو السبب الذى من أجله سمع من ممركز خارج حدود القانون. وقد شنع فيلسوف الحكومية الدكتور الدكتور بلاجيوت فى مقالة كتبها فى مجلة فلسفة الحكومة الحبرية على مدى أثر هذا التهاون مع الفاحرات قائلا أنه علامة على بداية حركة تحررية. وكنت قد قرأت هذا المقال فى اليوم السابق فى طريق الى العاصمة اذ وجدته فى محاضرات بعض المزارع مزودا بشروح فكرية جدا كتبها طالب جامعى—لايد أنه اين التلاحق القائم على المزرعة.

ولحسن الحظ بلغنا المحطة اذ أطلقت الصفارات صفيرها الدال على أن أناسا غفريين سينهزمون على الشوارع، أناسا ترسم على وجوههم سعادة بسيطة (لأن الأوامر صلبت بلا يامر الناس عند انتهاء عملهم عن فرح كبير لأن هذا يعنى أن العمل كان كبراً ينقل الكاهل، وبأن يعمروا عن الفرحة العظيم يصباح مدو وغناء عند بدء العمل). كان خروج هذه الألوف المؤلفة من العمال يعنى أبني سائل بصفا منهمراً لأن عليهم أن يهينوا ويحرقوا. الا أن صوت الصفارات كان يعنى أنه ما زالت هناك عشر دقائق على موعد الخروج. فقد كانت الأوامر تقضى بأن يقتسل كل واحد اغتصالا جيداً لمدة عشر دقائق. وقد عبر رئيس الدولة آنذاك عن ذلك بقوله: سعادة وصاين.

كان قسم الشرطة فى ذلك الحى عبارة عن كلمة غرسانية لها ياب محرمه حارسان أشيعاني عتلما مروت أمامهما «بالاجراء الحثاني». ففرض على كل جننى راسى باسلختهما الى كانا يلقاها بين جنبهما وخططانى ماسورة سلسلتاهما على عظام صدرى. وكانا فى ذلك ينفذان ما ورد فى مقدمة

قانون الدولة رقم ١: «على كل شرطى أن يظهر أمام كل معتقل (المقصود كل من يقبض عليه) بأنه السلطة الحبرية والعنف باستثناء الشرطى الذى يقوم بالقبض لانه سيسعد بتوقيع الاجراءات الحثانية الضرورية عند سماع أقوال المعتقل». أما القانون رقم ١ نفسه فنصه كالآتى: «كل شرطى يستطيع أن يعاقب أى شخص، وهو مكلف بأن يعاقب من أقترف أثماً. وليس للمواطنين حق الاعفاء من العقاب ولكن هناك امكانية اعفائهم من العقوبة».

ثم سرنا خلال فناء طويل كالح ذى نوافذ كبيرة حتى انفتح باب من تلقاء نفسه فان الحراس كانوا قد أبلغوا من بينهم الأمر بحضورنا. وكان حضور شخص مقبوض عليه فى تلك الايام التى كان كل شئ فيها سعيدا شجاعا منتظما وكان كل شخص فيها يجهد ما وسعه الاجتهاد فى استهلاك رطل الصابون المقرر فى النظافة، كان حضور المقبوض عليه حدثاً هاماً.

ودخلنا حجرة تكاد تكون خاوية بها مكتب عليه تليفون وبها كرسيان لا أكثر. كان على أن أقف فى وسط الحجرة، أما الشرطى فخلع خوذته وجلس.

نجم الهدى على المكان فى أول الأمر ولم يحدث شئ. هكذا يفعلون دائماً. وهذا أسوأ شئ على الإطلاق. أحسست كيف يهز وجهى ويزداد انهياباً، لقد كنت تمها جوعاً ضاع منى آخر أثر لسعادة الحزن تلك لأنى كنت أعرف أنى هالك لا محالة.

وبعد ثوان دخل رجل صامت شاحب يلبس زى رئيس المحققين البنى، فجلس دون أن ينطق بكلمة ونظر الى.

«المهنة؟»

«زئيل عادى.»

«الميلاد؟»

«قلت: ١٠-١-واحد.»

«آخر عمل؟»

«سجن.»

فنظراً لكلامها الى.

«مى واين افرج عنك؟»

«أمس، دار رقم ١٢، تززاة رقم ١٣.»

«الى أين افرج عنك؟»

«الى العاصمة.»

«شهادة؟»

فأخرجت من جيبى شهادة الافراج ودفعته اليه فشبكها فى البطاقة الخضراء التى ملأها ببياناتى.

والجريمة المرتكبة آنذاك؟

«وجه سعيد»

ففظرا كلاهما الى .

ثم قال المحقق : «اشرح»

فقلت : «في ذلك الوقت لفت وجهي السعيد نظر شرطي وكانت الأوامر قد صدرت في ذلك اليوم باظهار الحزن العام لأنه كان يوم ذكرى موت الرئيس.»

«مدة العقوبة؟»

«خمس»

«والسلوك؟»

«ردى»

«السبب؟»

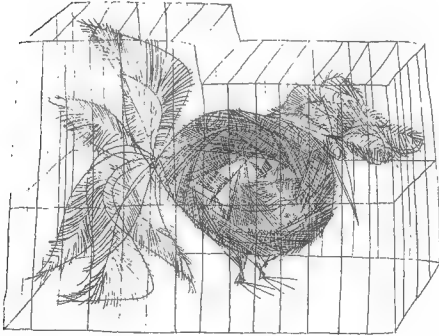
«استعداد سيء للعمل.»

«انتهى.»

عندئذ نهض رئيس المحققين واتجه نحوى وضربى ضربة حطمت الاسنان الثلاث الأمامية اليسرى كعلامة تشييعية على أنى عائد الى السجن. اجراء صارم لم أكن اتوقعه. ثم ترك رئيس المحققين الحجرة ودخل شاب سمين في حلة رسمية ذكاء : المحقق.

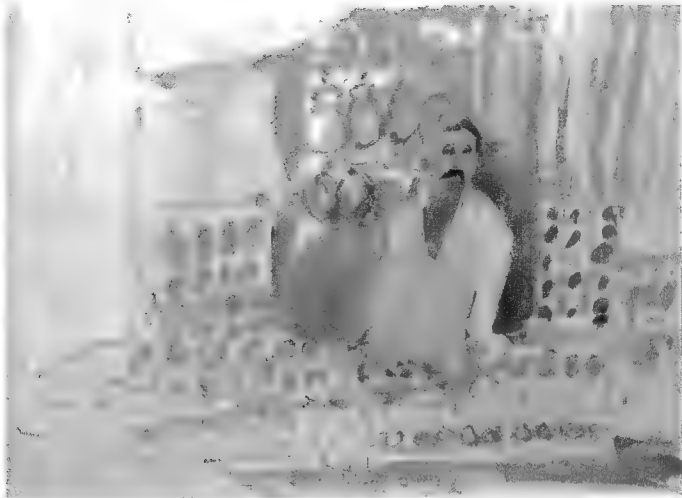
فضربونى جميعا : المحقق وكبير المحققين ورئيس المحققين والقاضى الأول والقاضى الأخير. ونفذ الشرطى بالاضافة الى ذلك الاجراءات البدنية التى أمر بها القانون وحكموا على بسبب وجهى الحزين بالسجن عشر سنوات كما حكموا على من قبل بسبب وجهى القرح بالسجن خمس سنوات.

أما أنا فبينى أن أحاول ألا يكون لى وجه على الاعلاق ان وفقت في قضاء السنين العشر القادمة في سعادة وصايرين.



بارل غلورا ، فينا : طير في القفص ؛

مساعدة دارنشر آتون شرول Anten Schroll ، فينا



رودلف كرش ، حوايجي في قيروان ، من علة والصنمو ،  
 تقدم شكرنا لدار نشر ف. بروكان التي ساعدتنا في نشر هذا الريم.

## ZWEI GEDICHTE AUS DEM MAGHREB

MOGAMED AZIZ LAHBABI

### Le Fellah

*Ta vie est à l'image  
 de ton toit*

*Ton toit est à l'image  
 de ta nuit*

*Ta nuit est opaque d'ennuis  
 comme ton jour*

*Ton jour est ridé  
 comme ta joue  
 de toujours*

### Der Fellache

*Dein Leben gleicht  
 deinem Dach*

*Dein Dach gleicht  
 deiner Nacht*

*Deine Nacht ist verhangen von Kümernissen  
 wie dein Tag*

*Dein Tag ist welk  
 wie deine Wange  
 schon jeden Tag*

*Tu joue manque de chair  
comme tes repas  
tes repas restent faibles  
comme tes pas*

*Tes pas chancelent  
comme la Justice  
qui te harcèle  
jusqu'au trépas  
chaque jour*

*Les trépas et la faim  
partout s'accompagnent  
en anges gardiens  
pour toujours*

*Ton crâne tremble à craquer  
comme la tempête qui s'éternit  
à le chasser de ton trou  
sans aises*

*Ton trou de terre glaise  
où tu affrontes les malheurs dévotus  
de toujours*

*Ton sommeil est lourd  
lourdeur tissée de cauchemars  
tes cauchemars sont à l'image  
de ton réveil*

*Mais il y a l'espérance  
mais il y a le réveil de ta conscience  
qui remettra le monde debout.*

*Deiner Wange fehlt Fleisch  
wie deinem Mahl  
dein Mahl ist krafftlos  
wie deine Schritte*

*Deine Schritte wanken  
wie die Gerichte  
die dich foppen  
bis zum Ende  
Tag für Tag*

*Tod und Hunger  
geleiten dich allerorten  
als deine Schutzengel  
Tag um Tag*

*Dein Schädel zittert knirschend  
wie das bebende Wetter, das sich aufrafft  
dich aus deinem Loch zu treiben  
in dem kein Behagen wohnt*

*Deinem Erdloch  
in dem du dich der nackten Plagen erwehrt  
jeden Tag*

*Dein Schummer lastet schwer  
gewebt aus schreckenden Träumen  
doch deinen Träumen gleicht  
dein Erwachen*

*Dennoch es lebt die Hoffnung  
ja, dein Geist wird erwachen  
wird neu die Welt errichten.*

(Übertragen von Karl H. Zimmermann)

Aus: Mogamed-Aziz Lahbabi: *Misères et lumières. Poèmes*, 4. éd. Casablanca, 1962

(Deutsche Ausgabe in Vorbereitung beim Institut für Auslandsbeziehungen, Stuttgart)

# SI MOHAND (MEHAND DES ATH-IRATHEN 1840 (?) — 1906)

*Alhanin cetch dderahim  
Çavhanek ia laddim  
Ja moul ighachi bla addadd.*

*Thefkidd laichh mbla addrim  
Hed ourac indjim  
Thezgiddaghd aok ddilmendadd.*

*Atlas igaichen igim  
La edin la tsekhmin  
Ou allahh alaze owk nougadd.*

*O, Großherziger und Erbarmender  
Sei gelobt, o Du Allmächtiger!  
Vater aller Geschöpfe.*

*Deine Nahrung kauft man nicht.  
Du allein gibst einem jeden  
das, was die Menschen nicht verkaufen können.*

*Der Weise kennt die Rechnung nicht.  
Er hat keine Schulden, keine Sorge,  
Worum fürchte ich Dich, o Hunger?*

Nach Mouloud Feraoui (Les poèmes de Si Mohand. Les Editions de Minuit, Paris, 1960)



البحر الشمال في وقت الغروب؛ الصورة: كورت هاروي، زودينغ  
تقدم شكرنا لجهة Atlantica التي أنصت علينا بكليته هذه الصورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العظيم  
والله  
صد

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ

إِنْتِاجُ الْمَاءِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْمَاءِ الْمِلْحِ

بقلم دكتور محمد عبده ابراهيم

الرياح الحارة طوراً والباردة طوراً آخر، حتى إذا ما تهيأت الظروف الحوية المناسبة يتكثف البخار فيسقط على الأرض مطراً أو بَرَدًا أو ثلجاً بفعل الحاذية الأرضية، أو ينفصل هذا البخار من الهواء المشبع به بأن يتكثف على الأسطح الباردة فيظهر في صورة الندى. فاللدورة الأولى إذن دورة مقفلة يفصل معظم الماء الذي يتحرك فيها من الماء الملح بقدره الخالق جل شأنه. ويقوم الكيميائيون والمهندسون في معاملهم ومصانعهم على مقياس صغير، بعمليات شبيهة بالدورة الأولى، يسمونها «عمليات تقطير»، كما تحتوي أجهزةهم والآلات التي يستعملونها في هذه العمليات على جزئين رئيسين وهما «منبع للحرارة» يقوم بعمل الشمس في الدورة الأولى «ويكثف» عوضاً عن طبقات الجو الباردة في هذه الدورة.

نستخلص مما تقدم أن الماء الموجود على سطح الأرض في حركة وتغير دائم لا يهدأ أبداً، إذ قد أودع الله عز وجل في حركة الماء الأولى هذه سر الحياة، فأينما وجد الماء وجدت حياة، فأن شح أو انعدم فحياة عسيرة أو هو الموت أخفق.

مقارنة بين التصيب النظري للفرق من الماء واستهلاكه الفعلي منه :

يقدر العلماء نصيب اليابسة أول إن صح أن نقول إيرادها من الماء الذي يسقط من السماء بنحو ١٠٠ ٠٠٠ كيلومتر مكعب في العام. وهذه الكمية، على كبرها، صغيرة جداً بالنسبة

(١) الحاجة الى مزيد من الماء في معظم أنحاء العالم تزداد مع مرور الزمن:

الدورة الأولى: قال الشاعر الألماني الشهير «يوهان ولجنانج جويته» يصف حركة الماء في دورته الأولى:

«من الساء يأتي، وإلى الساء يصعد، ثم إلى الأرض يعود .... في تغير دائم»

ويستمد الماء الطاقة الحرارية اللازمة لدفعه في هذه الدورة الأولى من الشمس. ومع أن حجم الشمس ضئيل جداً بالنسبة إلى حجم الكون وما فيه من نجوم وكواكب لا حصر لها إلا أنه كبير جداً بالنسبة إلى حجم الكوكب الذي نعيش عليه، فالشمس أكبر حجماً من الأرض بما يربو على ١٣ مليون مرة. وما الشمس إلا قرن ذري هائل تتحد فيه نويات ذرات نظائر الهيدروجين المختلفة عند درجة حرارة تقدر عشرين أضعاف الدرجات المئوية فينتج عن هذا الاتحاد طاقة حرارية جد كبيرة، تنتشر في الكون بالأشعاع فيصيب كوكبنا منها قدر معلوم على الرغم مما بين الشمس وبيننا من مسافة طويلة تبلغ ١٥٠ مليون كيلومتر تقريباً. وتولد الطاقة الحرارية، التي تصل إلى كوكبنا من الشمس، من ماء البحار والمحيطات المالح وكذا مما على اليابسة من مياه، بخاراً يصعد إلى طبقات الجو المختلفة البرودة لحفته. ثم إن هذا البخار يتجمع هنا وهناك، في غلاف الكرة الأرضية الجوى في صورة سحب مختلفة الأنواع تدفعها

(١) نكتي بحسب آلاء في هذا البحث، الله المذهب، للاختصار.



إلى ما في المحيطات والبحار من ماء ملح يقدر أن يحجمه بنحو ١٣٥٠ مليون كيلومتر مكعب.

ولما كان عدد سكان العالم يقدر حالياً بنحو ٣ مليار نسمة فأذا ما فرضنا، فرضاً نظرياً، أننا ما يسقط على اليابسة من ماء كان موزعاً على مناطق العالم المختلفة حسب كثافة السكان في كل منها، لوجدنا بعملية حسابية بسيطة أن نصيب النظري من الماء لكل فرد على سطح الأرض يبلغ نحو ١٠٠ متر مكعب في اليوم تقريباً. فأذا ما نظرنا إلى جملة استهلاك الفرد اليومي بما في ذلك كل ما يحتاجه في مرافقه المنزلية وفي الزراعة والصناعة وغيرها، لوجدنا أن استهلاك الفرد تحتل اختلافاً شديداً في مناطق العالم المختلفة تبعاً للظروف الحوية وتبعا للبيئة وغيرها من العوامل التي تحدد مستوى معيشته. على أننا نلاحظ أن أكبر معدل للاستهلاك في أي بقعة في العالم ضئيل بالنسبة لإيراد الفرد النظري، الذي قدرناه آنفاً، إذ أنه لا يتعدى خمسة أمتار مكعبة لكل أمريكي، وثلاثة أمتار مكعبة لكل أوروبي في اليوم. ومعلوم أن مستوى المعيشة في أمريكا وفي أوروبا مرتفع كما أنه معلوم أيضاً، أن معدل الاستهلاك ينقص بانخفاض هذا المستوى.

نستخلص مما تقدم أن ما يسقط من السماء على اليابسة من ماء يبلغ أضعافاً مضاعفة لما يحتاجه سكان العالم الحاليين، فليست مشكلة الماء إذن، مشكلة نقص في الأيراد، بل هي مشكلة تنسيق بين ما يحوي الله به منطقة ما من الماء، وبين كثافة السكان فيها.

التوزيع الفعلي لكل من الماء والسكان على سطح الأرض: وإذا ما أردنا حلاً لمشكلة التنسيق بين إيراد اليابسة من الماء وكثافة السكان في القارات فإنه يجدر بنا أن ننظر نظرة سريعة إلى توزيع الماء والسكان الفعلي على وجه الأرض، لعلنا نحيط علماً على الأقل بما قد يتطلبه هذا التنسيق من مجهود ومال فنقرر ما يلي:

أولاً : أن ما يقرب من ٢٥ إلى ٣٠ مليون كيلومتر مكعب من خليط مركزة في المناطق المتجمدة حيث الحياة معدومة أو تكاد، كما أنه لا يمكن للبشرية أن تستفيد منها بنقل الجليد مثلاً إلى مناطق مسكونة بدون تقنيات باهظة.

ثانياً : بينما توجد مناطق عديدة على سطح الأرض غنية بالماء وبينما توجد مناطق أخرى متوسطة الإيراد، نجد أن ثلث مساحة اليابسة تقريباً صحراء جديداً لا يسقط عليها سوى التلر اليسير من الماء في فترات من الزمن قصيرة، متباعدة.

ثالثاً : أن التوازن بين إيراد الماء وكثافة السكان شبه معدوم في معظم أنحاء الأرض، فبينما تصب الأنهار العديدة مثلاً، كميات كبيرة من الماء في البحار والمحيطات بدون أن يستفيد منها إنسان، نقرأ في الإحصائيات القيمة، لمنظومات الأمم المتحدة أن ثلثي سكان العالم لا يجدون الغذاء الكافي وأن نصفهم يعيشون في فقر مدقع، وليس شك في أنه من أهم العوامل التي أدت إلى هذه الحالة السيئة، أن الفرد من الجزء الأكبر من هؤلاء الناس لا يحصل فضلاً على كمية من الماء تكفيه لكي يعيش عيشة تليق بأدنى. وحتى إذا ما ركزنا النظر على مناطق صغيرة من الأرض بذاتها، لوجدنا أن التوازن معدوم فيها أيضاً، ولنضرب لذلك مثلاً بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث يبلغ نصيب الفرد من سكان شمال هذه الولاية تسعة أضعاف نصيب الفرد من سكان جنوب هذه الولاية.

نستخلص مما تقدم أن توزيع الماء الفعلي على معظم مناطق الأرض لا يتناسب وحاجة سكان هذه المناطق.

إذ يزداد حدة مشكلة نقص الماء في كثير من المناطق مع مرور الزمن:

أسلفنا أن تعداد البشر يقدر في الوقت الحاضر بما يقرب من ٣ مليار نسمة ويزيد هنا أن هذا العدد الضخم سيزداد إلى ما يقرب من ٦ مليار نسمة في سنة ٢٠٠٠ ميلادية، وذلك حسب البحوث والإحصائيات الموثوق بها. فإذا ما فرضنا مبدئياً، أن معدل استهلاك الفرد الفعلي في جميع أنحاء العالم سيظل ثابتاً رغم مرور الزمن لوجدنا: أولاً : أن نسبة عدد الذين لن يجدوا كفايتهم من الغذاء إلى عدد السكان سترفع في المستقبل، وذلك نظراً لأن الزيادة في عدد السكان تكبر كلما كانت كثافة السكان مرتفعة، أي أن المناطق المكتظة بالسكان اليوم، والتي ينقص فيها الغذاء عادة، هي المناطق التي سيزداد عدد السكان فيها، حتى زيادة كبيرة.

ثانياً : أن بعض البلاد التي تعتبر اليوم غنية بالماء، وكذلك تلك التي لديها اليوم حاجتها منه فقط ستصبح فقيرة فيه، وذلك لازدياد سكانها في المستقبل. ومن بين هذه البلاد الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم دول غرب أوروبا. مما تقدم يتبين أنه حتى على أساس ما فرضنا من أن معدل استهلاك الفرد سيظل ثابتاً، فإن مشكلة نقص الماء ستزداد حدة مع مرور الزمن. وغني عن البيان أن المشكلة في الواقع أشد حدة منها على أساس هذا الفرض، إذ أن استهلاك الفرد سيزداد حتماً، وذلك نظراً لأن البشرية تصبوا

٣) الناحية الفنية لإنتاج الماء صناعيا من الماء الملح:  
طرق الإنتاج الصناعي :

يسمى أن يكون التقطير أول طريقة يلجأ إليها الإنسان لها لإنتاج الماء صناعيا من الماء الملح مستغنياً ذلك بطرقه لندرة الأثرية. وأول من قام بعملية تقطير في العالم على مقياس صغير، هو كيميائي عربي مجهول الاسم، منذ فترة طويلة من الزمن، على أن استغلال التقطير اقتصادياً لإنتاج الماء من الماء الملح لم يبدأ إلا في أواخر القرن التاسع عشر عندما ركبت في كثير من السفن عمليات لتقطير الماء، وذلك بدلاً من شغل البحار والمحيطات الملح التي تجو بها، وذلك بدلاً من شغل جزء كبير من حمولة كل منها بالماء اللازم لركابها ولأولائها، هذا علاوة على استرداد هذه السفن حريرها في اللوحة إلى أي مكان تريد، دون الحاجة إلى أن ترسو خصيصاً لتزويدها بالماء من ميناء يكون في طريقها.

أما عن استخدام عمليات لتقطير الماء من الماء الملح على اليابسة فلم يبدأ ذلك إلا منذ ما يقرب من مائة سنة فقط. وعند ما بدأت مشكلة نقص الماء تظهر في مناطق مختلفة من العالم منذ سنوات قليلة، عكف العلماء لا على تحسين طريقة التقطير فحسب، بل أقرحوا طرقاً أخرى كثيرة ترمى جميعها إلى إنتاج الماء من الماء الملح بأقل النفقات. ولا يتسع المجال هنا لشرح جميع الطرق القيمة التي أقرحت، ولذا فقد أكتفينا في الحلول رقم ١ بذكر أنواع عمليات التقطير التي ثبتت صلاحيتها من الوجهة الاقتصادية بالقليل إلى جانب طرق أخرى ثبتت صلاحيتها أيضاً أو تبشر الأبحاث التي أجريت عليها بنجاحها أيضاً من الناحية الاقتصادية.

ولما كان الحال هنا لا يتسع أيضاً حتى للحديث عن ذلك العدد الصغير من الطرق الواردة في هذا الحلول، فسقتصر بحثنا هنا على التقطير الصناعي بأشعة الشمس وبالبخار وطريقتي التبريد والأكتروليز، وكلها طرق انتقلت بالفعل من طور البحث إلى طور التنفيذ منذ زمن بعيد أو قريب. وتبين خريطة العالم (شكل ١) مواقع عمليات إنتاج الماء من الماء الملح التي نفذت في العالم الغربي وفي الدول المحايدة حتى سنة ١٩٦١، سوله أماكن الغرض من هذه العمليات البحث على مقياس صناعي، أو كان لإنتاج الماء بالفعل، هذا مع تمييز جميع العمليات التي تعمل بأحدى الطرق المذكورة آنفاً بعلامة خاصة مميزة، لكي يتسنى للقارئ أن يحكم بنفسه على أهمية كل من هذه الطرق بالنسبة إلى الطرق الأخرى، كما نود أن نضيف إلى ما تقدم أن هذه الخريطة نشرت لأول مرة

إلى رفع مستوى المعيشة في جميع مناطق الأرض وخاصة في المناطق المختلفة منها، مما يتطلب المزيد من الماء لا لمواجهة الزيادة في عدد السكان فحسب، بل لرفع مستوى المعيشة في كافة أمم الأرض أيضاً.

نستخلص مما تقدم، أن المسؤولية الملقاة على عاتقنا الحاضر لإزاء الأجيال القادمة هي مسؤولية كبيرة، وأنه من أهم واجبات هذا الجيل أن يعمل على توفير الماء في كل مكان ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٧) وسائل التنسيق بين إيراد منطقة ما من الماء واستهلاكها منه :

عندما يزيد استهلاك الماء في منطقة ما على مواردها منه فيمكن العمل على إعادة التوازن بين الاستهلاك والإيراد بالاقتصاد في الاستهلاك بدون زيادة في الإيراد أو زيادة الإيراد وترك الاستهلاك على حاله أو بالجمع بين الحليتين، ليتسنى تحقيق التوازن المنشود.

أما عن وسائل الاقتصاد في الاستهلاك الكلي لمنطقة ما، فقد يكون ذلك بترحيل جزء من سكانها إلى مناطق أخرى أو بتخفيض معدل استهلاك الفرد برفع ثمن الماء مثلاً، أو بالحرص على تقليل المفقود من الماء أثناء تخزينه أو نقله أو أنسيابه من مكان إلى آخر، كما قد يكون الاقتصاد في الاستهلاك باستعمال الماء عدة مرات بعد إعادة تنقيته إن لزم. أما عن وسائل رفع إيراد المنطقة الكلي من الماء فهناك طرق عدة نكتفي هنا بالحدث عن طريقتين رئيسيتين منها فقط :

الأولى : إنشاء السدود ومحطات الطلمبات والترع وأنابيب نقل المياه وضربها من وسائل تجميع الماء ونقله من مكان غني به إلى مكان آخر فقير فيه.

الثانية : إنتاج الماء صناعياً من الماء الملح، إن وجد هذا في المنطقة المراد تذهبها بالماء، أو إجراء عملية الإنتاج الصناعي في أقرب مكان لهذه المنطقة به ماء ملح، ثم نقل ما ينتج من الماء صناعياً إلى مكان استهلاكه.

وبمما أن نفقت النظر هنا إلى، أن عملية التنسيق التي نحن بصددتها تتطلب نفقات قد تكون كبيرة في كلتا الحالتين، كما أن تفضيل إحدى الطريقتين على الأخرى يتوقف على ظروف المنطقة المراد رفع إيراداتها من الماء. ولا لهذه الحقيقة من أهمية، فأنتنا سنعود إليها في فصل تال عند الحديث عن اقتصاديات إنتاج الماء من الماء الملح.



شكل ١

## عمليات إنتاج المياه من الماء المالح في العالمين الغربى والمحاييد

Abb. 1 Anlagen zur Gewinnung von Süßwasser aus Salzwasser in der westlichen und neutralen Welt

والمحيطات الذى تبلغ نسبة تركيز الأملاح فيه ٣.٥٪ بالوزن تقريباً. أما العمليات التى تنتج الماء بطريقة الألكترودياليزه فتقع معظمها بعيد عن الشواطئ، إذ أن هذه العمليات تفضل عندما يراد إنتاج الماء من ماء معين (براك) ذونسبة أملاح أصغر من النسبة العادية في مياه البحار والمحيطات المذكورة بعاليه.

وتقدر جملة إنتاج جميع العمليات المبينة في (شكل ١) بنحو ١٠٠٠٠٠ متر مكعب في اليوم، وهى كمية ضئيلة بالنسبة للكميات الكبيرة المطلوبة سريعاً في كثير من اجزاء العالم اليوم، كما أنها جد ضئيلة بالنسبة للكميات الهائلة التى يقدر العلماء أن العالم سيحتاج إليها في المستقبل القريب، إن عملت البشرية على تحقيق ما تصبوأ إليه من رفع مستوى معيشة كل إنسان على وجه الأرض الى مستوى لائق.

الطاقة اللازمة للفصل الصناعى ومناجم هذه الطاقة:

إذا أراد ألباح، أن يفصل من محلول (أوم) خليط بضعه مواد إحدى مركباته أو على وجه التحديد، أن يفصل الماء من ماء مذاب به أملاح، فلا بد من أن يبدل مقداراً معيناً

أثناء موثر إنتاج الماء من الماء المالح الأخير، الذى عقد في ألتينا صيف عام ١٩٦٢.

ويتبين من هذه الخريطة ما يلى :

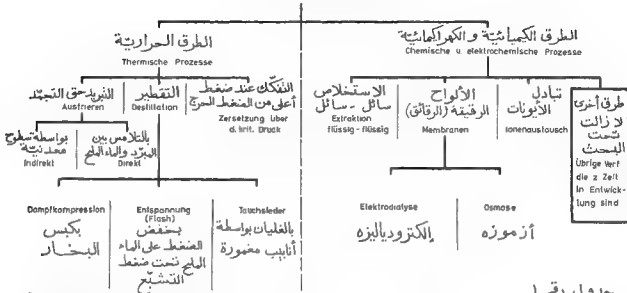
أولاً : اذا صرفنا النظر عن بضع عمليات قليلة أنشئها معظمها لأغراض البحث فقط، فإن باقى العمليات التى نفذت حتى الآن تقع في المنطقة الصحراوية الموازية لحط الاستواء، كما أن معظم هذه العمليات موجود في الشرق العربى وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي بعض دول أمريكا الجنوبية.

ثانياً : تعمل معظم عمليات إنتاج الماء إما على طريقة التقطير بدون أشعة الشمس أو على طريقة الألكترودياليزه، كما يلاحظ أن عمليات التقطير بأشعة الشمس وكذا عمليات التبريد، قليلة جداً نسبياً على الرغم مما لهذه العمليات من بعض المزايا من الوجهة النظرية.

ثالثاً : تقع معظم عمليات الإنتاج بالتقطير بالقرب من شواطئ البحار والمحيطات كما أنها تستعمل أيضاً في السفن، وذلك لأفضليتها عندما يراد إنتاج الماء من ماء البحار

## طرق إنتاج المياه من الماء المالح

Verfahren zur Gewinnung  
von Süßwasser aus Salzwasser



طرق أخرى  
لا زالت  
تحت  
البحث  
التي  
تتطلب  
وقت  
في  
التطو  
ر

Tabelle 1

Die wichtigsten Verfahren zur Gewinnung  
von Süßwasser aus Salzwasser

جدول رقم ١

أهم طرق إنتاج المياه من الماء المالح

طريقة الفصل المستعملة لذلك، لابد وأن تكون اضعاف المقدار النظري لفصل نفس الكمية من الماء من ماء ملح بنفس نسبة التركيز، وذلك نظرا لأن جزءا معيناً من الطاقة اللازمة بالفعل ينفق دائماً، كما هي الحال في أي محرك أو آلة، تقوم بتحويل نوع من الطاقة إلى نوع آخر منها، أو تستهلك طاقة لتؤدي شغل معين. وإذا ما نظرنا إلى أية عملية تنتج ماء من الماء المالح، لوجدنا أن الطاقة التي تستهلكها هذه العملية تبلغ حقيقة أضعاف المقدار النظري للطاقة الذي يمتص بذله في نفس الظروف، وببديهي أن يعمل المهندسون على خفض الاستهلاك الفعلي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، إذ إن ثمن الطاقة المستهلكة يرفع تكاليف إنتاج الماء. على أننا نود أن نذكر هنا من اعتبار ثمن الطاقة التي تستهلكها عملية (رحله) أساساً للحكم عليها من الوجهة الاقتصادية، وسنعود إلى شرح هذه النقطة أيضاً في فقرة تالية، عند الحديث عن إقتصاديات إنتاج الماء من الماء المالح.

أما عن منابع الطاقة اللازمة لإنتاج الماء فقد بينا في الجدول رقم ٢ عدداً منها تعتبر اليوم صالحة لهذا الغرض.

من الطاقة لكي يتم له فصل كمية ماء ذات مقدار معلوم من المحلول، أي من الماء المالح. ولقد حسب الماء أقل طاقة يمكن أن يتم بإلها فصل متر مكعب من كمية كبيرة من ماء البحار المالح (بنسبة ٣,٥٪ أملاح) عند درجة حرارة ٢٠ مئوية، فوجدوا أن أقل مقدار من الطاقة يمكن أن يتم بإلها فصل هذه الكمية (أو أن ما يسمونه المقدار النظري للطاقة اللازمة للفصل) يبلغ ٧٢ كيلوات ساعة، لكل متر مكعب من الماء. ومعلوم أن هذا المقدار ثابت بصرف النظر عن الطريقة التي تستعمل لفصل الماء، إذ أنه لا يتغير إلا بتغير الخواص الطبيعية والكيميائية للمحلول. فأن أردنا مثلاً أن نفصل متراً مكعباً من الماء من ماء معين «بركه» نسبة الأملاح فيه أصغر من نسبتها في ماء البحار، لكان المقدار النظري لطاقة الفصل أقل من ٧٢ كيلوات ساعة لكل متر مكعب من الماء المفصول، ولصغر المقدار النظري لطاقة الفصل كلما صغرت نسبة الأملاح في الماء المعين المراد فصل الماء منه. وغنى عن البيان، أن مقدار الطاقة التي نلزم فعلاً لفصل متر مكعب من الماء من ماء ملح (أياً كانت نسبة تركيز الأملاح فيه وأياً كانت

## مصادر الطاقة

Energiequellen

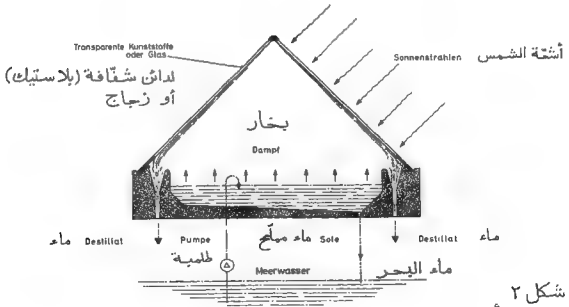
Brennstoff	Hydr. Energie	Abwärme	Atomenergie	Die Sonne	Der Wind	Andere Quellen (weniger wichtig)
الوقود	الطاقة الهيدروليكية (طاقة القوى المائية)	الحرارة المفقودة في المدام أو في مياه التبريد	الطاقة الذرية	الشمس	الرياح	مصادر أخرى (قليلة الأهمية)

Tabelle 2  
Die Energiequellen

جدول رقم ٢  
مصادر الطاقة

30ster Breitengrad (Breite Kairo)  
2m<sup>3</sup> Destillat pro m<sup>2</sup> bestrahlte Fläche im Jahr

عند خط عرض القاهرة (خط عرض ٣٠)  
يمكن إنتاج مترين مكعبين من كل متر مربع  
معرض لأشعة الشمس في السنة



شكل ٢

التقطير بأشعة الشمس

Abb. 2 Destillation mit Sonnenenergie

وصف بعض الأمثلة لاهم الطرق المستعملة لإنتاج الماء من الملح :

ستقتصر هنا على وصف مثل واحد لكل نوع من أنواع عمليات إنتاج الماء المبينة على خريطة العالم (شكل ١) فيها عدة طريقة التقطير بدون أشعة الشمس حيث ستورد هنا مثالين أولهما طريقة التقطير بالغليان بواسطة أنابيب معدنية مغمورة (تاوخ سيبر) وهذا المثال يبين مدى التقدم في تصميم عمليات تقطير الماء بالحرارة قبل السنوات الخمس الماضية ، أما المثال الثاني فبين أحدث عمليات التقطير كافة ، والفكرة الأساسية فيها هي توليد بخار الماء من الماء منخفض الضغط عليه تحت ضغط التشبع المناظر للدرجة الملح حرارته (فلاش) . وهذا النوع من عمليات التقطير هو النوع الذي يتحكم اليوم في سوق عمليات إنتاج الماء صناعيا من ماء البحار الملح .

ويضاف إلى ما تقدم أن الوصف الذي ستورده هنا يلي لكل من هذه الأمثلة ، هو وصف موجز نأمل بواسطته أن يكون القارئ لنفسه فكرة مبسطة عن طريقة إنتاج الماء في كل من هذه الأمثلة ، كما أن هذا الوصف لا يحتوي على كل ما يجب أن يقال ، إذ لا يتسع المجال لذلك في هذا المقال .

#### (١.٣) التقطير :

(١) التقطير الصناعي بأشعة الشمس :

وصف العملية :

أسلفنا أنه من البديهي أن يكون التقطير أول طريقة يلجأ إليها الإنسان لإنتاج الماء صناعيا من الماء الملح ، وتزيد هنا أنه من البديهي أيضا ، أن يحاول الإنسان استغلال طاقة الشمس في إنتاج الماء صناعيا كما هو الحال في الدورة الأثرية ، فضلا عن أن طاقة الشمس لا تثنى لها . وهذا ما حدث فعلا إذ أن أقدم العمليات ، التي ركزت على اليابسة لإنتاج الماء ، كانت عمليات تقطير تستمد الطاقة اللازمة لها من الشمس ولا زالت التقطير بأشعة الشمس من بين الطرق التي يجري العلماء عليها أبحاثا حتى اليوم ، على أمل أن يتمكنوا من تخفيض تكاليف إنتاج الماء بهذه الطريقة .

أما عن طريقة إنتاج الماء في عملية تقطير بأشعة الشمس وأجزاء هذه العملية في أبسط صورها فهي كالآتي :

أولا : حوض ضحل قليل العمق تغلظه طبقة ماء البحر الملح . وتحرك هذا الماء ببطء ، من أحد أركان الحوض إلى الركن المقابل نظرا لانحدار قاع الحوض انحدارا بسيطا في اتجاهين متعاكسين .

ثانيا : غرفة مثقلة القطع لتجميع بخار الماء يفصلها عن الحوض مائل على الجانبين مصنعي من زجاج أو من لدائن شفافة (بلاستيك) تسمح بمرور أشعة الشمس التي تولد من سطح الماء الملح بخارا يتكثف على سطح السقف الداخلي نظرا لبرودة هذا السقف بفعل الهواء الجوى خارج غرفة البخار . وينساب ما تكثف من البخار ، ماء ، على سطح السقف الداخلي إلى أسفل وفي اتجاه جانبي الحوض نتيجة لميل السقف .

ثالثا : قناتان على جانبي الحوض لجمع الماء العذب المنساب من السطح المائل ، وفتحة في قاع الحوض لصرف الماء الملح في البحر ثانية ، ونعني بالماء الملح ما يتبقى من ماء البحر بعد أن فقد بعض مائه في صورة بخار ، وبعد أن زادت نسبة الأملاح فيه تبعا لذلك .

ولقد أقرحت عدة تحسينات للمبخر الذي وصفناه آنفا لكي يتسنى الانخفاض بطاقة الشمس ، التي لا تكلف شيئا ، بجودة حرارية أكبر من الجودة الصغيرة التي يعمل بها هذا المبخر . وهنما أن نشر هنا إلى إقتراح يرى إلى تبخير الماء عند درجة حرارة أعلى من الدرجة التي يتبخر عندها الماء في المبخر (شكل ٢) ، إذ أن هذه الدرجة ليست أعلى من درجة حرارة الجو ، إلا بضع درجات قليلة ، كما أنه معلوم أن جودة المبخر الحرارية تكبر كلما ارتفعت درجة الحرارة ، التي يحدث عندها التبخير .

مزايا التقطير الصناعي بأشعة الشمس وعيوبه :

لما كانت الفترات التي تسقط فيها الشمس تطول كلما قصرت فترات هطول الأمطار ، فإن المبخرات الشمسية أصحاح المبخرات للمناطق الصحراوية التي ليس بها وقود ، أي للمناطق التي ينادر سقوط المطر فيها ، وليس بها منبع للطاقة إلا الشمس .

أما عن صغر جودة هذه المبخرات الشمسية ، فنود أن نضيف إلى ما تقدم أنه في الإمكان رفع هذه الجودة إلى حد ما ، بأدخال بعض التحسينات الفنية البسيطة على التصميم المبين في (شكل ٢) مثل تولين الماء الملح عمادة مناسبة أو تولين قاع الحوض باللون الأسود مثلا ، وذلك لكي يمتص ماء الحوض الملح مقدارا أكبر من الطاقة التي تصل إليه من الشمس بالأشعاع ، وبذلك يكثر إنتاج الماء من كل متر مربع من السطح عن الكمية الضئيلة التي تنتج اليوم ، (أنظر شكل ٢) . وعلى الرغم من التحسينات التي ذكرناها و غيرها من التحسينات التي لا يتسع المجال للحوض فيها بالتفصيل ، فإن صغر جودة هذه المبخرات

وعلى الرغم من العيوب التي أوردناها بهائه ، فلازال الباحثون يحاولون خفض تكلفة إنتاج الماء من المياح الشمسية ، لما لها من مزايا في مناطق كثيرة من الأرض .

ب) التقطير بالغليان بواسطة أنابيب معدنية مغمورة :  
وصف العملية :

يبين (شكل ٣) عملية يقطر الماء فيها من الماء الملح بغليته على التوالي في عدد من المبخرات (الأجزاء ٣) بواسطة أنابيب معدنية (الأجزاء ٣ ، ٤) تسخن بالبخار ، مغمورة تحت سطح الماء الملح الموجود في هذه المبخرات ، والعملية المبينة بالشكل ذات ست مبخرات أو ذات ست درجات . ولاختيار عدد الدرجات عند تصميم عملية كهذه أهمية كبيرة إذ تتوقف اقتصاديات إنتاج الماء إلى حد كبير ، على هذا الاختيار ، وذلك نظرا لأن نفقات الإدارة ، لكل متر مكعب من الماء تنتجه العملية ، تقل كلما زاد عدد الدرجات ، ولكن يلاحظ أن كلاً من رأس المال اللازم لإنشاء العملية ، وكذا التكاليف الرأسمالية تزداد كلما كبر عدد الدرجات ، وفي كل حالة بدورها ، نجد عوامل فنية تتحكم في اختيار عدد الدرجات المناسب .

وينقل بخار التسخين الطاقة الحرارية من منبع خارجي للطاقة (شكل ٣) إلى الماء الملح الموجود في أول درجة ، ثم يتولى البخار المولد في الدرجة الأولى غلي الماء الملح الموجود بالدرجة الثانية ، وهكذا . ثم إن عملية التقطير تستمد بخار التسخين الذي يلزمها إما من محطة نشأة خاصة لتوليده ، أو من فائض محطة بخارية قريبة ، كانت قد ركبت لأغراض أخرى مثل توليد الكهرباء . وتحتوي كل درجة من درجات هذه العملية على ثلاثة أجزاء رئيسية نعددها فيما يلي مستعينين بها على شرح طريقة التقطير بأجزاء .

الجزء الأول : مبخر (الأجزاء ٣) يغلي فيه الماء الملح بانتقال الحرارة إليه من البخار المار في أنابيب التسخين المغمورة فيه (٣ و ٤) ، فيتصاعد منه بخار (٣) ، ثم ترتفع نسبة تركيز الأملاح فيما يبقى من الماء الملح تبعاً لذلك ، ثم إن الباقي من الماء الملح ينتقل إلى درجة تالية ، يكون ضغط التشبع فيها أصغر منه في الدرجة التي تركها ، حيث تتكرر عملية التبخر مرة أخرى ، وترتفع نسبة تركيز الأملاح فيما يبقى منه في هذه الدرجة عن ذي قبل ، وهكذا ، حتى آخر درجة حيث يصل ضغط التشبع إلى نهايته الصغرى كما تصل نسبة تركيز الأملاح إلى نهايتها الكبرى ، ثم يصرف ما يبقى في هذه الدرجة من ماء ملح ، بواسطة الطلمبة (٥) في البحر . أما البخار الموجود في الأنابيب المغمورة (الأجزاء

الشمسية بوجه عام ينسب عنه ارتفاع رأس المال اللازم لإنشائها عن تكلفة إنشاء غيرها من المبخرات التي منصفها بعد قليل ، لنفس الكمية المنتجة من الماء ، وإذا ما تبعنا التقدم الفني في إنتاج الماء بالتقطير ، لوجدنا أن الوقود قد حل محل الشمس كمنبع للطاقة في المبخرات الحديثة ، كما نجد أيضاً أنه على الرغم من أن الوقود يشتري بالماء وطاقة الشمس لا ثمن لها ، فإن جملة تكاليف إنتاج وحدة الحجم من الماء تقل في كثير من الأحوال ، إذا ما استعملت طاقة الوقود بدلا من طاقة الشمس ، والسبب في ذلك ما أسلفناه ، من أن تكاليف إنشاء المبخرات الشمسية وصيانتها ، لازالت مرتفعة جداً نسبياً .

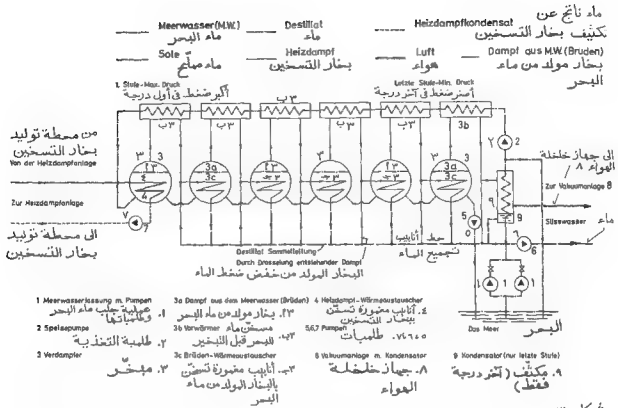
ولكي نسهل على القارئ تتبع خطوات التقدم في المبخرات التي تعمل بطريقة التقطير ، نجد أننا نعدد فيما يلي عيوب المبخرات الشمسية ، إذ أن معظم هذه الخطوات ، قد تمت فيها مضي بدائع من أخطاء ، في تلاقى هذه العيوب ، عند تصميم عمليات التقطير بالوقود ، ولا يتسع المجال هنا أيضاً للدكر كل عيوب المبخرات الشمسية ، بل سنكتفي فيما يلي بذكر أهم العيوب ، التي يسبب عنها انخفاض ألفة هذه المبخرات لهذه المبخرات وهي :

أولاً : لما كان الماء الملح الموجود بالحوض لا يغلي بل يبخر فقط فإن كمية البخار التي تتولد صغيرة نسبياً ، وذلك نظراً لأن توليد البخار يقتصر على قطرات الماء الملح الموجودة على سطحه فقط أما القطرات الموجودة تحت سطح الماء ، حتى ما كان منها موجوداً على عمق صغير من السطح ، فإن درجة حرارتها لا تصل إلى درجة التشبع ، أي إلى درجة الغليان المناظرة للضغط الموجود في غرفة البخار ، وبهذا نفهى لا تشترك في عملية التبخر .

ثانياً : لا يصل إلى ماء الحوض الملح إلا نحو نصف طاقة الشمس التي تتناسب وسطحه في المنطقة المركبة بها عملية التقطير الشمسية .

ثالثاً : يحترق البخار المولد على جزء بسيط من الحرارة التي تصل إلى ماء الحوض الملح فقط أما بقية هذه الطاقة فتضيع مع الماء المالح الذي يصرف في البحر ثانية .

رابعاً : وحتى هذا الجزء من الطاقة الذي يرتفع مع البخار إلى السقف المائل فإنه ، ينتقل إلى هذا السقف عند تكثيف البخار ، ثم يضيع بانتقاله إلى الهواء المحوى خارج غرفة البخار ، دون أن يشترك في عملية التقطير سوى مرة واحدة ، على خلاف ما سنوضحه في المثال التالي .



شكل ٣  
عملية تقطير بالخليلان بواسطة أنابيب معدنية مغمورة

Abb. 3 Tauchsieder - Destillation

تدرجياً يمرورة في المسخنات (٣ ب) على التوالي من درجة إلى درجة، وذلك نظراً لارتفاع درجة حرارة البخار (٣ أ) في نفس الاتجاه. وتقل درجة حرارة ماء البحر قبل دخوله مبخر أول درجة بضع درجات عن درجة حرارة التشيع في هذا المبخر، ثم أنه يتعين أن تكون درجة حرارة التشيع هذه أقل بضع درجات أيضاً من درجة حرارة تشيع بخار التسخين، وذلك لكي تسرى الحرارة دائماً في الاتجاه المطلوب.

الجزء الثالث: الأنابيب المغمورة في الماء الملح (الجزء ٤ والأجزاء ٣ ج) وبغذى ما كان منها بأول درجة (٤) ببخار التسخين، أما الأنابيب المغمورة بأية من درجات العملية الأخرى (٣ ج) فتستمد غارها من البخار المولد (٣ أ) في الدرجة السابقة لها، هذا ويجب أن يكون ضغط التشيع في الدرجة السابقة، أعلى منه في اللاحقة. ويستعمل جزء من حرارة البخار (٣ أ) الكامنة، والمولد في

٣ ج) بكل من الدرجات المختلفة فإنه يتكثف على السطوح الداخلية لهذه الأنابيب ويجمع في خط أنابيب يجمع المياه حيث توجد ضغوطه المختلفة، هذا فيما عدا إنتاج الدرجة الأولى، ثم أن إنتاج العملية يرفع بظلمة (٩) إلى صهرج تغذى منه شبكة المستهلكين. أما الماء الناتج من تكثيف بخار التسخين في أنابيب الدرجة الأولى المغمورة (٤) فيجب أن يمد إلى محطة توليد بخار التسخين بواسطة الطلمبة (٧) وذلك لكي تغذى به خلايا هذه المحطة.

الجزء الثاني: مسخن ماء البحر قبل التبخير (الأجزاء ٣ ب) وفيه ترفع درجة حرارة القلندر الكلى لجلبته الطلمبات (١) من البحر وكانت الطلمبة (٢) قد غدت في عملية التقطير بعد أن إرتفعت درجة حرارته بضع درجات في مكثف أنصر درجة (٩). ولما كانت درجة حرارة التشيع ترتفع في اتجاه حركة ماء البحر الذي تغذى به العملية أى من آخر درجة إلى أول درجة فإن درجة حرارة هذا الماء الملح ترتفع



درجة ما أولاً في تسخين ماء البحر عند مروره بالمسخن (٣ب) بهذه الدرجة، ثم ثانياً لنقل الماء الملح الموجود بمبخر الدرجة التي تليها، وذلك بواسطة أنابيب هذه الدرجة المغصورة (٣ج)، كما أسلفنا. أما ما يبقى من الحرارة الكامنة في البخار (١٣) المولد في آخر درجة بعد مروره في المسخن (٣ب) بهذه الدرجة، فإنه ينقل إلى ماء البحر في المكثف (٩) فيستفيد بجزء من هذه الحرارة الكامنة فقط ويفقد الجزء الباقي مع ما يزيد عن حاجة عملية التقطير من ماء ملح في البحر. أما الماء الناتج عن تكثيف بخار آخر درجة في مسخنها (٣ب) ومكثفها (٩) فإنه يجمع أيضاً في خط يجمع الماء.

ونظراً لأن الضغوط في مبخرات الدرجات المختلفة تتناقص من درجة إلى درجة في إجهاد آخر درجة، وذلك في حين أن ضغط تشيع بخار التسخين (وهو أكثر ضغوط التشيع بالعملية على الإطلاق) يزيد عادة على الضغط الجوي بقرقليل، فإن الضغوط في معظم مبخرات العملية تكون أقل من الضغط الجوي. ولكي يبق الضغط في كل من المبخرات عند المستوى المناسب، يجب أن نخلخل الهواء وكذا الغازات التي كانت ذائبة في الماء الملح وانفصلت عنه أثناء التبخر، وما قد يتسرب منها في مبخرات العملية المختلفة، وذلك لكي تتم عملية التقطير على الوجه الأكمل. ولتحقيق هذه الغاية يجب أن تزود كل عملية تقطير بمجهز لخلخلة الغازات (٨) له مكثف لتكثيف بخار هذا الجهاز الدافع وله طلمبة، لرد الماء الناتج من ذلك أيضاً إلى محطة البخار. هذا ويجدر بنا أن نشير إلى أنه لما كان ضغط الماء الذي يقطر في درجة ما مختلف عن ضغط الماء الذي يقطر في أية درجة أخرى، فإنه يتعين توحيد هذه الضغوط لتساوى جميعاً لضغط آخر درجة. ونظراً لأن الماء المقطر في درجة ما يكون في حالة تشيع، فإن خفض ضغطه يصحبه توليد بخار يضاف إلى البخار (١٣) المولد في نفس الدرجة لاستعماله في الدرجة التي تليها.

مزاي هذه العملية، وعيوبها:

الحودة الحرارية لعملية من هذا النوع أعلى بكثير من جودة عملية تقطير بأشعة الشمس، نظراً لتلافى الكثير من العيوب التي تؤثر على هذه الحودة في العملية التي نحن بصدددها، وليس التحقق من ذلك بمسر على القارئ إذا وازن بين المصلتين. ومعد من خفض استهلاك الطاقة اللازمة لإنتاج متر مكعب من الماء في عملية تقطير بالأنابيب مغصورة، أن عدد درجاتها محدود بعوامل فنية يصعب شرحها هنا، كما أن هذه العملية تشترك مع غيرها من عمليات التقطير

في أن هناك حداً أقصى لرفع درجة حرارة الماء الملح المراد تقطيره الماء منه وذلك لتكوين رواسب ضارة، يصعب التخلص منها، على السطوح الملامسة لماء ملح درجة حرارته أعلى من هذا الحد الأقصى. كما أن هذه السطوح قد تتآكل بفعل هذه الرواسب. ولهذا الرواسب ضررين رئيسيين هما نقص سريع في إنتاج الماء في وحدة الزمن من جهة وزيادة في نفقات الإدارة في وحدة الحجم من الماء من جهة أخرى، على أن كاتب هذه السطور عنده ما يحمله على الأمل في التغلب على أضرار هذه الرواسب، عندما تكون درجة حرارة الماء الملح أعلى من قيمة الحد الأقصى المصطلح عليه اليوم. وحين تنتهي الأبحاث التي تجري لتحقيق هذه الغاية، وكلها تبشر بالنجاح، سينخفض ثمن تكلفة الماء الصناعي، في منطقة ما، عما هو عليه اليوم.

ولعل ما أسلفنا من أن عدد درجات عملية من هذا النوع محدود، مع صعوبة التحكم في سرعة تكوين الرواسب فيها، كانا من أهم العوامل التي أدت إلى تصميم عمليات التقطير التي سنصفها في الماك التالي، والتي تعتبر اليوم، على أفضل عمليات إنتاج الماء من ماء البحر الذي تبلغ نسبة تركيز الأملاح فيه قيمته الطبيعية وهي ٣.٥٪ بالوزن، كما أسلفنا.

ج) التقطير مخفض الضغط فوق الماء الملح تحت ضغط التشيع المناظر لدرجة حرارته (فلاش):  
وصف العملية:

يبين (شكل ٤) عملية تقطير من هذا النوع (فلاش). ولكثير من أجزاء هذه العملية نظير في عملية تقطير بالأنابيب المغصورة. أما هذه الأنابيب التي يتسبب عنها الحد من كثرة عدد الدرجات من جهة، والعجز عن التحكم في سرعة تكوين الرواسب من جهة أخرى، فلا وجود لها في هذه العملية أصلاً.

أما عن طريقة التقطير في عملية الفلاش (شكل ٤) فتتلخص فيما يلي:

يغلب ماء البحر بواسطة الطلمبات (١) وتغلب الطلمبة (٢) في أنابيب المكثف (٣ب) الذي يكثف البخار (١٣) المولد من ماء البحر في آخر درجة من درجات عملية التقطير حيث يصل الضغط، وبالتالي درجة حرارة التبخر، نهايتهما الصغرى، فترتفع درجة حرارة الماء الملح في هذا المكثف بضع درجات فقط، إذ أن كمية كبيرة بالنسبة إلى كمية البخار (١٣). وينقل ماء البحار إلى المكثف (٣ب) للدرجة قبل الأخيرة،



في الطاقة التي تستهلكها عملية بذاتها، وخفضا في تكاليف عملية جلب الماء، كمانخفض بالذكتر أيضا، أن انتاج العملية لا يتغير بتغير درجة حرارة البحر.

مزاياء هذه العملية وعيوبها:

نظرا لعدم استعمال أنابيب مغشوة في الماء الملح من جهة، ونظرا لعدم غليان هذا الماء عند انتقال الطاقة الحرارية اليه من منبع خارجي من جهة أخرى، فقد زالت العوامل الفنية التي تحد من عدد درجات هذه العملية، كما أصبح التحكم في سرعة تكوين الرواسب في المسخن (٤)، أسهل الى حد ما، وذلك برفع سرعة ماء البحر في أنابيبه، هذا الى جانب إضافة مواد كيميائية الى هذا الماء لتفسي الغرض.

وليس شك في أن الاستغناء عن الأنابيب المغشوة يعد خطوة هامة في تصميم عمليات التقطير، لما لهذه الخطوة من مزاياء اقتصادية عديدة. وإذا ما قارنا عملية من هذا النوع (فلاش) بعملية تقطير بأشعة الشمس، لوجدنا أن عمليات التقطير قد تقدمت تقدما كبيرا، مما سبب الاعتقاد بأن هذه العمليات قد بلغت أقصى ما يمكن أن تصل اليه من تحسين وهذا اعتقاد يحجب الصواب، إذ لازال العيب المشترك في عمليات التقطير قائما، ونرى بذلك أن أقصى قيمة يمكن أن ترفع اليها درجة حرارة ماء البحر، قبل تقطير الماء منه، لازالت حتى اليوم منخفضة جدا من وجهة نظر الديناميكا الحرارية، ولذا فإن مجال التحسين لازال متسعا وذلك برفع درجة حرارة ماء البحر، قبل تقطير الماء منه، دون أن تحد الرواسب من انتاج العملية، ودون أن تسبب تآكلا في سطوحها التي تلامس الماء الملح الساخن. هذا وقد أشرنا آنفا الى الجهود التي تبذل في هذا السبيل والى أن الأمل كبير في نجاحها عما قريب ان شاء الله.

(٢-٣) انتاج الماء من الماء الملح بتبريده حتى التجمد: وصف العملية:

تقدم أقول بأن نسبة تركيز الأملاح في مياه البحار والمحيطات ٣.٥٪. بالوزن تقريبا بأن هذه النسبة في الماء المعين (براك) تقل عن هذه القيمة بكثير. ونظرا لصغر هذه النسب فإن الماء الملح المراد إنتاج الماء منه يعتبر من وجهة نظر علم الكيمياء، أنه محلول أملاح خفيف. ويقول الكيميائيون بأن الماء ينفصل من أي محلول مخفف في صورة بلورات للجليد إذا برد المحلول الى درجة حرارة تحت الصفر (٤-٥ مئوية) مثلا كما يقولون أيضا بأن البرودة عند هذه الدرجة مثلا، لا تكفي لانفصال أية أملاح من هذا المحلول المخفف، وهذه الظاهرة الطبيعية هي الأساس الذي بنيت عليه عمليات

الدرجة أقل منه في أول درجة، وهكذا ينتقل ما يتبقى من ماء ملح في درجة ما إلى الدرجة التي تليها، حتى يصل الى آخر درجة، حيث النهاية الصغرى للضغط، فيصرف بعدها ماء ملحيا في البحر بواسطة الطلمبة (٥). وفي أثناء انتقال الماء الملح من أول درجة الى آخر درجة يفقد ما تنتجه العملية من ماء في صورة بخار (١٣). وجدير بالذكر أن عدد درجات عملية من هذا النوع قد يبلغ الأربعين. أما البخار (١٣) المولد في درجة ما فيتكثف كما أسلفنا على سطوح مكثفها (٣ ب) ويتساقط ماء (٣ ج) بعد أن يرد حرارته الكامنة التي كان اكتسبها من الماء الملح، الى ماء البحر المار في أنابيب هذا المكثف، وذلك بصرف النظر عما يفقد بالاشعاع وغيره من مفقودات حرارية ثانوية.

ويجمع انتاج الدرجات المختلفة من ماء في خط انابيب تجميع الماء، ومن هذا الخط ترشف الطلمبة (٦) إلى صريرج تغذي منه شبكة المستهلكين بالماء. ولما كانت الضغوط في كل درجات البخار (٣) أقل من الضغط الجوي، فإنه يلزم لكل عملية من هذا النوع جهاز لخلخلة الهواء ويكثف لتكثيف بخاره الدافع (٨) وطلمبة (٧) لرد الماء الناتج عن تكثيف هذا البخار الى محطة توليد البخار ثانية.

وتأثر اقتصاديات هذه العملية في المثل الأول مما يراود استهلاكه من طاقة حرارية لانتاج متر مكعب من الماء. فإذا فرضنا عددا ثابتا من الدرجات واخترنا قيمة كبيرة لهذا الاستهلاك فإن ثمن العملية عن كل متر مكعب من الماء تنتجه، يكون أقل من نظيره، اذا اخترنا قيمة صغيرة لهذا الاستهلاك. وغنى عن البيان أن نفقات الوقود عن المتر المكعب من الماء تزيد بزيادة القدر الأدنى نفترض استهلاكه من الطاقة. وإذا ما فرضنا قيمة معينة لاستهلاك الطاقة عن انتاج متر مكعب من الماء، فإن ثمن العملية عن كل متر مكعب من الماء تنتجه، ينقص كلما كبر عدد الدرجات، على أن لكل قيمة من قيم استهلاك الطاقة لانتاج وحدة الحجم من الماء، عددا معينا من الدرجات يحقق وفرا محسوبا في رأس المال مما لو كان عدد الدرجات أقل من هذا العدد. كما أن زيادة عدد الدرجات عن هذا العدد المعين، لا يأتي بنقص محسوس في رأس المال اللازم عن كل متر مكعب من الماء تنتجه العملية. ولا يفوتنا أن نشير الى تعديل في دورة الماء الملح المبينة في (شكل ٤) من شأنه خلط مقدار معين من الماء الملح الذي يترك العملية مع ماء البحر الذي تجلبه الطلمبات (١) في صريرج لا تتصدى نسبة تركيز الأملاح فيه مقدارا معينا. ولهذا التعديل مزاياء عدة نخص بالذكر منها وفرا

إنتاج الماء من الماء الملح بتبريده حتى التجمد، وهي ما نحن بصده. فإذا ما برد ماء البحر إلى (-٤) مئوية مثلا، فإن نصف ما فيه من ماء تقريبا يفصل في صورة بلورات ثلجية، وبذلك ترتفع نسبة تركيز الأملاح في الماء الملح الذي يبقى من ماء البحر إلى ما يقرب من الضعف.

ولكي يحصل الإنسان على ما يريد من ماء بهذه الطريقة، يجب أن تفصل البلورات الثلجية من الماء الملح أولا، كما يجب أن يفصل هذا الثلج بالماء بعد ذلك، ثم يجب أخيرا أن تيسل هذه البلورات بطاقة حرارية من منبع خارجي.

أما تبريد الماء الملح فإنه يتم عادة على أحد الوجهين التاليين:

أولا : بواسطة سطوح معدنية (أنابيب مثلا) تبرد بمادة كيميائية (نشاfer مثلا)، تسمى فيها على "مبردة"، ويكون ذلك على إحدى ناحيتي هذه السطوح، ثم إن البلورات الثلجية تنفصل من الماء الملح نظرا لتبريده، كما يلتصق جزء منها بالناحية الأخرى من هذه السطوح، وذلك لوجود الماء الملح في هذه الناحية.

ثانيا : بالتلاصق المباشر ويكون ذلك غط الماء الملح عمود يسيل فصله من الماء الملح ومن البلورات الثلجية الناتجة عن التبريد، وتصلح البرينات والبروبات مثلا لتبريد بالتلاصق المباشر.

والعملية المبينة في شكل (٥)، هي عملية تبريد بالتلاصق المباشر، المبرد فيها هو الماء الملح نفسه، وهي تعمل كما يلي :

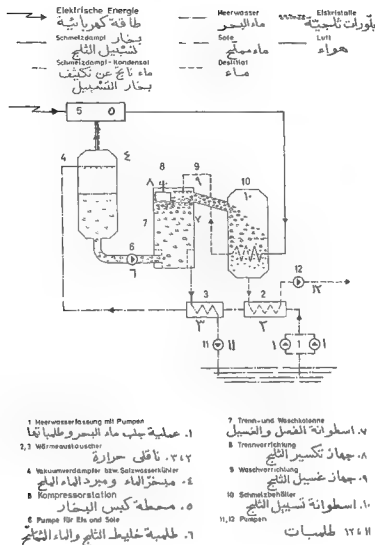
تجلب الطلمبات (١) ماء البحر وتقلده في ناقل الحرارة (٢) حيث يفقد بعض حرارته بتسخن لإنتاج العملية من الماء، ثم إن ماء البحر يبرد بضع درجات أخرى في ناقل الحرارة (٣)، ويفقد هذه الدرجات بانتقال الحرارة منه إلى الماء الملح الذي يصرف في البحر بواسطة الطلمبة (١١)، ثم يغذي ماء البحر بعد ذلك في المبخر (٤) حيث الضغط أصغر بكثير من الضغط الجوي (فاكوم)، ولذا فإن درجة حرارة التشبع في هذا المبخر تكون تحت الصفر، فيتولد من الماء الملح بخار (فلاش) يستمد طاقته الكامنة من ماء البحر نفسه فيبرد هذا أيضا إلى درجة حرارة، تحت الصفر، وبذلك يفصل جزء آخر من الماء عن الماء الملح على صورة بلورات ثلجية، كما يبقى بالمبخر بعد أن سميت كباسات المحطة (٥) البخار والغازات منه، ماء ملح فيه ثلج عائم. ثم إن الطلمبة (٦) تسحب هذا الخليط من المبخر (٤) وتغذيه في الأسطوانة (٧) حيث تكسر كتل الثلج التي تكونت من التصاق بلورات الثلج بعضها ببعض وذلك بواسطة جهاز خاص (٨)، تمهيدا

لفصلها بجهاز آخر (٩). وينحدر الثلج المنسول إلى الأسطوانة (١٠) حيث يسيل بواسطة البخار الذي كبس في محطة الكبس (٥)، وينتج عن التسييل ما تنتجه العملية من ماء عرقي ناقل الحرارة (٢) فيكتسب كمية من الحرارة من ماء البحر، ثم يرفع بعد ذلك بواسطة الطلمبة (١٢) إلى صهرج لتغذي به شبكة المستهلكين. وتعمل محطة كبس البخار (٥)، كما أسلفنا، على حفظ الضغط في المبخر (٤) عند قيمته الصحيحة وذلك إذ تسحب كباسات هذه المحطة البخار المولد من الماء الملح، وكلما ما قد يتجمع في المبخر (٤) من غازات، وتكبسها في ناقل الحرارة الموجود بداخل الأسطوانة (١٠) حيث ثم يسيل الثلج بالحرارة الكامنة لهذا البخار، ومن ثم يتكثف هذا البخار إلى ماء يستعمل في غسل الثلج في داخل الأسطوانة (٧) بواسطة الجهاز (٩). وتدار كباسات المحطة (٥) بطاقة كهربائية من منبع خارجي، كما تجلج الإشارة إلى ما هو قائم من محاللات تبدل لاستبدال هذه الطاقة بطاقة حرارية، وذلك باستعمال كباسات حرارية، على أننا نتخذ أن هذه المحاللات، أن نجعل، أن نحول من الكثير من الصعوبات عمليا. وأخيرا يجدر بنا أن نشير أيضا إلى أنه نظرا لانخفاض درجات حرارة معظم أجزاء عملية إنتاج الماء بالتبريد، وكذا عتريتها، لانخفاض قد يكون كبيرا، من درجة حرارة الجو، فإن كيات كبيرة من الحرارة الجوية تسرب إلى العملية، مما يستدعي التخلص منها في كثير من الأحوال بواسطة آلات تبريد ثانوية تدار أيضا بالكهرباء.

مزيا عمليات إنتاج الماء بالتبريد حتى التجمد، وهويها:

لتجميد الماء من الوجهة النظرية مزية على تبريده، تتلخص في أن الحرارة الكامنة التي تلتزم لتبريد كيلو جرام من الماء، عند الضغوط المستعملة في عمليات التجميد، تبلغ نحو سبع أضعاف الحرارة الكامنة التي يجب استبعادها لتجميد كيلو جرام من الماء عند درجات حرارة التجمد المستعملة في عمليات إنتاج الماء بالتبريد والتي تنقص عن درجة الصفر بضع درجات قليلة فقط. أما من الوجهة العملية، فإن التبريد تصعبه صعوبات فنية قد تسبب رجحان كفة التفضيل على التبريد حتى التجمد في كثير من الأحوال. ويبيان ذلك فيما يلي :

أولا : لا تقتصر كمية الحرارة التي يجب أن تستبعد من الماء الملح في عملية ما على حرارة تجميد الكامنة فحسب، بل يجب أن تستبعد منه، علاوة على ذلك كمية أخرى، وذلك لانخفاض درجة حرارته إلى درجة حرارة التجمد، كما يجب أن تستبعد أيضا كيات الحرارة التي تسرب من الجو إلى معظم أجزاء العملية وإلى ما تحتويه هذه الأجزاء.



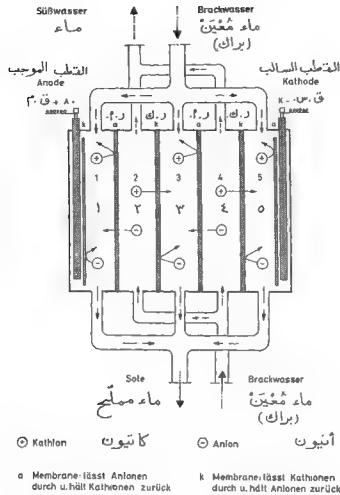
شكل ٥ عملية إنتاج ماء بالتبريد حتى التجمد

Abb. 5 Ausfrieren

من التبريد، ويكنى للتدليل على ذلك أن نقول بأن معظم عمليات التقطير تحتاج الى طاقة حرارية وهذه الطاقة أرخص بكثير وفي كل مكان عن الطاقة الكهربائية التي تحتاج اليها معظم عمليات التبريد، هذا الى جانب بنود أخرى من تكاليف الإنتاج ترجح كفة التقطير.

ثالثا : في حالة التبريد بواسطة سطوح معدنية، تلتصق بعض بلورات الناتج بهذه السطوح فتزداد المقاومة عند انتقال الحرارة من الماء المالح الى المبرد، وينقص انتاج الماء في

ثانيا : لتبسيط المقارنة بين التقطير والتجميد يمكن القول بأن التسخين مع الفلاني أبسط من الناحية الفنية، من التبريد حتى التجمد. ومع التسليم بزيادة كميات الحرارة التي يجب نقلها إلى الماء المالح في الحالة الأولى، على تلك التي يجب استبعادها من الماء المالح في الحالة الثانية، وبالرغم من أن ارتفاع درجات حرارة الفلاني عن درجة حرارة الجو، هو أكبر من انخفاض درجات حرارة التجمد عن هذه الدرجة، فقد يكون التقطير في كثير من الاحوال أرخص



١. رقيقة مميزة تسمح  
بمرور الأيونات  
وتمنع الكاتيونات

٢. رقيقة مميزة تسمح  
بمرور الكاتيونات  
وتمنع الأيونات

## شكل ٦ خلية إلكترودياليزه

Abb. 6 Elektrodialyse

التقطر، وحتى إن كانت هذه النسبة مقبولة عندما يستعمل الماء في بعض الأغراض، مثل الري والشرب، فقد تكون غير مقبولة في الأغراض الصناعية ويترتب على ذلك أنه لكي يمكن تغذية شبكة المستهلكين بماء يصلح لهم جميعاً، قد يتعين تحميل العملية مزيداً من التفتتات. خامساً: هناك صعوبات عملية مختلفة في عمليات التبريد بالتلامس المباشر بين المبرد والماء الملح، وهذه تعد من قيمة مالحه العمليات من مزايا مثال ذلك: توفير السطوح المعدنية

وحدة الزمن فيما لذلك، ولكي لا ينقص الإنتاج، يجب أن تستعمل البلورات الثلجية من سطوح انتقال الحرارة على الدوام، وليس هذا من السهولة بمكان. وجدير بالذكر أن هذا العيب أكثر الشبه بعيب الرواسب في عمليات التقطر. رابعاً: تتركز كمية من الماء الملح بين البلورات الثلجية المتصقة بعضها ببعض، ولما كان من الصعب استبعاد كل هذه الكمية بالغسل، فإن نسبة تركيز الأملاح في الماء الذي تنتجه هذه العمليات، أعلى من نظيرتها في إنتاج عمليات

والغلب على التصاق الثلج بها. ومن بين ما سبق أن أشرنا اليه من صمويات: نقل خليط من الثلج والماء المملح ميكانيكياً (طلمبة ٦)، وكذا فصل الثلج من الخليط وتكسيه وغسل بلوراته جيداً. كما أنه لا يغرب عن البال، أن كيات من الماء، لا يستهان بها، تفقد في غسيل الثلج، وبذلك ينقص الإنتاج الفعلي من الماء لعملية ما، بقدر محسوب عن انتاجها الكلي.

(٣٠٣) انتاج للماء من الماء المملح بطريقة الالكتروليزه: وصف العملية:

في كل الأمثلة التي تحدثنا عنها بعاليه كان الماء هو الجزء من المحلول الذي يفصل من الماء المملح، أما في هذه الطريقة فإن المملح هو الجزء الذي يفصل من المحلول.

وتلزم لعملية الفصل بهذه الطريقة طاقة كهربائية ثمنها مرتفع بالنسبة لثمن الطاقة الحرارية.

وتتلخص الفكرة الأساسية في هذه الطريقة فيما يلي:

إذا غمر قطبي دائرة كهربائية في ماء مملح (شكل ٦) ومرّ تيار مستمر بين هذين القطبين، فإن جزئيات من المحلول مشحونة بالكهرباء تنفصل عنه عند قطبي الدائرة الكهربائية، ثم أن كل جزئ من هذه الجزئيات ينتقل من القطب الذي تولد عنده إلى القطب الآخر. وتسمى هذه الجزئيات «أيونات»، كما أن هذه الأيونات على نوعين وهما:

النوع الأول: أيونات شحنتها موجبة وتسمى «كاتيونات» يطردها القطب الموجب الذي تولدت عنده، ويجلبها القطب السالب. وبهذا فلا يمكن أن تتحرك هذه الكاتيونات إلا من القطب الموجب إلى القطب السالب.

النوع الثاني: أيونات شحنتها سالبة وتسمى «أنيونات» يطردها القطب السالب الذي تولدت عنده، ويجلبها القطب الموجب. وبهذا فلا يمكن أن تتحرك هذه الأنيونات إلا من القطب السالب إلى القطب الموجب.

وفي خلية كاثليبتة بشكل (٦)، يلزم عدداً ما مسلفاً، وجود الواح رقيقة من مواد صناعية لها قدرة التمييز بين الكاتيونات والأنيونات، نسبياً للاختصاص فيما يلي «رقائق مميزة». وهذه الرقائق المميزة على نوعين أيضاً:

النوع الأول: نوع منها يسمح بمرور الكاتيونات ويمنع الأنيونات من المرور فيه (ر.ك. في شكل ٦)

النوع الثاني: أما النوع الآخر فيسمح بمرور الأنيونات ويمنع الكاتيونات من المرور فيه (ر.ك. في شكل ٦)

وفي كل خلية من خلايا عملية الكتروليزه عدد كبير من الخلايا يمر فيها الماء المملح، وقد اكتفينا في (شكل ٦) برسم خمس منها فقط. والخاصة، هي يمرى الماء المملح بين رقيقتين مميزتين، أحدها تسمح بمرور الكاتيونات والآخرى بمرور الأنيونات، وعندما يمر الماء المملح في خلايا إحدى الخلايا، فإن نسبة تركيز الأملاح تنقص في الخلايا التي ورزنا لها في (شكل ٦) بأرقام زوجية، كما أن هذه النسبة تزيد في الخلايا الباقية التي ورزنا لها في الشكل ذاته بأرقام فردية، وبهذا يحصل الإنسان على الماء من الخلايا ذات الأرقام الزوجية، أي من كل حارة لها رقيقة مميزة تسمح بمرور الأنيونات في ناحية القطب الموجب. ويتحول الماء للملح الذي يمر في الخلايا ذات الأرقام الفردية إلى ماء مملح ونعني في هذه المرة كل حارة لها رقيقة مميزة تسمح بمرور الكاتيونات في ناحية القطب الموجب.

مزايا طريقة الالكتروليزه، وعيوبها:

يزيد استهلاك عملية من هذا النوع من الكهرباء كلما ازديت نسبة تركيز الأملاح في الماء المملح الذي يراد انتاج الماء منه، ولهذا فإن هذه الطريقة تفضل عندما لا تتعدى نسبة تركيز الأملاح ٠,٤ ٪. بالزمن، أي عندما يراد انتاج الماء من ماء معين (برك). وفيما عدا نسبة تركيز الأملاح في الماء المملح يتوقف استهلاك الكهرباء في هذه العمليات أيضاً على عوامل عديدة أخرى، نخص بالذكر منها نسبة الأملاح المسموح بوجودها في انتاج العملية من الماء، وذلك نظراً لأنه كلما قلت النسبة المسموح بها، زادت المقاومة للكهرباء في خلايا العملية الأخيرة مما قد يتطلب رفع الفولت، وبالتالي زيادة استهلاك الكهرباء عن كل متر مكعب تنتجه العملية. وكما هي الحال في عمليات التقطير فإن الرواسب التي ترسب هنا أيضاً على السطوح التي تلامس الماء المملح تسبب متاعب كثيرة أثناء الانتاج.

ومن بين الصعوبات التي تلبو عند تصميم خلايا هذه العمليات عدم وجود مواد رخيصة متينة، عالية الجودة تصلح لصنع الرقائق المميزة. فالمواد الجيدة من ناحية الخواص الكهربائية المطلوبة، ضعيفة من الناحية الميكانيكية، علاوة على أنها قصيرة العمر. فأذا ما حاول المصمم تسليحها بمواد أخرى متينة لتحسن خواصها الميكانيكية، تنقص جودتها من ناحية الخواص الكهربائية المطلوبة.

أما المواد الجيدة من جميع الوجوه فلا زالت مرتفعة الثمن جداً، حتى اليوم.

٤) الناحية الاقتصادية لإنتاج الماء من الماء الملح صناعيا:

يجب أن يكون تفضيل مشروع معين لتفذية منطقة ما بالماء على مشروع آخر مبنيا على مقارنة رأس المال اللازم لتنفيذ كل من المشروعين من جهة وعلى مقارنة تكلفة وحدة الحجم من الماء في كلتا الحالتين من جهة أخرى. ومعلوم أن ثمن التكلفة يرتكب من جزئين رئيسيين أحدهما مصاريف رأس المال والآخر المصاريف الجارية مثل ثمن الوقود واليد العاملة وغيرها، كما هو معلوم أيضا أن السبب في اختيار ثمن تكلفة المتر المكعب من الماء أساسا للمقارنة، هو اختلاف كمية الماء المنتجة في وحدة الزمن من مشروع لآخر. ولا يتسع المجال هنا للخوض في طريقة حساب ثمن التكلفة، ولذا فسكتفي ببعض ملاحظات، إن روعيت أثناء المقارنة، لجاء تفضيل مشروع على آخر صحيحا بقدر الامكان.

ومن أهم ما يجدر ملاحظته أن رأس المال، وكذلك ثمن تكلفة المتر المكعب من الماء، سواء أكان هذا الماء طبيعيا أم صناعيا، يتوقفان على عوامل متعددة منها ما هو فني هندسي ومنها ما هو جغرافي أو اقتصادي أو اجتماعي. ولما كانت هذه العوامل تتغير من منطقة إلى أخرى تغيرا شديدا من جهة، وكانت هذه العوامل تؤثر بعضها على بعض من جهة أخرى، فإن ما نقرأه في كثير من المجلات من أن الماء الصناعي لا يزال أغلى ثمنًا من الماء الطبيعي، أو من أن ثمن تكلفة إنتاج متر مكعب من الماء بطريقة ما أرخص منه إذا استعملت طريقة أخرى للإنتاج، أو حتى من أن تصميا معينا لطريقة معينة لإنتاج الماء، أفضل من تصميا آخر لنفس طريقة الإنتاج، كلام صحيح للمنطقة التي حسبت اقتصاديات الإنتاج على أساس الظروف الموجودة بها، أما فهم مثل هذه الأقوال على أنها قواعد عامة تصلح لكل منطقة فهو ما يجدر القارئ منه، أن أسلفنا من أن هذه النتائج بنيت على أسس لا تصلح حتما في كل منطقة.

وفيا لى نورد باقي ما يجدر ملاحظته عند البت في صلاحية مشروع معين دون مشروع آخر لمنطقة بذاتها:

أولا : ليس الماء الصناعي بأغلى من الماء الطبيعي في كل منطقة من العالم، كما أن قيمة معينة لثمن تكلفة المتر المكعب من الماء الصناعي قد تكون مرتفعة بالنسبة لمنطقة ما في حين أن نفس القيمة قد تعتبر رخيصة في منطقة أخرى.

ثانيا : لا تكن القيمة المحددة للطاقة المستهلكة فعلا لإنتاج متر مكعب من الماء بعملية ما للحكم على اقتصاديات هذه العملية. كما أن نوع الطاقة التي تستهلكها عملية بذاتها من

الاهمية يمكن، وذلك نظرا لأن القيمة المحددة لاستهلاك عملية ما من الطاقة الحرارية لإنتاج متر مكعب من الماء قد تبلغ أضعاف القيمة المحددة لما تستهلكه عملية أخرى من الطاقة الكهربائية لنفس الغرض ومع ذلك فقد يكون ثمن الطاقة في الحالة الأولى أقل منه في الحالة الثانية.

ثالثا : من الوجهة الفنية يمكن المهندس أن يضع تصميمين لعملية ما تعمل بطريقة معينة لإنتاج كمية معينة من الماء صناعيا في وحدة الزمن أحدهما يتطلب تنفيذ رأس مال كبير ويستهلك مقدارا قليلا من الطاقة في وحدة الزمن، في حين أن التصميم الآخر يتطلب رأس مال أصغر لتنفيذه، في حين أن استهلاكه من الطاقة في وحدة الزمن أكبر منه في الحالة الأولى، ولذا فينبط أن يصلح التصميم الأول للمناطق الغنية في رأس المال الفقيرة في الطاقة، في حين أنه ينبط أن يكون التصميم الثاني أنسب لبلاد ظروفها عكس ذلك أي فقيرة في رأس المال غنية في الطاقة.

تستخلص مما تقدم أنه يجدر عند تصميم عملية ما لإنتاج الماء من الماء الملح أو عند البت في صلاحية مشروع ما لتفذية منطقة معينة بالماء أن تراعى جميع العوامل التي تؤثر على اقتصاديات الإنتاج في هذه المنطقة، كما أنه يجدر بالقائمين بمثل هذه المشروعات أن يستأسروا دائما بأراء أخصصين، حتى يصلوا إلى أحسن الحلول لمشروعاتهم من جميع الوجوه.

٥) الناحية السياسية لإنتاج الماء من الماء الملح صناعيا:

نود قبل أن نغم هذا المقال أن نشر باختصار إلى ما لتوفر الماء لكل إنسان على سطح الأرض حاليا ومستقبلا من أهمية سياسية، وبالتالي ما يمكن أن يتحقق من خير للناس أجمعين إذا اهتم أولو الأمر في كل مكان بإنتاج الماء صناعيا من الماء الملح، ذلك الاهتمام الذي تستحقه هذه المشكلة الحيوية للناس جميعا، فنقول: يلحظ كثير من المفكرين بحث إلى أن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الشقاق والتزاع بين الأمم وما ينتج عن هذا النزاع من حروب ودمار، هو الاختلاف الكبير في مستوى معيشة أمم هذا العالم المختلفة والفرق الكبير بين إمكانيات المعيشة في هذه الأمم، فبينما يعيش الناس في بعض الأمم عيشة راضية، لا يجد الفرد في الأمم الأخرى قوت يومه على الكفاف. ولما كان الماء أول ما يجب أن يتوافر لرفع مستوى المعيشة في كل زمان ومكان وكانت مشكلة نقص الماء تزداد حدة مع مرور الزمن، فلما نبالغين أن توقعنا المزيد من التزاع والحروب إذا زادت مشكلة نقص الماء حدة عما هي عليه



لما تقدم نعتقد غلصين أن توفير الماء في كل زمان ومكان معناه سلام دائم هذاً ولا نعتقد أن ما يتطلبه تحقيق هذا الفرض الثليل من جهود ومال يفوق ما تنفقه البشرية اليوم على اسلحة ذرية تكني شو الأرض ومن عليها أو ما تنفقه البشرية بالفعل في محاولاتها للوصول الى الكواكب والقمر. وأنا لنأمل أن يكون من نتيجة هذه المحاولات لاكتشاف اسرار الكون بعيدا عن سطح الكرة الأرضية ما يعين الباحثين على التحكم في هطول الأمطار من السماء في مناطق لا زرع فيها ولا ماء.

اليوم. هذا ومن بين ما تقوم به بعض البلاد المتحصرة اليوم مشكورة، لتحقيق ما يصبوا اليه العالم من سلام دائم، مساعدات تقدمها هذه الأمم للأمم المختلفة لمهاونة شعوب هذه الأمم في رفع مستوى معيشتها. وفي رأى الكثيرين أن تقدم المساعدات الفنية والمالية لتوفير الماء للشعوب المختلفة أهم ما تحتاج اليه هذه الشعوب. ولسنا مبالغين أيضا اذا توقعنا زوال ما يشمره ملايين البشر من ألم في تقوسهم وحقد على غيرهم لما يعيشون فيه من حرمان دائم وفقر مدقع إذا ما توافر لهم من الماء ما يكفيهم لرفع مستوى معيشتهم.

شكر : يتقدم كاتب هذا المقال بالشكر إلى شركة اخوان سولزر يونيتور بسويسرا لاساحها بنشر هذا المقال من بين محويات تقرير داخلي كان كاتب هذه السطور قد أعده لأدارة هذه الشركة عن انتاج الماء من الماء الملح.

*Der Verfasser dankt der Firma Gebrüder Sulzer, AG, Winterthur/Schweiz für die lebenswichtige Erlaubnis, einen Teil des internen Berichtes zu benutzen, den er für die Direktion dieser Firma über die Erzeugung von Süßwasser aus Salzwasser geschrieben hat.*

\*\*\*

كان إنتاج الماء العذب من الماء الملح ، هو الموضوع الذى درس في الأجتماع التاسع والثلاثين للاتحاد الأوروبي للمهندسين الكيمايين . وقد عقد هذا الأجتماع في مدينة أثينا في الفترة من ٣٠ من مايو الى ٤ من يونيو سنة ١٩٦٢ ، كما حضر هذا الأجتماع ، نحو اربعمئة إخصائي ، من جميع أنحاء العالم .

ولقد القيت في هذا المؤتمر محاضرات ، كما دارت مناقشات حول أفضل الطرق لإنتاج الماء ، صناعيا ، من الماء الملح ، بأقل النفقات .

ولقد بينا في غير هذا المكان ، من هذه المحلة ، ما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة ، في معظم أنحاء العالم ، في الوقت الحاضر وفي المستقبل .

وبما أن نشير إلى أن محاضرات هذا المؤتمر ومناقشاته قد نشرت باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية في مجلة :

Dechema Monographien Band 47. Verlag: Chemie G.m.b.H. Weinheim/Bergstraße. Deutschland.

وهذه المحاضرات مقسمة إلى ثلاث مجموعات ، خصصت كل واحدة منها ، لأحدى مجموعات طرق الإنتاج الهامة ، ونفى بها : طرق التقطير ، وطرق التبريد ، وطرق الإنتاج الكهروكيميائي .

وعلاوة على هذه المحاضرات يجد القارئ في نفس العدد ، من هذه المحلة مقالا كتبه ر كولاس (باريس) ، عن أهمية إنتاج الماء العذب من الماء الملح ، من الوجهة العامة ، كما يجد مقالا آخر كتبه ف. د. أتمر (نيويورك) ، عن أهمية هذا الإنتاج في المستقبل .



الصورة: بيزولا، فلاد، سويسرا

امواج متلاطمة

# سِيارِيج

## نقل معبد مصرى قديم

عن جورج جرستر

فى الصحراء الواقعة فى جنوب مدينة أسوان ، وعلى مسافة قصيرة منها ، يرى ألتانظر فى الوقت الحاضر آلافًا من الكتل الحجرية مرسومة بنظام دقيق ، كما يرى العمل الجرى على قدم وساق فى إعادة بناء أول معبد نوبى ، من معابد قدماء المصريين . وسوف يقام هذا المعبد على قمة تل قريب من الموقع الذى بنى السد السالى فيه حالياً . ولقد بدأت إعادة بناء هذا المعبد منذ شهر نوفمبر الماضى ، وكان ذلك تحت إشراف فئة من المهندسين والفنيين الألمان ، فى مكان لا يهدده الطوفان المنتظر بالقرب ، عندما يتم بناء هذا السد .

وبينما كان الكثيرون من سكان الأمان يبدلون جهودهم لأيجاد حل فى مناسبة ، ولتدبير أمان الألام ، لأتخاذ معبد أفى سبيل من ألتقى تحت مياه السد عندما يتم بناؤه ، كان معبد «كلبشه» سالف الذكر قد هدم بعناية فائقة ، كما كانت أحجاره ، التى يبلغ عددها ١٢٠٠٠ حجر تقريباً ، تنقل فى حرص زائد ويهدو تام الى موقع جديد ، لن تغمره مياه السد . ولقد ظل أسطول من السفن ، تصليه شمس بلاد النوبة المحرقة ، طوال شهر الصيف الماضى الطويلة ، ينقل أحجار معبد كلبشه من مكانها الأصل الى ميناء مؤقت ، يقع على مسافة قصيرة جنوب السد . ثم أن هذه السفن كانت تفرغ ما تحمله من الأحجار ، فى هذا الميناء ، فى المواعيد المحددة لذلك بالضبط ، ثم تتولى السيارات نقل هذه الأحجار بعد ذلك ، من الميناء ، الى مكان يقع على منسوب متوسط بين منسوب الميناء ومنسوب المعبد الجديد . ولقد زينت الأحجار فى هذا المكان ذا المنسوب المتوسط ، وذلك لكى تستعمل مرة ثانية فى إعادة بناء المعبد من جديد على صورته الأصلية فى موقعه الجديد . ولم يحدث ، لحسن الحظ ، ما كان المشرفون على عملية النقل يخافون من حدوثه ، مما قد يتسبب عنه تعطيل العمل ، مثل حلول الفيضان فى شهرى أغسطس وسبتمبر قبل انجاز العمل الألام انجازة قبل ذلك ، أو من عدم أخفاض منسوب مياه النيل أصلاً عن منسوب أساسات المعبد ، أو غير ذلك من العقبات . أما ما حدث بالفعل فقد كان على خلاف ذلك تماماً ، فلقد كان لدى الشركة المشرفة على عملية إنقاذ معبد كلبشه (شركة هوخ تيف عديدية إس) متسعاً من الوقت لهدم هذا المعبد ، الذى بنى فى عهد القصر أغسطس ، كما كان لديها ، علاوة على ذلك أيضاً ، الوقت الكافى لفك وهدم بناء إضافى (ما يسمى) كان ملحاقاً بالمعبد فى ركنه الجنوبى الغربى وكذلك الوقت الكافى لهدم كنيسة بنيت فى عهد البطالسة فى الركن الشمالى الشرقى من المعبد الخارجى المحيط بالمعبد .

ولقد أغتبط رجال معهد الألام فى القاهرة ، الذين تحملوا المسئولية العلمية ، عن هدم معبد كلبشه وعن إعادة بنائه فى مكانه الجديد ، بمحصل على معلومات جديدة تتعلق بتاريخ بناء هذا المعبد لم يكن من ألتنتظر الحصول على شئ منها أصلاً . وبينان ذلك أن كتلاً حجرية قد اكتشفت أثناء عملية النقل ، فى طبقات المعبد السفلى ، تبين من دراساتها أن هذه الكتل كانت مستعملة قبل ذلك فى مبان أخرى كانت مقامه فى نفس المكان الذى بنى قدام المصريين معبد كلبشه فيه . وما هو متوش على هذه الكتل أساء بعض الملك ومن بين هذه الاسماء اسم (كروتوس) بطليموس العاشر وكذلك اسم (كروتوس) القصر أغسطس . وبفهم من هذه النقوش ، أن بعض التعديلات كانت قد أجريت فى ألبانى السابقة على معبد كلبشه فى نفس المكان ، والى كانت قد انشئت فى عهد البطالسة ، كما يفهم من هذه النقوش أيضاً أن معبد كلبشه ، الذى بنى الى الوقت الحاضر ، كان قد بنى فى نفس المكان بعد ذلك ، توشيقاً للعلاقات بين قصر وألشعب . ويسر بناء معبد كلبشه فى مكانه الجديد بنفس الدقة التى هدم بها ، ثم نقل بها وذلك بفضل النظام الدقيق المتبع عند ألتقيام بأية عملية من هذه العمليات . ولقد جنت الشركة الى تتولى عملية النقل بفضل هذا النظام ، بعض ثمرات جهودها إذ قد تم بناء بعض أجزاء المعبد الرئيسية بالفعل ، كما أنه من ألتنتظر أن يتم بناء المعبد بأكمله فى أواخر عامنا هذا إن شاء الله .



# عبد الحادود

SŪFĪ 'ABDUL HAQ BĒTĀB:

ÜBER DAS ÜBEL DER GEFANGENSCHAFT

In finstern Höhlen mühsam still zu leben,  
Im Winkel der Gefängnisse zu kleben,  
Vom Lebenswasser sich zurückzuziehen,  
Den Platz dann zwischen Feuern zu erstreben,  
Aus Abfall Perlen, fürstlich, zu bereiten,  
Mit Wimpern durch den harten Fels ziehn  
[Gräben,  
Des Wildbachs Weg mit Staub und Stroh zu  
[sperrn,  
Mit einem Haar den schweren Berg zu heben,  
Die Schwärze eines Negers abzuwaschen,  
Den Kopf zum Fuß gemacht, zu Bergen streben,  
Des aufzuhrvollen Himmels Härten fliehend  
Sich unter einen Mühlstein zu begeben —  
All dies ist nicht so schwer, als wie zu sehen,  
Daß wir abhängig nur von Fremden leben.

صوفی عبد الحق بیتاب

(در جرمی امارت)

بخت در سبیل چال آرمیدن  
بخت ملک زندان در غزین  
ز آب زندان دست شستن  
سپس در پای آتش جاگزین  
خذف را که بر شهوار کرد  
بزرگان سبیل را دایرین  
رہ سبیل از غایت شک  
لجگو و گمان را شنیدن  
بشمن بودن از زبانش  
ز سر پا کرده در کوی دین  
ز سبیل از غایت شک  
بزرگ آسایش حسنه بدن  
ناباشد آنقدر متیاب شغل  
که در دریا تابع بیکانه دین  
(بخط الشاعر)

## MOZARABISCHE DICHTUNG DES NEUNTEN JAHRHUNDERTS

Mein Herz ist auf der Flucht.  
O Gott, wird es zurück sich wenden?  
Mein Gram umfängt den kranken Liebsten.  
Wird er je gesunden?

Was soll ich machen, Mutter?  
An der Tür schon ist mein Liebster.

Was soll geschehen? Was wird aus mir?  
Geliebter,

geh, ach, geh nicht fort von mir!

Ostern ist nahe. Er zeigt sich nirgends.  
Vor Kummer verzehrt sich mein Herz.

So viel lieben, so viel lieben,  
Geliebter, so viel lieben?  
Krank sind meine Augen,  
sie tun mir weh . . .

# BEHÇET NECATİGİL

## EDEBİYAT MATİNESİ

Kaykılmış koltuğunda bir kız  
Çiğner ciklet.  
Bir oğlan dalgada,  
Geldigine pişman uyuklar  
Bir başkası arkada.

Hiç bulabilir mi beyaz evi çok uzak  
Uçurduğunuz kuş?  
Kalıç gibi keskin karlı dağ.  
Hiç yeri miydi açmak kalbi  
Bu çiğ ıyık altında.

Sizden önce birisi bir fantezi okudu,  
Kırdı geçirdi.  
Yayvan güllüşlerden agızlar çok geç döner;  
Şimdi sıra sizde üzgün ağır,  
Ne güzel!

Olsa bari benzeri duygularla tedirgin,  
Sizdekini yaşamış  
Birkaç kişi.  
İhtisasınız seçilmiyor,  
Karanlıkta hepsi.

Okudunuz.  
Bittigine memnun,  
Anlamamış;  
Bozuk paralar gibi düşer önünüze  
Alkış.

Gördünüz işte yerde  
Çürük domatesler gibi ezik,  
Avaçlarda muncıklanmış kalbiniz.  
Buyürken leke ince ipekte,  
Yeniden eğiliniz!

## LESUNG AUS EIGENEN WERKEN

Ein Mädchen räkelst sich im Sessel,  
Kaut Kaugummi.  
Ein Jüngling döst.  
Bereuend, daß er herkam,  
Nickt huten einer ein.

Kann er das ferne weiße Haus nicht finden,  
Der Vogel, den du fliegen liebest?  
Degenscharf sind die Kanten des Gletschers.  
Ob es richtig war, das Herz bloßzulegen  
Unter diesem rohen Licht?

Vor dir las irgendeiner eine Phantasie.  
Sie zerrann, vorüber.  
Spät erst verlieren die Münder ihr Karpfenlachen  
Nun liegt die ganze Qual auf dir.  
Wie schön!

Wären doch einige Leute, vom Verstehen  
Des Deinigen, auch von ihnen gelebten  
Aufgescheucht, wenigstens hier und da!  
Du bist im Licht —  
Sie sind alle im Dunkel, ununterscheidbar.

Du hast zu Ende gesprochen,  
Glücklich, daß es vorüber ist,  
Und unverstanden.  
Kleiner Münze gleich fällt Applaus  
Vor dir nieder.

Da siehst du dein Herz  
Zerquetscht wie faule Tomaten  
In den klatschenden Händen  
Und während der Fleck sich ausdehnt  
Auf dünner Seide —  
Bitte, noch einmal verbeugen.

Aus „Eski Toprak“, 1956 Übertragen von H. Wilfrid Brands

بوراق : بنت في المعهدة  
قد ولد بوراق في مدينة استانبول في سنة ١٩١٥ وتدرّس الفن المصاير في هذه المدينة، وقد بنى بعض الآثار المشهورة في تركيا، منها دار البلدية في حينتاب،  
و دار الحكمة في ريزه وايضا دار الحكمة في انطاكية، وكانت له معارض في استانبول وانقرا ومرضى في باريس.



# ملاحع الكتب

Zur Geliebten wurde mir das Buch,  
Konnte mein bedrücktes Herz befreien —  
Du sagst: „Bitte, leih mir doch dein Buch!“  
Wer wird seine Liebste denn verleihen?

Gisudarüz (st. 1422)

گيسودراز

ممشوقه من كتاب من شد  
بسته دل من بدو كشاد است  
گوئي كه مرا به عاريت ده  
ممشوقه به عاريت كه داد است؟

Ernst Kühnel, *Islamische Kleinkunst. Ein Handbuch für Sammler und Liebhaber. Zweite, verbesserte und vermehrte Auflage mit 209 Textabbildungen, 15 Farbtafeln und einer Zeitabzelle.* Klinkhardt & Biermann Verlag, Braunschweig, 1963.

Unter Kleinkunst versteht Ernst Kühnel, der Nestor der deutschen Islamistik, die Buchkunst einschl. der Miniaturen und der Schattenspielfiguren, die Keramik, die mannigfachen Zierarbeiten in Metall, Glas und Kristall, Elfenbein, Holz, Stein und Stuck, wobei die jedoch an die Architektur gebundenen Ziertechniken beiseite gelassen wurden. In der zweiten Auflage sind einige Kapitel neu geschrieben, andere Partien ergänzt und der Bildteil wesentlich verbessert worden. (S. die drei Farbtafeln auf Seite 102).

In der „Allgemeinen Einführung“ tritt uns die Universalität des großen Gelehrten beglückend entgegen. Seine durch ein langes Leben immer wieder erprobten Kenntnisse erwecken unsere uneingeschränkte Bewunderung.

Klaus Wessel, *Koptische Kunst. Die Spätantike in Ägypten. Mit dreißigfarbigen und 133 einfarbigen Abbildungen.* Verlag Aurel Bongers, Recklinghausen, 1963.

Das vorzüglich gedruckte Werk wird die Diskussion über den Grad der künstlerischen Originalität der koptischen Kunst anfachen. Der Autor trennt scharf zwischen provincial-griechischen Kunstlern in Ägypten und Schöpfungen der eigentlichen Kopten, den Nachkommen der Ägypter. Er ermutigt uns, heute deutlicher von einem koptischen Stil zu sprechen, so stark auch die Formen der Spätantike überall spürbar sind.

Es ist die tiefe Religiosität der Kopten, die ihnen hilft, zu einem eigenen Ausdruck hinzufinden. Offen bleibt die Frage, in wie weit die koptische Kunst im besten Sinne Volkskunst ist, ob sie darüber hinausgreift. Das möchte man nach Wessels tief schürfendem Buch bejahen (s. die beiden Bildproben auf Seite 103).

◀ Emailierter Glasbecher. Syrien, um 1300. Landesmuseum, Kassel.

◀ Sogenannter Rhodos-Krug. Türkei (Iznik), 17. Jh. Stiftung Preußischer Kulturbesitz, Dahlem, Berlin.

◀ Sogenanntes Boabdil-Schwert. Granada, 15. Jh. Landesmuseum, Kassel.

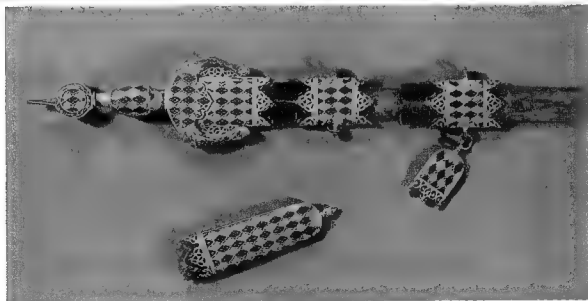
Aus: Ernst Kühnel, *Islamische Kleinkunst.* Klinkhardt & Biermann, Braunschweig, 1963.

كأس من زجاج ممشوقة بالبناء، سوريا، القرن الثالث عشر، محفوظة في متحف المنطقة، مدينة كاسل، ألمانيا.

حرة ريدس. تركيا (إزنيك)، القرن السابع عشر، متحف دالم في برلين. السيوف المسمى بسيف بويدل، فرتاة، القرن الخامس عشر، محفوظة في متحف المنطقة، مدينة كاسل، ألمانيا.

عن: إريست كونيول *Islamische Kleinkunst* Klinkhardt & Biermann إصدار مدينة براونشويغ ١٩٦٣.



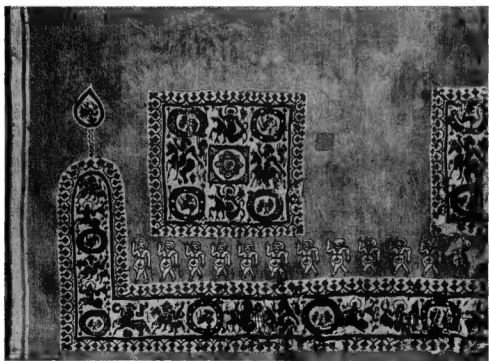




الحمامة ، مصباح من البرونز من شيخ أبياد

راقصات ، مطايا وبتطوحا ، تصوير يلزم من مرسوم بطرس : شيخ أبياد .

عن كاور فيسل ، الفن القبطي - مؤلف التاريخ القديم في مصر ، دار بونجرز للنشر ، ديكلمنجهوزين ١٩٦٣



الحمامة ، مصباح من البرونز من شيخ أبياد

راقصات ، مطايا وبتطوحا ، تصوير يلزم من مرسوم بطرس : شيخ أبياد .

عن كاور فيسل ، الفن القبطي - مؤلف التاريخ القديم في مصر ، دار بونجرز للنشر ، ديكلمنجهوزين ١٩٦٣

*Orientalische Dichtung in der Übersetzung Friedrich Rückerts. Herausgegeben und eingeleitet von Annemarie Schimmel. Sammlung Dieterich. Carl Schünemann Verlag, Bremen, 1963.*

Die Auswahl erschien gerade rechtzeitig zum 175. Geburtstag Rückerts — am 16. Mai 1788 wurde er in Schweinfurt geboren.

Von einer, mit den Originalen vertrauten Orientalistin behutsam zusammengestellt, ist das Buch dank der Sorgfalt des Verlegers in jeder Weise repräsentativ geworden. Es enthält Übertragungen aus dem Persischen, z.B. aus dem Werk von Rūmī, Ḥāfīs, Firdōsī, Sa'dī und Dschāmi, aus den Ghazelen Rückerts, zu denen ihn der Orient angeregt hatte; sodann Übertragungen aus dem Arabischen, u.a. aus dem Koran, den Makāmen des Ḥarīrī, der klassischen arabischen Poesie, z.B. von Gedichten Imrūlkais', den Rückert noch Amrīkai's geschrieben hat. Und schließlich Übersetzungsproben aus dem Hebräischen.

Ein großer Gewinn für den mit der orientalischen Literatur nicht genügend vertrauten Leser ist die Einführung, die fundiertes historisches Wissen mit musikischem Sinn und sicherem literarischen Urteil aufs glücklichste verbindet. Es geschieht in einer Sprache, die das stilistische Feingefühl Annemarie Schimmels erneut bekräftigt.

*Das Sandkorn und andere Erzählungen aus Nordafrika · Herausgegeben von François Bondy. Diogenes Verlag, Zürich, 1962.*

François Bondy will mit seiner Anthologie den Norden Afrikas aus seiner „Stummheit“ lockern. Siebzehn der neunzehn Erzählungen — sie stammen aus Ägypten, Tunesien, Algerien und Marokko — sind von einheimischen Autoren verfaßt. Darunter sind: Naguib Mahfouz, Mahmoud Teymour, Biskr Fare's, Mohammed Dib, Driss Chraïbi, Ahmed Sefrioni, Mouloud Faraoun, Albert Memmi, Kateb Yacine, Henri Kréa, Mouloud Mammeri.

Wahrscheinlich würde ein Nordafrikaner die Auswahl ganz anders getroffen, Autoren wie Maurice Sandoz, Antoine de Saint-Exupéry und selbst Albert Camus ausgelassen haben. (Camus ist bekanntlich in Algerien geboren, und war lange dort tätig, aber in seinem Werk erschienen die Araber nur als Statisten.) François Bondy gibt diese Möglichkeit nach einem Gespräch mit Henri Kréa zu, der eine Anthologie unter anderen Gesichtspunkten vorbereitet. Bondy's Absicht war, im deutschen Sprachgebiet die Literatur Nordafrikas zur Stimme, ja zur Vielstimmigkeit zu verhelfen. Und das ist ihm gelungen.

Der Band „Das Sandkorn“ ist der erste von dreien, die das Erzählte Afrikas deutschen Lesern zugänglich machen. Die beiden anderen Bände, gleichzeitig im Diogenes Verlag, Zürich, erschienen, umfassen Erzählungen aus Ost-, West- und Zentralafrika (Titel: „Tam Tamm“. Auswahl und Vorwort: Marie-Louise Lüscher) und aus Südafrika (Titel: „Das Grüne Gnu“ Auswahl und Vorwort: Elisabeth Schnack).

قد نشرنا في النسخة الأولى لجلتنا هذه في ص ٢٢ و ٢٣ صوراً وبسائط ونسج لبيت العمارة.

الصور الملوثة مأخوذة من كتاب هانس م. فينيل:

Das Bauhaus 1919—1933: Weimar. Deutscher, Berlin

الذي اصدره دارا نشر Gebr. Rasch في برامشه و DuMont-Schauberg في كولونيا، وتقدم شكلنا بالخاصة لدار نشر التي ساعدتنا في نشر هذه اللوحات.

Nationalbibliothek in der Wiener Hofburg.  
Erbaut 1722—1737 von J. Bernh. Fischer von Erlach und  
Joseph Emanuel von Erlach.  
Aus: Harald Busch und Bernd Lohse, Baukunst des Barock  
in Europa, Umschau-Verlag, Frankfurt am Main. 1962.

المكتبة القلعية في القصر الإمبراطوري بقينا وقد قام ببنائها في السنوات  
١٧٢٢—١٧٣٧ ي. برنهارد فيشر فون ارياخ ويوسف عمانويل فون  
ارياخ. مأخوذة عن كتاب هارالد بوش وبرنت لوهزه: فن البناء الأوروبي  
في عصر الباروك. دار أومشاو للنشر بفراانكفورت - ماين، ١٩٦٢.



# FIKRUN WA FANN



2